مسائل عصرية رائجة

نظرة واقعية وتقييم شرعي

- الإرهاب
- العلمانية
- حقوق الإنسان
- العولمة
- الديموقراطية

تأليف : علي باپير

ترجمة : إحسان برهان الدين

الطبعة الأولى

1428هـ 2007م



مسائل عصرية رائجة

نظرة واقعية و تقييم شرعي

مسائل عصرية رائجة

نظرة واقعية و تقييم شرعي

- الإرهاب
- العلمانية
- حقوق الإنسان
- العولمة
- الديموقراطية

تأليف : علي باپير

ترجمة: إحسان برهان الدين

الطبعة الأولى

1428 هـ 2007 ز

اسم الكتاب: مسائل عصرية رائجة
اسم المؤلف: علي باپير
إسم المترجم: إحسان برهان الدين
تصميم: عزالدين محمد
الطبعة : الأول 1428هـ – 2007م
عدد النسخ: 1000 نسخة

رقم الايداع في المكتبة العامة اربيل (723) سنة 2006

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَان وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل 90)

الإِهــداء

الــى الذين لايخوضون غمار مســألة حتى يستكملوا فهمها على وجهها، وبعد ان يتم لهم فهمها، لا يُلْقون الكلام على عواهنه، وانما عمدتهم الدليل والتثبّت، ويبادرون بالعمل بالحق وا ستقبال الحقيقة كائناً ما كان مأتاها ومستقاها.

تقديم المؤلِّف للطبعـة العربيـة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام من الله تعالى على نبـيِّه الأ مين، محمَّد المبعوث رحمة للعالمين، وآله أجمعين من الـ صَّحب والأزواج والقرا بة والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين.

أما بعد :

فهذا هو الكتاب الثاني لي بعد كتاب: (مَن هُم عُلماء الإسلام وما هي صِفاتُهم؟!) واللّذين ترجمهما الى العربية م شكوراً الأخ: (إحـ سان بر هان الدين) فَجزاه الله خيـراً وبارك فيه.

والذي أودُّ قوله هنا في هذا التقديم الموجز هو:

أنَّني على معرفة بما في المكتبة العربية والحمدلله– من بحوث و دراسات كثيرة وَمتنوِّعة جيِّدة، حول تقييم النظريات والأفكار المستوردة وَتفنيه ما فيها من باطل متصادم مع حقائق دين الله الحق و رسالته الخاتمة النازلة على قلب سيِّد المرسلين وخاتم النبييّن محمد ﷺ، ولكن ا لذي دفـ عني لِتَلْبـية إقتراح بعض الأخوة المخلصين بترجمة بعض كُتُـبـي الى اللغة العربية شيئان: أولهما، أرى بأن في كتبـي بعض غناءٍ و إضافةٍ في المجالات التي أكتب فيها، وثانيهما: كي يطَّلِعَ القارئون بلغة الضاد من الأخوة العرب وغيرهم ع لى شئ من رؤى وأفكار وتجارب التيّار الإسلامي في كوردستان تـ لك البقـ عة الممزَّقة الأوصال وسط الوطن الإسلامي الجَريح!

هذا وبالُّرغْم من أن الأخ المترجم بَذَلَ جهداً كبيـراً في عمله ثم راجعت الكتاب المترجم بنفسي، ولكن قلّما يمكن ترجمة ونقل كلّ الأفكار وا _لرؤى من لغةٍ الى لغة أخرى، بالصورة التي تُرْضي المؤلِّف و تُقِنعُ القارئ.

وَحَسْبُنا أنَّنا بذلْنا ما في وُسعِنا وهذا جُهْدُ المُقِلّ.

سُبحانَكَ اللهم وَبِحَمدِكَ أشهد الاّ اله إلاّ أنتَ أستَغفِرُكَ وأتوب إليك.

18 جمادي الأولى 1428

2007 /5/26

كوردستان العراق / أربيل

مُقدِّمة الطبعة الخامسة (الكردية)

الحمدلله حقَّ حمده والصلاة والسلام على عبده محمد وآلِهِ السّائرين عل دَرْبه والمنخرطين في سلك حِزْبِهِ.

وبَعد:

فهذه هي الطبعة الخامسة لهذا الكتاب في غضون أقلَّ من أربع سنوات، وهذا يدلّ على حقيقتين مهمتين:

الأولى: أن التيار الإسلامي في كوردستان في حالة نموٍّ مُطَّرِدٍ وخاصة وسط الشريحة الأكثر حيويةً و نشاطاً في مجتمعنا الكوردستانى وهي شريحة الشباب والطلبة من كلا الجنسين.

الثانية: أن التيار العلماني الداعي الى النظريات والأفكار الغربية والشرقية والنَّأْي عن الإسلام بالرَّغْم من تَبنيِّ كلتا الأدارتين الحزبيتين في (هەولير) و (السليمانية) له، وتقديم الدّعم والتمويل له بِسَخاءٍ بالغ، لكنّه يسير نحو التراجع والفشل الذّريع وأزمات مُستَفحَلة ولَيس بإمكان أية قوة إنقاذه من مصيره المشئوم الآيل اليه.

وَسبب ذلك هو أن العلمانية و سائر النظريات والأيدولوجيات المستوردة، نابعة من أرضية مختلفة تمام الإختلاف عن أرضية مجتمعنا، وبالتالي فهي لاتجد لها دوافع الوجود وعوامل البقاء فينا نحن المسلمين التابعين لكتاب الله وَسنة رسول الله ﷺ، لِذا فَلَنْ يُجْديَ النَّصَبُ والكدُّ والبَذلُ في سبيلها ولا يرجع أصحابها في نهاية المطاف الاّ بِخُفَّي حنين.

أسـأل الله تعالى أن يُبارك في جهدي هذا وَ يجْعَلُـهُ سـبباً لِتَبْصير عدد أكبر مِن شباب وَمُثَقّفي شعبنا وأن يغفر لي عمّا جرى على لساني فيه مِن خَللٍ أو زللٍ.

علي باپيـر
14 شوال 1426
16 تشرين الثاني 2005م السليمانية

مقدمـة المتـرجـم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله و صحبه و من والاه... وبعد: فأن الإسلام ولاريب يمرّ بمرحلة من ادق مراحله وأصعبها وأخطرها، ذلك ان الزمان عاد كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض واستشرى العداء في طول العالم وعرضه لهذه الشرعة التي ارتضاها الله سبحانه لعباده، ولقد اتخذ العداء اشكالاً وصوراً تَجِلُّ عن الحصر، تختلف باختلاف الزمان والمكان، تخفت حيناً وتشتدّ احايين اُخرى، وقد جاء كل هذا مصداقاً لغربة الإسلام التي أخبر عنها المصطفي ﷺ في الحديث الذي بلغ حد التواتر عند بعض العلماء وهو قوله: ((بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ– غريبـاً، فطوبى للغرباء)) (رواه مسلم و غيره).

ولقد دلت تجارب التاريخ المتعاقبة، أن أهل الإسلام وأبناؤه الخلصاء لايضعفون بالمحن، ولا يفتّ في عضدهم الفتن، نعم قد تضعف نأمتهم و تعصف رياح العذاب بهم، حتى ليخيّل لمن لا يستفيد من دروس التاريخ انهم لن تقوم لهم قائمة أبداً، ولكن ذلك محض أباطيل وأسمار، إذ سرعان ما يستعيدون عافيتهم ويعوِّضون ركودهم بروح ملؤها الجد والمثابرة، ودون مَنْ يطرق الشكُّ قَلْبَهُ من هذا، كُتُبَ التاريخ والتي حفلت بذكر ما حلّ بالمسلمين من مآسٍ في تاريخهم المديد، اخص بالذكر الفواجع الأليمة التي لحقتهم على يد التتـار، ثم الحروب الصليبية التي كانت ما تفتأ تنتهي حملة حتى تبدأ أُخرى، ناهيك عما جره القرن العشرين من ويلات على المسلمين تشيب لها نواصي الأطفال في أغلب بقاع الأرض، وليس أدلّ على ذلك من محنة المسلمين في البوسنة والهرسك حيث أُقيمت لهم منذ انسحاب

الجيوش العثمانية من البل قان ت سعة مذابح كا نت آخر ها في ع هد ((ميلوسوفج))، وهذا لا يعدو ان يكون مثالاً، لان الاستقصاء في هذه العُجالة غير مقدور عليه.

ثم جاء زمان اتخذ فيه العداء صوراً جديدة، فالمعركة هذه ا لمرة لا تدار بالأسلحة، وانما تدار بالأقلام والأفكار، فقد أصبح الإسلام يُقوَّل مالم يَ قُلْ، ويحمّل مالا يحتمل، ويعرض ماهو دخيل عليه كأنه من صلبه وأساسه، ساعَدَ عَلى ذلك الجَهْلُ من قبل أبنائه و أعدائه على حد سواء، هذا يدفعه جه له الى الأنحراف والأبتداع وعدم الأحساس بالمسؤولية، وذلك يدفعه الى العداء الكفرُ والضَّلالُ.

وفي خضمّ المستجدات الفكرية الحاصلة في العصر الحديث والمصطلحات التي طرأت على مجتمعنا وخصوصاً الوافدة منها من الغرب، استوجب ذلك بالحاح ان يتصدى لتصحيح المفاهيم وتقويمها في ضوء الإسلام الغيورون من العلماء والمفكرين، وكان لطروء هذا الميدان الحساس، والذي لاتقلُّ خطورته عن الميدان الذي سبقه، مترتباته وآثاره الخطيرة ايضاً، اذ باتت الأفكار تُقحم في رأسك، والتصورات تدخل عليك البيت عنوة عن طريق وسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمقروءة. والحق ان الكتا بة في هذا الم ضمار لي ست جديدة، فلقد سبق لأعلام كبار ان كت بوا حول الم صطلحات والأف كار الطارئة على المسلمين في العصر الحديث، فقد صنف الأستاذ عباس مح مود العقاد كتاباً عن الديمقراطية، وألفَّ الدكتور مصطفي السباعى كتا باً عن الاشتراكية في الإسلام! كما تناول الشيخ الازهري علي عبدالرازق ب عض القضايا السياسية في كتابِ المردود عليه ((نظام الحكم في الإسلام)) وغيرهم كثير.

ولكن هؤلاء □ مع الأسف الشديد كانوا مِمَّنْ أَخَذَ بأبصارهم وهج الحضارة الغربية وبريق المصطلحات الوافدة، فتحولوا الى مُرَقِّعِين للأسلام! كأن الإسلام مجموعة عورات تعوز مَنْ يُرَقِّعُها، وكان قد مهد لهذا الأنهزام الداخلي كتابات الشيخ محمد عبده وأستاذه جمال الدين الأفغاني، حيث بذلا جهدهما □ وليتهما لم يفعلا □ لتطويع الآيات القرانية للنظريات الغربية الحديثة، فالشيخ محمد عبده مثلاً، كان يَميْلُ الى تأويل مالا يقتنع به الغربيّون ليُقَرِّبه الى أفهامهم فقد كان يفسر ((حجارة من سجيل)) بأنها جراثيم الجدري، وكان يتكلف اشد التكلف في التضييق على تعدد الزوجات حتى يكاد يمنعه، وكذلك في الطلاق وقضايا اخرى كثيرة، وكان ذلك غَيْضاً من فيض السيئات التي افرزها المنهج الذي اُصطلح على تسميتها بالعقلانية، لكن جيلاً نشأ بعد هؤلاء، كانت همتهم محلقة في فَضاء من العزة والأنفة والأعتزاز بالإسلام، لقد كان الفارق بين الجيلين عظيماً، فالذين عاصروا بداية الهجمة العاتية للمفاهيم والتصورات المصطلحات الغربية، استسلموا لها وطوّعوا النصوص بما يوافق، اما الذين تلوهم من العلماء والمفكرين منذ منتصف القرن المنصرم ولاحقاً، فقد كانوا ينظرون الى كل ذلك من علوّ الإسلام فلا يرونها الا تخبطات بشرية، وآراء يشوبها النقص ولا يمكن مقارنتها بالوحي المنزَّل.

وربما كان الأستاذ الشهيد سيد قطب وشقيقه محمد قطب من أوائل من جسدوا هذا المسار بكتبهم الكثيرة التي أَلَّفوها بهذا الصدد وكثيرون جاؤوا بعدهما، لكنني اكتفي بالاشارة الى مؤلفات المؤرخ وَالمفكرالمصري (انور الجندي) حيث اغنى المكتبة الإسلامية بكتبهِ النافعة في هذا المجال.

ويأتي كتاب الشيخ علي بابيـر هذا، والذي قمت بتعريبه ضمن سلسلة الكتابات التي تسعى الى تنوير الدرب امام المسلمين، – وَقد أعيد طبعه لحدِّ الآن خمس مرّات باللغة الكردية– فقد تناول الشيخ وهو علَم من اعلام كردستان المعروفين في ميدان العلم والعمل الحركي جملة من المصطلحات التي اختلطت بحياة الناس وباتت تتحكم في أدق أمورهم في هذا العصر، وقد عالجها من زوايا متعددة بما يتناسب مع الأوضاع الراهنة في المنطقة والعالم، والحق ان الساحة الفكرية في كردستان والعراق أحوج ماتكون الى كُتُب كهذا، بسبب الخطورة التي تشكلها المعاني والمعطيات التي تفرزها مصطلحات من قبيل العولمة والإرهاب والديمقراطية والتفريعات المنبثقة منها من جهة، ومن جهة أخرى بسبب ندرة الكتّاب والموجهين الناصحين الذين يَحُولون دون وقوع المسلمين الى هاوية الأفكار والتصورات المتناقضة مع مقتضيات دينهم، إذ ان المرحلة التي نمر بها كما أسلفت بالغة الخطورة و تقتضي من المسلمين الثبات أمام هذه العاصفة الهوجاء، كما ان من آكد واجباتهم الشرعية أن يحددوا منها موقفهم، ويميزوا بين ما يتعارض منها مع الإسلام وما يتفق، وليس من عاصم – في خضمّ هذا العُباب المتلاطم – الا اللياذ بشرع الله تعالى والاحتماء بركنه الشديد وإلاّ (فقل يازلة القدم)

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

احســـان برهان الدين
السليمانية 13 /4 /2006

تمهيد

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله و صحبه و من اهتدى بهداه وبعد...

أيّها القارئ العزيز!

إذا تأمل الإنسان في التأريخ البعيد والقريب للبشرية تتضح له سنن الله تبارك وتعالى التي وضعها لحياة الإنسان، تماماً كما تبدو جلية القوانين الكونية الفيزيائية والبيولوجية التي سنّها الله جلت قدرته للكائنات جميعاً. ولهذا يأمرنا الله تعالى في العديد من آيات القرآن بالتفكر والتدبر في الموجودات من حولنا والظواهر الطبيعية المتناثرة في هذا الكون الفسيح، حتى نستجلي سنن الله في الكون المطبوع، كما يقول تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ**﴾ (الأعراف 185).

ويقول أيضاً: ﴿**أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۞ وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ ۞ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۞ وَإِلَى الأرض كَيْفَ سُطِحَتْ**﴾ (الغاشية 17-20).

وفي التفكير في آثار الغابرين والتأمل في قصصهم لأخذ العبرة وتدبر سنن الله في حياة الإنسان، يقول تعالى: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأرض فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۞ هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ (آل عمران 137- 138).

واحدى سنن الله وَقوانينه التي تُرى في حياة الإنسان والشعوب، وا ـلتي سبق الى ذكرها لأول مرة المؤرخ الألمعي (عبدالرحمن بن خلدون) في كتابه الرائع (المقدمة) هي: أن الشعوب المغلوبة مولعة بالأقتداء بمن وضعوهم قيد السيطرة والأحتلال، حيث يقول (فصل: في أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيّه ونحلته وسائر أحواله وعوا ـئده) المقد ـمة (116-117)، ومع أن ما قاله (إبن خلدون) لا يتطرق اليه الشك في تصوري، إلاّ ان الشعوب المريدة للحياة والتي تتمتع بالعزم والأرادة الصلبة، هم ا ـلذين لايرضخون ولا يستسلمون للسنن التي تلحق بهم الضرر، بل كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ﴿أفرُّ من قدرالله الى قدر الله﴾[1] فهم يـ ـسعون بواسطة الأقدار التي في صالحهم، ان يتجنبوا ويحموا أنفسهم من الأقدار التي تضر بهم.

والذي اريد قوله بعد هذا التمهيد هنا، هو ان شعبنا عموماً قد و ـقع - بنسبة ما - تحت تأثير أهل الكفر، كما هي حال باقي الشعوب الإسلامية، وهو بالتالى سعى ويَسعى ان يقلدهم ويمشي على آثارهم، ابتداءً ـمن الملابس وانتهاءً بالتفكير والإعتقاد، كما اشار الى ذلك العلاّمة إبن خلدون في معرض حديثه عن الشعوب المغلوبة.

فها نحن نرى في وضح النهار أن حشوداً من الدارسين المُعْتَبِرين أنفسهم مثقفين ومتعلمين[2] لا يترددون طرفة عين للإستـ ـسلام الى ـكل المـ ـفاهيم والتفسيرات الوافدة من أهل الكفروخصوصاً من الغربيين سواء كا ـنت في مجال الفكر وَالأعتقاد، أو غيرهما من المجالات، حتى وَان كانت تلك الآراء

---

(1) رواه البخاري، ويحكى عن الشيخ عبدالقادر الكيلاني ما يقارب هذا المعنى ..
(2) وعندنا بفضل الله تعالى اناس كثيرون لا يستسلمون لمثل هذه المفاهيم والافكار.

والتفسيرات وليدة واقع القوم وظروفهم التي تختلف عن ظروفنا كل الإختلاف، وإن العبد الفقير عازم بالالتجاء الى قدر آخر من أقدار الله تعالى– وهو سنة تغيير النفس لتغيير الواقع، والتي أشار إليها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد– 11) . نعم إنّني عازمٌ بالأستناد الى تلك السنة ان أدُلَّ مجتمعي وقومي على طريق يخلِّصهم من داءِ التقليد واعجاب المغلوب بالغالب، وذلك لأنّني اعتبر نفسي مخلصاً لقومي، وانّني لعلى يقينٍ ان مجتمعنا وأي مجتمع آخر قد تنتهي به الحال الى الضياع والأضمحلال من جرّاء التقليد والتيه والنظر الى الأعداء بعين الأعظام، وخصوصاً اذا كان الطرف الْمُقَلَّد وَالمُوْلَع بِه هي الحضارة الأوربية المتدنية الى مستوى الحيوان!

وجدير بالذكر ان عالم الاجتماع المسلم (ابن خلدون) قد عَدَّ ظاهرة اندحار الشعوب المقلِّدة أيضاً سنة من سنن الله تعالى في حياة البشر[1] وفي سبيل تحقيق هذا الهدف اضافة الى خطواتي الأخرى في هذا المجال رأيت من واجبي كتابة سلسلة من المواضيع، التي سبق وان ألقيتها كمحاضرات، تحت عنوان ((قضايا معاصرة)) وكل موضوع بعون الله تعالى سَيُكَرَّسُ لبحث احدى المسائل السائدة في هذا العصر والتي يكثر عنها الحديث والجدال من جميع شرائح المجتمع.

والذي قادني الى اختيار مثل هذه المسائل هو أن أياً منها لَيْسَتْ نابعة من واقع قومنا ومجتمعنا، وهبْ ان القضايا التي اضطر لها الغربيون في ظروف يكتنفها الأضطراب والتخلخل قد أثمرت في يوم من الأيام خيراً لمن تدعيها

(1) أنظر (المقدمة)، ص (117 118)، (فصل: في ان الامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع إليها الفناء) .

ومبتكريها، فان مجتمعنا لَيْسَ في حاجة تضطرهُ الى ذلك، وَ كذلك لا تحِلُّ تلك المسائل من مشاكله شيئاً، بل لو وجد فيها خيرٌ قليل فهي تتضَمَّن شروراً كثيـرة.

نعم ان كلاً من الإرهاب والعلمانية وحقوق الإنسان(1) والديمقراطية العولمة، والتي سيشكل كل منها حلقة من حلقات هذه السلسلة، لا تمت بِصلَةٍ الى واقع هذا المجتمع في قليل ولا كثير، وعلى فرض ان تكون هذه المسائل تمثل علاجاً لأناس آخرين ومجتمع آخر، فليس من المعقول ان نبادر الى اللياذ بها وتَبَنِّيها، اذ علاوة على عدم جدوى مثل هذه الأدوية التي ليست في الحقيقة إلاّ أدواءً فلا يستبعد ان يؤدي الإستعمال الجزافي لها إلى كوارث لا تحمد عقباها! على امل أن تساهم الكتابة في هذه المواضيع في إضاءة الدرب للكثير من أبناء هذا المجتمع ونجاتهم او الحفاظ عليهم من داء التقليد القاتل كي لاينظروا بأعين غيرهم، ولا يسمعوا بآذان غيرهم،ولا يفكروا بعقول غيرهم، وخصوصاً أناس غارقين في التيه الى أذقانهم كالغربيين.

فهم بالرغم من التطور التكنولوجي والمادي وإشباع الجانب الحيواني المتمثل في الغرائز، الا ان الذي يدقق النظر ويعاين وضع القوم من منظار الايمان بتجرد دون انحياز، يتبين له بما لا يدع مجالاً للريب، ان تلك المجتمعات تعيش في فراغ و فساد وضلال بعيد، ويعلم يقيناً انهم على شفا جرف هار، واختتم التمهيد لهذه السلسلة بهاتين الملاحظتين:

الاولى/ مِمّا لا جدال فيه ان كل كلمة أو مصطلح وخصوصاً ما استحال إلى رمز أو عنوان للمسائل الهامة والطرائق والنظريات الكبرى، لا بد من

---

(1) اي بالمفهوم الذي يستعمله الغرب كما سنبين ذلك لاحقاً، وليس على إطلاقه، ذلك ان مصطلح (حقوق الإنسان) مصطلح جذاب يأخذ القلوب اذا لم تكن كلمة مفرغة من معناها.

النظر إلى جذورها والإستماع إلى من كانوا وراء ظهورها لأول مرة، لا ان نخترع لها من عند أنفسنا معاني تتَلائم مع أهوائنا ورغباتـنا، لأنـنا في هذه الحال سنكون عُرضة للأخطاء والتخبط.

الثانيــة/ من المستهجن أن نسارع دون تحقيق دقيق وعميق في ديننا وتراثنا وثقافتنا وواقعنا، مدفوعين بالعاطفة العمياء– الى تَبنِّي الكلمات والمصطلحات والنظريات الغربية التي نشأت في واقع مختلف عن واقعنا، فهذا شبيه كما أسلفنا بمريض يستعمل دواء مريض آخر، أو بمن يلتجيء الى هذا وذاك ولا يعلم ان ما يطلبه موجود في بيته والله سبحان وتعالى هو المسؤول أن يُكسب هذا النتاج من البركة ما يجعله محققاً للأهداف التي كُتب من أجلها.

25 / رجب / 1423 هـ

2 / 10 / 2002 أحمداوا

تنبيـهات ثــلاث

1- إبتداء كنت عازماً على طبع كل حلقة من حلقات هذه السلسلة ع ـلى حدة ثم آل رأيي الى جمع المواضيع الخمسة وطبعها في كتاب معاً، لذلك يلاحظ استعمالي لكلمة السلسلة لجملة البحوث والحلقة لآحادها.

2- كُلُّ موضوع من موضوعات هذه السلسلة كان في الأ صـل ـندوة أو محاضرة لِذا يطغى عليها أسلوب الخطاب وا لحديث، ولم أ جِد داع ـياً لتغيير ذلك، لهذا وجب التنبيه.

3- ان كلاً من المواضيع التي تحولت الى رسائل هنا، قد جرت فيها ا سئلة ومداخلات من قبل الحضور، ولم نر ضرورة تثبيت ت ـلك ا لمداخلات، وما كان منها متضمناً لجديد قُيدّت اثناء كتابة هذه المحاضرات، و نحن نشكر جميع أولئك المشاركين على تلك المداخلات.

الحلقــة الأولــى

الإرهاب في ميزان الشّـريعَة

الإرهاب في ميزان الشـريعة

قرائـي الأحبـــة !

الرسالة التي في متناول أيديكم هي الحلقة الأولى ضمن ((قضايا معاصرة)) وهي في الأصل محاضرة ألقيت في ندوة عقدها مركز الجماعة لي في السليمانية في 4/ جمادي الثانية (1423هـ 15/8/2002) في قاعة (الثقافة) ثم تجشم أحد إخوتنا عناء تفريغها من الشريط الصوتي، فيما أعاد كتابتها ورتبها أخٌ آخر، وقد راجعتها ختاماً وتصرفت في بعض الكلمات والجمل تصرفاً يسيراً، وفيما عدا ذلك فقد أثبتُّها كما هي تماماً، فجزى الله الأخوين على صنَيعهما، وجعل هذا النّتَاج مسموعاً ومرئياً ومكتوباً مَدعاة لأزالة الغشاوة عن أعين الكثيرين من الذين فهموا سيا للأسى مسألة الإرهاب بخطأ بالغ، فهم يعتبرون ذلك مرتبطاً بالإسلام بصورة مباشرة، والحال ان هذا المصطلح لايمتّ الى الإسلام والمسلمين بـأدنى صلة لامن حيث الأصطلاح الفكري والسياسي، ولا من حيث الجوهر أو المضمون، وبالتالي فليس له في الشريعة مكان، كما هومبين في هذه الرسالة ومثبت بأدلة شرعية وعقلية ذات شــأوٍ من المتانة.

الـــمقـــدمـــة

أرحِّب بادئ ذي بدء بجميع الحـضور، وأخص بالذكر الاساتذة الكرام، نسأل الله تعالى ان يجعل مجلسنا هذا مفعماً بالخير لدنيانا وأخرانا.

أعزائـــي:

تعد مسألة الإرهاب من أكثر المسائل المثارة في أيامنا ولا يخفى ان شريعة الله لم تترك مسألة مُهِمَّةً لم تضع فيها النَّقاط على الحروف، علمه من علمه وجهله من جهله، ومن منطلق أن مسألة الإرهاب تتَضمَّن ولا يزال تمويهاً كثيراً، وهناك أناس غافلون أو متغافلون يريدون ان يجعلوا الإرهاب مرادفاً للأسْلام، وبحسب اطلاعي في الكتاب والسنة و بالنظر الى تأريخ الدولة الإسلامية إعتبارًا من اليوم الذي وضع رسول الله ﷺ حجر الأساس لها وحتى نهايتها على يد (كمال اتاتورك) بتخطيط من الأمبريالية العالمية سنة (1924)، يلاحظ ان الإسلام والمجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية كانت بريئة من الإرهاب، فيا عجباً ما الذي يحدو بالبعض في سبيل الأستبراء والتنزُّه من تهمة الإرهاب، ان يبتعدوا من الدين من أساسه و من الإسلام برُمتَّهِ، وعلى أحسن الأحوال اذا لم يرفضوا الإسلام جملة، فلا أقلَّ من ان يعتبروه حالة شخصية تشمل الإيمان والعقيدة لذات الشخص، ويتوجب عليه الإبتعاد عن العمل الإسلامي. وتجنُّب الجهاد في سبيل الله وإن تَحَتَّمَ، كي يضمن براءة ساحته من التهمة المشارة اليها آنفاً.

وانَّني سأتناولُ – بإذن الله تعالى – موضوع الإرهاب من خلال خمس وقفاتٍ وبالصورة الآتية:

تشمل الوقفة الأولى تعريف الإرهاب من الناحية اللغوية والمصدر الذي انبثقت عنه كلمة (Terror) والمكان الذي ظهرت فيه لأول مرة، ومتى استخدمت هذه الكلمة كمصطلح سياسي رُوِّج له.

اما الوقفة الثانية فسأتناول فيها الحديث عن ان جوهر الإرهاب ومضمونه ليس خاصاً بأيِّ مجتمع او جهة معينة.

وسنكرّس الحديث في الوقفة الثالثة عن نظرة الى تأريخ ومجريات الأحداث فيها مابين المسلمين ومن عداهم، وسيتضح لنا عظم الفارق بينهم وبين غيرهم، حيث لن يكون نصيب المسلمين مما نحن بصدد الحديث عنه الاّ أقل من القليل، وان من الأجحاف ان يوضعوا في كفة الميزان مع غيرهم.

وَسَنُثْبِتُ في وقفتنا الرابعة من هذا الموضوع أنَّ الإرهاب لايمكن ان يكون له موطيء قدم في شرع الله سبحانه وتعالى، ثم نختتم الحديث عن هذه القضية بالأجابة على بعض الأسئلة وحلّ لبعض الأشكالات بذكر حكم الشرع بخصوص الجهاد، والأغتيالات، وقتل المدنيين والمواطنين العزّل، وما الهدف من سعي البعض لألِصاق تُهْمَةِ الإرهاب بالإسلام بذريعة تلك التصرفات.

الوقـفــة الأولــى

تعـريف الإرهـــاب

لا يمكن للأنسان ان يكون له موقف منطقي واضح من قضية ما، إلا بعد التعرّف عليها، فالحكم على الشيء □ كما يقول الأصوليون □ فرع عن: تصوره، ومن هنا □ أيضاً □ نفهم المغزى من كِلام ا هِل الأ صِول عِن (تنقيح المناط) و ((تحقيق المناط)) فأحياناً يحتدم الخصام بين طرفين ثم يتبيّن انهما لم يتمكنا من فهم بعضهما البعض، وقَديماً قيل بحقٍ: «ف يهم الـ سؤال نصف الجواب».

إذن فلننظر الى المصدر الذي وردت منه كلمة الإرهاب او «**Terror**»:

اتفقت جميع المعاجم اللغوية كالمعجم الوسيط[1] وقاموس (مجـ مع اللـ غة العربية)[2] وقاموس (أوكسفورد) البريطاني و(لغة نامه)[3] لِمؤلِّفِهِ (دهخدا) الذي يعد اكبر قاموس باللغة الفارسية، وكذلك معجم (العميد)[4] وسائر المعاجم الأخرى، على ان أصل كلمة «**Terror**» يرجع الى اللغة الفرنسية، ويقولون بان هذه الكلمة تعني الأخافة والإرهاب وتهديد الناس، وقد تصل الى القتل والإبادة، هذا هو المدلول اللغوي لهذه الكلمة التي رغم كونها □

---

(1) ص (376).
(2) الذي نقل منه المعجم الوسيط .
(3) ج (2) ص (6683).
(4) ص (431) ط / 8 .

كما قلنا فرنسية الأصل، إلا أنها استعملت في اللغات الأخرى كما هي كلمات اُخرى، وَ روّج لها ترويجاً عجيبـاً.

الآن دعونا نتعرف على المعنى السياسي الذي تتمخض عنه هذه الكلمة في القاموس السياسي، فنقول: الإرهاب بآختصار عبارة عن: القتل السياسي بسبب استعمال السلاح، والى هذا التعريف مال (قاموس مجمع اللغة العربية) الشهير.

وكذلك (المعجم الوسيط) حيث بعد أنْ أرْجَع كلمة (تيرور) الى (الإرهاب) قال: أرهب فلان فلاناً يُرْهِبُه أي، خوَّفه وفَزَّعه... والإرهابيّون وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق اهدافهم السياسية، إذن فالإرهابي هو الذي ينتهج العنف والقتل والتعذيب والأخافة طريقاً لبلوغ مآربه السياسية، فمن كان هكذا فهو ارهابي ومنهجه الإرهاب، كائناً من كان ذلك الشخص مسلماً او كافراً، شرقياً او غربياً، فالحكم في هذه الأصناف حكم واحد مادام الوصف منطبقاً عليهم.

وقد ورد تعريف مادة (تيرورزم) في قاموس (العميد) كما يأتي: هو منهج لأفراد يستخدمون أُسلوب القتل والتهديد وإيجاد المخاوف والقلاقل والإرهاب بأي صورة سُنِحَتْ لهم و يرون كل ذلك مشروعاً لا بأس به في سبيل تغيير دفة الحكم أو الوصول الى مقاليد السلطة.

لكن متى كان ظهور الكلمة لأول مرة؟!

جاء في كتاب (تأريخ جهان)[1]، وكذلك أشارت الى ذلك القواميس اللغوية، أن أول ظهور لكلمة (تيرور) كانت في سنة 1793م في فرنسيا

(1) وهو كتاب فارسي ضخم و قرأته في (CD).

ذلك ان الثورة الفرنسية حدثت في سنة 1789 وقد استولى على الحكم بعد مدة من اندلاع الثورة رجل يُدعى (روبسبير) وقد امتدتْ فترة حكمه مابين (1793–1794) وكان يقتل كل من يتهم بعداء الثورة، حيث بلغ مجموع الذين اشتبهوا بعدائهم للثورة وقتلوا (35.000) شخصاً، وكان من ضمن من قتلوا (دانتون) وكان من منظرِّي الثورة الفرنسية المحبوبين و كذلك (لويس السادس عشر) الذي كان ملكاً لفرنسا، وكان الذين يقتلون يُذبحون بآلة تسمى (گيوتين) وهى آلة رسمت لها بعض القواميس صورة، حيث يمدد المعتقل كالجنازة على طوله، توجَدُ عند رأسه حديدة موصولة بمفتاح كهربائي تفتح عند الضغط عليه لتقطع رأس المعتقل، وهكذا قتلوا (35) الفاً، والغريب ان (روبسبير) نفسه أعدم بهذه الآلة وبذلك انتهى عصر الإرهاب او (عهد التيرورزم) كما يسميه الفرنسيون.

اذن، فنحن لو نظرنا الى تلك الكلمة وذلك المنهج نظرة واقعية، سواء من الجانب اللغوي، أو كمصطلح سياسي، يتضح لنا إن الكلمة لا تمتّ الى العالم الإسلامي ولا المشرق بأدنى صلة، بل إنها كلمة غربيّة، وتحديداً فهي كلمة ومصطلح فرنسي. هذا فيما يخص مفهوم كلمة (**Terror**) وكيفية ظهورها ككلمة ومصطلح سياسي، فهي لا ربط لها البتة لا بالإسلام ولا بالعالم الإسلامي ولا بالامّة الإسلامية.

الوقفـة الـثـانـيـة

إن فحوى الإرهاب وجوهره هو أنَّهُ ظاهرة عالمية عامة وقديمة

تحدثنا فيما سبق عن كل مة (Terror) ككل مة وم صطلح سيا سي واسلوب للتعامل، اما الإرهاب جوهراً ومضموناً فهو ظاهرة عالمية وعا مة، أي انه ليس ولم يكن خاصاً بشعب ومجتمع ومكان و زمان، بل هو ظاهرة قديمة، ذلك ان المعنى الذي ينطوي عليه الإرهاب و ا لتيرورزم هو فرض التصورات على الآخرين بالقوة والاكراه دون ان ت كون لهم ب ها قناعة، و ان تجبرهم عليها و تقمعهم وتدوس ارادتهم، هذا هو الإر هاب، والإرهابي شخص أو طرف ما ي سعى ل فرض ت صوراته و قناع ته ع لى الآخرين، سواء كانت تصورات دينية أو سياسية او فلسفية، او مذهبية، او أية تصورات اُخرى، فمتى ماسعيت لفرض قناعاتك او قناعات كتلة او هيئة او جماعة أو دولةٍ عن طريق القوة والأكراه على غيرك، فلا ريب بأن هذه حالة من الإرهاب.

ونحن لو ألقينا نظرة على التأريخ لوجدنا ان هذه الممارسة كانت موجودة دوماً، لماذا؟ لأنها متعلقة بغريزة الشهوة وَالعصيان والغرور في الإنسان، وهذه الغريزة موجودة ضمن مجموعة من غرائز الشر في الإنسان، كما ان ه ناك غرائز اخرى خيرة ممزوجة بأعماقه ليكون مؤهلاً للتجربة والاختبار بو جود كلتا حالتي الخير والشر فيه، كما يقول تعالى عن النفس البشرية: ﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾(الشمس -8)، فالله جلت قدر ته ج عل طبي عة ا لنفس الإنسانية على صورة قادرة على القيام بالشر كل الشر والخير كل الخيــر.

إن الإنسان مخلوق نادر حقاً بين المخلوقات، وهو يتمتع دون غيره بمساحة فسيحة ورحبة للسّمو أوالتّدني، فالملائكة كتب عليهم البقاء في المستوى الرفيع الذي وهبهم الله تعالى، والأَشجار والأحجار وكذلك الأحياء والنجوم والكواكب ماكثة في حالاتها لا تتمتع بفسحة تتنقل من خلالها سمواً وانحطاطاً، أما الإنسان فانه قادر على الرفعة والسمو الى درجة من الطهر والأحسان يستحق سجود الملائكة له، وبامكانه بالمقابل ان ينحطّ الى الحضيض: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمِ ۞ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۞ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُون**﴾ (التين: 4-6) أي أن الإنسان خلق على أحسن واجمل هيئة [1]، بحيث يتمكن من خلافة الله على الأرض، بمعنى تحقيق شريعة الله على الأرض كما أشار الى ذلك (القاسمي) و (القرطبى) و (سيد قطب) في تفاسيرهم [2] و يتمكن كذلك بسبب إرادته الحرّة بدل السموّ أن يتدنّى حتى يصل الى مستوى الشيطان، بل أحط من الشيطان نفسه ليصل الى أسفل سافلين: (**ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ**)، وان احدى الغرائز الشريرة التي خلق بها الله في الإنسان ليبتليه بها هي غريزة التمرد والغرور، كما يقول تعالى: ﴿ **كَلاَّ إِنَّ الإنسان لَيَطْغَى ۞ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى**﴾ (العلق 6 7).

ولو نظرنا الى مجريات سَير الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، لوجدنا ان معارضيهم كانوا غالباً يتكونون من طبقتين، طبقة الُمتْرَفين والُمسْرِفين الذين

(1) ليس المقصود من التقويم الهيئة والشكل الجسمى فقط وانما المقصود بذلك الهيئة والتركيبة النفسية و المعنوية التي يتميز بها الانسان عن سائر مخلوقات الله.

(2) (تفسير القاسمي) ج/1 ص(95)، و (الجامع لاحكام القرآن) ج/1 ص (223)، و (في ظلال القرآن) ج/1 ص (560).

عصوا الله تبارك وتعالى بسبب أموالهم وثرواتهم، واستعمل للطبقة الأ خرى وصف المستكبرين، وقد استعمل الله لأ ناس ي قع ع ليهم الح يف كلـ مة (المستضعفين)، وهنا كل من (المستضعفين)و (المستكبرين) دخل عليهما (س) الطلب، ليظهر انهم لي سوا ضعفاء في الأ صل وا نما ضُعِّفوا، ك ما ان المستكبرين ليسوا في الأصل كباراً وانما كبّروا أنفسهم، ولا تت عارض آ ية: ﴿وَخُلِقَ الإنسان ضَعِيفًا﴾ (النساء -28)، مع مانحن بصدد بحثه واثبا ته، لأن المقصود بالضعف هنا هو الضعف المتعلق بالجنس والن ساء، ا ما المق صود بالضعف الذي يُلْحِقُهُ الجبابرة والفراعنة بالمغلوبين على أمرهم، ف هو ا لذي ينشأ من الجبروت والهيمنة اللّتين يستضعفون الناس بهما، ولنَنْظُر في الآ ية (34) من سورة سبأ، وقد وردت الآية نفسها في سورة (الزخرف) بطريقة أخرى، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾(سبأ- 34) .

نعم أيها الأخوة !

يجب ان نعلم جميعاً هذه الحقيقة: أنَّ من أوائل الأ عداء ا لذين ناوئوا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ووقفوا في وجوههم هم المتر فون، ا لذين كوّنوا ثرواتهم من المال الحرام وَ أعْلَوا قصورَهم و ناطحاتِهم على ح ساب الفقراء والمحرومين، وعندما أرسل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وَ قر عوا أسماع المترفين بِأَذان الحرية وتحرير المستضعفين لاشك انهم لم يحلو لهم ذلك الأذان، إذ لم يكونو مستعدِّين للتنازل عما كانوا يعيشون فيه من ا لترف والثروة وَ بهرج الحياة، لذلك ركبوا مركب الشر وتصدوا لسبيل الأنب ياء عليهم السلام، أما الطبقة الثانية فهم كما أشرنا آن فاً، كانوا من ا لذين

استكبروا ونظروا الى أنفسهم نظرة الأعظام، و كما ان المترفين كانوا في ثراء فاحش عن طريق المال الحرام والأساليب المخالفة للشرع، فكذلك المستكبرون نالوا السيطرة على رقاب الناس عن طريق الظلم والأجحاف، كما يقول تعالى: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ (الاعراف 88)، وكما ترون فان أعداء الأنبياء عليهم السلام يقولون لهم ولأتباعهم بصفاقة وصراحة متناهية: ليس لكم حتى حق التفكير بحريتكم، وليس لكم ان تتبعوا منهجاً غيرما نحن عليه، والاّ تعرضتم للتعذيب والأنتقام أوالطرد، اذاً فهؤلاء المعارضون للأنبياء (صلوات الله و سلامه عليهم) هم الذين سلبوا من أهل الايمان حرية التفكير، واختيار منهج الحياة على عكس الدّعايات المغرضة المموهة التي يروجها أعداء الأنبياء عَليْهم السلام، إذ الأنبياء لم يسلبوا تلك الحقوق من أحد أبداً، وسنشير الى هذه المسألة لاحقاً، ثم لِنُلْقي نظرة أخرى الى قصة ابراهيم (عليه السلام) مع نمرود ماذا نلاحظ في ثناياها؟ فإبراهيم (عليه السلام) عندما يقف مع الطاغية وجلاوزته وجهاً لوجه، يحاورهم ويناقشهم لكي يدحض شبهاتهم و يقيم الحجة عليهم، ولكن، لنرى امام هذا كله كيف كان رد الفعل لدى الطاغية، وما هي الوسيلة الأخيرة التي لاذ بها: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء 68).

أيهـــا الأخـــوة!

هكذا الجبابرة والفراعنة امام الأنبياء، يلجئون الى النار والحديد والسوط والعصا، لماذا؟ لان عقيدتهم الوثنية ليست الا من نتاجات شهواتهم وظنونهم الباطلة، وقد تداعت كعقيدة زائفة امام العقيدة الصحيحة المنبثقة

من علم الله وحكمته، وعندما فشلوا في ذلك الميدان التجئوا الى سلاحهم الأخير الذي هو التهديد والإرهاب والأخافة، ثم النار والحديد والسَّوط وأعواد المشانق، وهو الشيء نفسه الذي يسمونه في عصرنا ارهاباً و قتلاً!! وعندما يواجه موسى عليه السلام فرعون وَحاشيته و يُفحِمَهُمْ بالحجة وَالدليل القاطع المقنع، و لَم يكن برفقته إلاّ اخاه وعصاه، متحصنين بمنهج الله تعالى والرسالة الموكولة اليهما، فليس هناك سلطة جبّارة، أو قوة جرّاره، ولكن ماذا كان جواب فرعون الطاغية لهذا الأسلوب الدعوي الذي انتهجهُ موسى معهم؟ ان الكلمة الأخيرة التي تكلم بها فرعون أمام موسى هي قوله: ﴿**قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ**﴾ (الشعراء 29)، اي سأجعلك ضمن المساجين الآخرين الذين سجنتهم، وفي هذه الحالة لا يلوذ ولا يلتجيء موسى (عليه السلام) إلاّ بجناب الله تعـالى: ﴿**وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ**﴾ (غافر -27)، وهكذا الطواغيت المستكبرون، يلوذون بالحديد والنار والتعذيب والاعتقال والتشريد كلما انقطعت حجتهم وعجزوا عن الاتيان بالبرهان الساطع، فهم عندما يفتقدون قوة المنطق يحتكمون الى منطق القوة! وكذلك كان النبي الخاتم ﷺ مع معارضيه: فعندنا واجه (عليه الصلاة والسلام) رؤوس قريش وفي مقدمتهم أبا جهل والوليد بن المغيرة، و فنّد أحاجيجهم و شبهاتهم، اسقط في أيديهم وأخْفقوا في ميدان المحادثة والحوار، جَرَتْ قريش مجرى أسلافها من الكفار الغابرين! ولذلك فان مما يثير العجب والدهشة ان يُتهم المسملون بانهم لا يؤمنون بالحوار والمنطق!

ولو تأملنا سيرة النبـي الخاتم ﷺ، لتبيّن لنا ان قريشاً إنتهجت مع النبـي ﷺ ذات الأساليب و السياسات التي اختطتها أسلافها الكفار مع الأنبـياء (عليهم السلام) فمثلاً:

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ﴾(الانفال -30)

اذن هذه هي اخلاقية المشركين كما يتحدث عنها القرآن، فـهم عـندما افلسوا في الحوار وعرض الأدلة الناصعة، خيَّروا الرسول ﷺ بين أمور ثلاثـة: إمّا الرجّوع الى معتقدهم الوثنـيّ، أو الأخراج، أو القتل.

ويتكلم الله سبحانه في سورة إبراهيم عن جميع الأنبياء وما قوبلوا به من قبل أقوامهم من ملل الكفر، وانهم مشتركون في منطق واحد موحد يتحدثون به مع الأنبياء (عليهم السلام)، فهم يخيّرون خيارَيْنِ مُجحِفَيْن: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُـلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّـكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ (إبراهيم 13).

والحكمة في جمع الأنبياء عليهم السلام جميعاً، مع أهل الكفر والأشراك في صعيد واحد كما هو في هذه الآية، هي ان يُعلم أن دين الأنبياء ورسالاتهم واحدة في مضمونها وجوهرها، كما ان اسلوب المواجهة لدى معارضيهم وَأعدائهم في جوهره شيء واحد.

ثم يقول تعالى في جواب التهديد الموجه من قبل الكفار، للأنبياء (عليهم السلام) ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾(ابراهيم 13).

نعم، فعندما يتمادى الكفرة المتجبّرون في مواجهة رسالة الحق المفعمة بالخير والسّعادة والعدالة، ويحتكمون الى منطق السلاح والقوة والتهديد والإرهاب- بمصطلح هذا العصر وعندما لا يكون للأنبياء وأتباعهم

سلاح يدافعون به عن دينهم ورسالتهم، فهنا يأتي امر الله تعالى في الأنتقام من الظالمين واهل الكفر ودَحرِهِم، وَنجاة المؤمنين ونصرهم.

خلاصــة القــول:

أن الإرهاب هو فرض المعتقدات والتصورات والسياسات على الغير وَكبح حرياتهم وتجاهل إراداتهم وشخصيتهم وكرامتهم. وَهذه ظاهرة قديمة وعامة في العالم وكان أعداء الأنبياء (عليهم السلام) يلجئون دوماً الى منطق القوة بعد فقدان قوة المنطق ليسدّوا بها الثغرات المتفاقمة في مناهجهم.

وان من الظلم السافر وَالأجحاف البيّن ان يُسند تهمة الإرهاب الى الإسلام وأهله، لانه لو جاز فرض أية فكرة أو قناعة عن طريق الأكراه والقوة، فمن المحال ان يصلح ذلك وَيستقيم مع الإسلام الذي يخاطب اول ما يخاطب في الإنسان عَقْلَهُ وَ قَلْبَه، فكل عمل او نشاط مهما كان مقبولاً في ظاهره، لا يُقبل- وربما يعاقب فاعله اذا كان ذلك بقصد الخداع والتمويه- إلاّ اذا اقترن بالنية الصالحة، وإلاّ سـمّي القائم بتلك الاعمال منافقاً او على الأقل مرائياً !

ولذلك يقول الرسول ﷺ: ((إن الله لا ينظر الى صوركم و أجسامكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم)) (رواه مسلم)

إذن فالإرهاب قبل أن يكون مُتعارضاً مع أحكام الشرع، فانه مخالف ومنافٍ لأساس الإسلام: الأيمان والعقيدة.

وكذلك فان أي اتهام للأسلام بالإرهاب علامة على الجهل وعدم الدراية ببديهيات الإسلام.

وعلى فرض وجود مسلم او كتلة اسلامية تقوم ببعض الأخطاء في هذا المجال، فليس من المعقول ان تُحْسَب على الإسلام تصرفات هو منها بريء كل البراءة.

وكما أسلفنا القول فان أعداء الإسلام الحاقدين على أبنائه، اذا رأوا غلظة او شدة او استعمالاً للسلاح من قبل المسلمين، يُبادرون الى وصمهم بالإرهاب، مع ان ذلك مخالف للعقل والشرع والضمير.

فكل ذي ضمير وعاقل، يُدرك الفارق الكبير بين الإرهاب والظلم، وبين الدفاع والمقاومة الشرعية، ان الفرق بينهما كالفرق بين الثَّرى والثريّـــا!

الوقـفـة الـثـالـثـة

الإرهاب بين المسلمين وغير المسلمين

ان مما يدعو الى الأسف ان كثيراً من العَلْمانيين ينظرون الى تأريخ الإسلام وتأريخ قومهم بمنظار قاتم، او ينظرون اليه من مِنظار غير هم، وا لحق أن الكلام لايؤخذ من الأعداء، فلو تحدَّثتُ عن فكرة او تصّور أُعار ضيه، فلا يقبل كلامي عن تلك الفكرة كدليل وكذا الحال بالنسبة لنا، اذ لا يجوز أن يُؤخذ كلام المستشرقين والغربيين عن تأريخ الإسلام والمسلمين ويُستدل به، فكثيراً ما يُعزى الى التاريخ الإسلامي بانّ معارك المسلمين -وخصو صاً في عهدأصحاب رسول الله ﷺ كانت ع بارةً عن ا حتلال ا لبلاد من أصحابها و وسعي الى إخضاع الشعوب واذلالهم!

ولكن عندما نتمعّنُ في نصوص القرآن والسنة، ونلقي نظرة كذلك الى سيرة النبـي ﷺ وَسير الخلفاء الراشدين، لا نرى شيئاً يُسـْنِدُ هذا الإفتراء، وَلا شك بان هذه المصادر هي وحدها التي تعتبر حجة ود ليلاً، وَ إلاّ فان التصرفات المخالفة للشرع الصادرة من خليفة أمَويّ أو عَبّاسي أو عُثْماني، لا يُلتفت اليها وَلا يمكن ادراجها على حساب الإسلام والمسلمين، مع ان التأريخ الإسلامي بمختلف عصوره الأموية و العباسية والعثمانية على فارق كبيـر مع تاريخ الدول الأُخرى.

وممّا هو أوضح من نار على علَم، ان الفتوحات الإسلامية العادلة جرت وفق قاعدة شرعية ارتسموها في تعاملهم مع الناس، وكا نت ع بارة عن

تخييرهم للناس بين خيارات ثلاث: وهي الإسلام، أو الجزية والبقاء على دينهم ومعتقدهم مع الخضوع للدولة الإسلامية، أو القتال.

كما ورد ذلك في تأريخ (الطبري)[1] وَ تأريخ (البداية والنهاية)[2] و (الكامل في التأريخ)[3] بل ورد هذا في كل كتب التاريخ الإسلامي، ومعلوم أن اصل تلك الخيارات ورد على لسان المعصوم ﷺ في قوله: ((فاذا لقيت عدوك من المشركين فادعوهم الى ثلاث خصال..)) (رواه مسلم و غيره)، وأن يُتركوا وشأنهم اذا قبلوا باحدى تلك الخصال.

وقد جسَّد قادة الجيوش الإسلامية مقولة النبيّ ﷺ في ميدان الواقع بالصورة الحسنى، فمتى ما كان يعلن أيّ شعب من الشعوب إسلامه، فأن الجيش الإسلامى كان سرعان ما يتركهم، واذا أسلم حاكمهم أُبقْيَ عليه في منصبه، فمثلاً: عندما ارسل الرسول ﷺ كتابه الى (المنذر بن ساوى العبدي) ملك البحرين جاء فيه: ((أسْلِم يجعل الله لك ما تحت يدك))[4] ولاريب انه كان يتوجب على اولئك الحكام ان يعملوا وفق شريعة الله تعالى في حكمهم و تعاملهم مع شعوبهم، لأن الغاية من القتال هي ازاحة العوائق التي تقف في طريق الدعوة الإسلامية، وليس الأحتلال وَالاستيلاء على الخيرات، ولذلك فأن تلك الشعوب متى ما أبدت القبول لدين الله ومنهاجه

---

(1) انظر تأريخ الطبـري ج2 ص 170، 108 عندما قال ربعى بن عامر و هو ممثل الجيش الاسلامى لـ(رستم) قائد القوات الفارسية (واختر واحدة من ثلاث : إختر الإسلام وندعك وارضك، او الجزاء، أو المنابذة) .

(2) انظر (البداية والنهاية) ج/2 ص(49 – 53).

(3) انظر (الكامل في التاريخ ج/2 ص(463، 464).

(4) أنظر (نصب الراية لأحاديث الهداية) للإمام الزَّيلعي، ج/4، ص(419). وأنظر (الجهاد والقتال في السياسة الشرعية) ج /1 ، ص (794–795) للدكتور محمد خير هيكـل.

لم يُطْلَب منهم شيء آخر، بل كانوا يكتفون بوضع حاكم وتحديد هيئة من العلماء، لهم، ثم يقفلوا راجعين الى بلادهم.

ولكن تلك الشعوب عندما كانوا لا يُبدون الأستعداد لقبول الإسلام وشريعته، ففي هذا يقول الرسول ﷺ : ((... فَسَلْهُم الجزية..)).

والجزية عبارة عن مبلغ من المال يؤخذ من الرجال القادرين، وهي ترمز الى عدم معاداة الناس في تلك المنطقة، للأسلام والمسلمين والكيان الإسلامي الذي يريد أن يكون كياناً و دولةً لجميع الشعوب وسائر بني الإنسان على اختلاف مللهم ونحلهم، ويُظِلهّم تحت ظِلِّه الوارف.

اما العولمة التي تنادي بها اليوم (أمريكا)، إن هي إلاّ هيمنة وا حتلال لارجاء هذه المعمورة، فالعولمة الحقيقية اي جعل العالم كدولة واحدة وكيان واحد، بصورة صحيحة وعادلة، لايتسنى وجودها الاّ تحت ظل الشريعة الإسلامية، لأن شريعة الله تعالى تقرّ بخصوصيات كلّ الشعوب والاقوام وتُفسح المجال ليمارس الناس عقائدهم وعباداتهم وآدابهم، وليست كما هي الحال اليوم مع العولمة التي ليست في الواقع الاّ (أمركة) تبغي من ورائها تعميم العادات والتقاليد الأمريكية والغربية على العالم ونبذهم لكل خصوصياتهم، وتفرض ما تريد بجبروت القوة وتتدخل في كل شؤونهم.

ثم يقول النبيّ ﷺ : ((فإنْ أبواْ فاستَعِنْ بالله وَقاتِلهُمْ)).

ايْ ان هؤلاء لا يقبلون الإسلام منهاجاً للحياة مِنْ جهة، من جهة اُخرى لايعترفون بسلطة الدولة التي لم تجلب لهم الا الخير والسرور، فهم في هذه الحالة قد تحولوا الى عائق يُعيقون الجهاد والحركة التحريرية التي شرع الإسلام القيام بها لتحرير الملل المستضعفة واخراجهم من نير الظلم والظلام التي ادخلهم فيه الطغاة والمارقون، فالمهم ابتداءً ان يتحرروا من المستنقعات

الآسِنةِ التي هم فيها، وألا ّيكون لأحد عليهم ضغوط أوْ اجحاف، ثم هُمُ أحرار بعد ذلك فيما يفعلون، كما قال تعالى: **﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾**(الكهف-29).

يعتقد البعض ان الحروب التي خاضتها الجيوش الإسلامية كانت من اجل اجبار الناس على الإسلام؟ وليس الامر كذلك، بل كان الباعث وراء تلك الحروب ان بعضاً من المجتمعات والأقوام و بتسويل حكامهم لم يكونوا مستعدين لا للأسلام ولا لدفع الجزية، فاضطر الجيش الإسلامي ان يستخدم ضدهم السلاح لا لأرغامهم على اعتناق الإسلام، فلا شك ان ذلك امر لايجوز فعله، بل من اجل إزالة العقبات التي تسدّ الطريق امام انتشار الدعوة الإسلامية.

وجدير بالذكر[1] انني وبعد التحقيق والبحث الدقيق، تبيّن لي صحة الرأي القائل بان الكفار على مختلف أنواعهم تؤخذ منهم الجزية، وعلى هذا الامام مالك[2] والاوزاعي وعلماء الشام واختاره من المتاخرين ابن القيم[3] والشوكاني[4].

وبعد الأطّلاع على الأدلة التي استدلّوا بها والتَمعُّنِ فيها يَطمَئنُّ القلب الى صحَّةِ هذا الرأي القائل: لَيْسَ أهل الكتاب والمجوس هم وحدهم الّذين تؤخذ منهم الجزية، بَلْ تُؤخذ من كل صاحب فكرةٍ أو دينٍ، مشركين

(1) ان كثيراً من العلماء وخصوصاً المعاصرين منهم يقولون بان الذمي اذا ابدى استعداده للجندية و دخول القتال فان ذلك يسقط عنه الجزية فلا تؤخذ منه انظر: (الإسلام والمشكلات السياسية المعاصرة، نظام الحكم، حقوق الأنسان، الأقليات) د. جمال الدين محمود.

(2) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ج/2، ص (313).

(3) انظر (زاد المعاد) ج/5، ص (91، 92).

(4) انظر (السيل الجرار) ج/4، ص(570، 571).

كانوا أو وثنين أو حتّى ولو كانوا ملاحدة. و ذلك باستثناء (المرتدين) الّذين لهم حساب خاص[1] .

أجل أن هذا القول راجح لاشك في ذلك، كما يقول (ابن القيم): ((وهذا القول اصح في الدليل كما ترى))[2] كما أن هذا الرأي ينسجم ايضاً مع جملة الآيات والأحاديث ذات الشأن.

اما الأجابة على من يستدل بعدم أخذ النبـيّ ﷺ للجزية من عبدة الاصـنام فنقول: بعد نزول آية: **﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُـولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾** (التوبة 29)، لم يتواجه الجيش الإسلامى مع أي مجتمع مشرك لنعلم هل يأخذ منهم الجزية ام لا، لأن المشركين في ذلك العهد أسلموا عن بكرة أبيهم، سواء من أسلم منهم صادقاً او من دخل زمرة المنافقين، والجيش الإسلامى قد تواجه مع المجوس وهم شرّ من عبدة الأصنام كما يقول ابن القيم فلماذا اذن يقول النبـي ﷺ ((سنّوا بهم سنة اهل الكتاب))[3] وهنا يقول ابن القيم:

فاذا كان على المجوسي ان يدفع الجزية مع انهم لا تُنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم، لأنهم ليسوا أهل دين فأنَّ أيَّ وثني آخر صاحب معتقد

---

(1) لقول رسول ﷺ (من بدل دينه فاقتلوه) (رواه البخاري)، ولكن ومن منطق الامانة العلمية يجب بيان ما اذا كان عقوبة المرتد حداً كسائر حدود الزنا والقتل والسرقة فلا يمكن تغييره ابداً، ام انها عقوبة في دائرة السياسة الشرعية للحاكم ان يتصرف فيها؟ ففي هذه المسألة خلاف وجدل بين العلماء ومنهم من لا يرى عقوبة المرتد شيئاًمحدداً من قبل الشرع، و يستدلّون بأشياء منها: قبول النبي ﷺ لشفاعة عثمان رضي الله عنه في (ابن ابي السرح) الذي كان قد ارتد عن دينه وعفى عنه النبي ﷺ، ولو كانت الشفاعة في حد شرعي لما قبلت.

(2) أنظر : (زاد المعاد) ج (5)، ص (92). .

(3) انظر (المدونة) للإمام مالك.

معين يعامل المعاملة نفسها، فمن كان لايريد دخول الإ سِلام فـ هو حر في اختياره، ولكن يجب ان يذر دعوة الإسلام تصل الى الناس، وعليه ألاّ يقف حجر عثرة في وجه هذه الدعوة التي تنادي بالحرية في أرجاء ا لدنيا، فإذا التزم هذا فبأمكانه البقاء في وضعه وعلى الحالة التي يريدها، على ان يدفع الجزية في مقابل ان يعيش في ظل هذا الكيان الذّي يدافع عنه ويـ ضمن له تأمين مستلزمات عيشه عندما لايستطيع القيام بأعباء حيا ته بنف سِه،ثم لا يُلزِمُهُ الإسلام أداءَ الجندية ولا يكلِّفه فريضة الجهاد، و يصون حياتَهُ كرامتةُ و عِرْضَهُ و مالَهُ و يُتيحُ له التَمتُّع بجميع حقوقه.

وعموماً فان العلماء يقولون[1] فيما يخص التعامل مع ا لذميّين بأنهم يعاملون حسب قاعدة (لهم مالنا وعليهم ماعلينا). ويقول ع ليّ بن أ بي طالب (رضي الله عنه) في هذا الصدد «انما قبلوا عقد الذمة لتكون أ موالهم كاموالنا ودماؤهم كدمائنا»[2]

نعم أيها الأخوة! لقد مورست الحروب الإسلامية والجـ هاد التحر يرى كما عرضناه آنفاً، فلئن صدر خلاف ذلك من حاكم أموي أو عبا سي أو عثماني، ففعله محسوب عليه وليس على الإسلام، ولكننا نقول مرة أ خرى وليس هذا كلامنا، بل بإعتراف المستشرقين أنفسهم انه لم يوجد ارحم ولا اعدل ولا اكثر احساناً من المسلمين، حتى وهم يخوضون غمار المعارك، فمثلاً: عندما اصيب القائد الصليبى (ريتشارد قـ لب ا سد) بـ عث القا ئد صلاح الدين الايوبي بطبيبه الخاص ليعالجه، وبعث اليه ايضاً با لماء الـ بارد

---

(1) انظر (الحقوق والحريات في الشريعة الاسلامية) د0رحيل محمد غرابية، ص(348).

(2) انظر (بدائع الصنائع) الكاساني ج/7، ص (111)، وانظر كذلك (السير الكبير) للشيباني ج/3، ص (250).

والفواكه، بهذه الشهامة والمروءة تعامل معه. ولكننا عندما نتأمل في التصرفات الوحشية للكفار يتضح لنا عظم الفارق بين المسلمين وغيرهم.

يقول المؤرخون: عندما استولى النصارى على القدس، اقدموا على قتل اكثر من (70,000) الف مسلم داخل المدينة، حتى قيل ان خيولهم غاصت في الدماء الى رُكَبِها في بيت المقدس(١).

ولكن صلاح الدين عندما حرَّر القدس سنة (583) هـ(٢) عامل أهلها بمنتهى العدالة والمروءة الإسلامية وأخلى سبيلهم، وقد أقرّ بهذه الحقيقة حتى الاوربيون انفسهم، ثم يجب ألاّ نغفل عن حقيقة ان القائد الكردي صلاح الدين الأيوبيّ على قدر ماكان معروفاً بالشجاعة، كان معروفاً أضعاف ذلك بالشهامة والشفقة والرحمة والعفو وَرحابة الصدر، ولاشك انه تعلم تلك القيم العليا من الإسلام. ومَن أراد أن يعرف هدف الجهاد في الإسلام بكلمات قليلة، حريّ به ان يتأمل كلام (ربعي بن عامر) موفد الجيش الإسلامي الى قائد القوات الفارسية (رستم) عندما يسأله عن سبب مجيئهم الى بلاد فارس؟ فيقول ربعي:

((نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله ومن جور الأديان الى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة)) وقد ذكر هذه الواقعة كل من الطبري وإبن كثير وإبن الأثير في تواريخهم(٣).

---

(1) انظر (الكامل في التاريخ) ج/8، ص (189).

(2) انظر(الكامل في التاريخ) لابن الاثير ج/11، ص(546).

(1) انظر(تاريخ الامم والملوك)، ج/2، ص(106-107)، و(البداية والنهاية)، ج/7، ص(49-50)، و (الكامل في التاريخ)، ج/2، ص(463- 464)

والآن دعونا نسجل جانباً من تعامل الدول والشعوب غير المسلمة في هذا الصدد، ولات حين تفصيل، ولكننا سنكتفي بإشارات خاطفة:

1/ المثال الاول: غني عن البيان ان المسلمين ظلوا لعدة قرون يحكمون في الاندلس (اسبانيا) وكانوا - باعتراف المؤرخين الغربيين احد اكبر العوامل لظهور النهضة العلمية او ما أسموه بـ(رينسانس) في اوروبا، وذلك عن طريق التراث الثقافي و العلمي للحضارة الإسلامية التي استفاد منه الاوروبيون في الاندلس، ومع كل ذلك فعندما مالت شمس الدَّولة الإسلامية هناك الى الغروب، ماذا فعل بهم نصارى الأندلس؟

أن محاكم التفتيش عن العقائد الذي يقول المؤرخون الغربيون، أنها أبادت في قرني الثالث عشر والسابع عشر من نصارى البروتستانت والأرثوذكس من اعداء الكنيسة فقط، قرابة تسعة ملايين شخص(1)، ولم يبق من المسلمين وكانوا مليون نسمة هناك احد، لانهم إما كانوا يُرغمون على اعتناق المسيحية وأكل لحم الخنزير وتعليق الصلبان في اعناقهم، او يقتلونهم، وكانت احسن احوالهم ان يُطردوا ويُشرّدوا.

2/ المثال الثاني: هجمة التتار والمغول(2).... و من أفعالهم الشنيعة انهم كانوا يصنعون من جماجم المسلمين قلاعاً، يقول المؤرخون: ربما كان القائد المغولي يأمر احد جنوده قائلاً له: تذهب الى المدينة الفلانية وتأتي اليّ بكذا من الرؤوس، فان لم تجد رؤوس الرجال فرؤوس النساء والا

---

(1) انظر(محاكم التفتيش) د0 زكي علي، ص(500)، وانظر ايضاً (الشباب المسلم في مواجهة التحديات) د0 عبدالله ناصح علوان، ص(132).

(2) للاطلاع على المعاملات الوحشية للتتار والمغول، انظر (البداية والنهاية)، ج/13، ص(256)- (ابن الاثير) و(الكامل في التاريخ) لابن الاثير، ج/12، ص(358-399).

فرؤوس الأطفال.... فمثلاً كان يقول يجب جمع عشرين الف رأس ووضعها ركاماً فوق بعضها! ويقول المؤرخون امثال الطبري وإبن كثير وإبن الاثير، إن المذبحة التي أقامها هولاكو وجيشه الكافر في بغداد في سنة 656هـ بلغت مليون قتيل، بل هناك روايات تقول انها وصلت الى مليونين، ولا يخفى عظم هذا العدد في زمان كان عدد الناس قليلاً.

3/ **المثال الثالث**: من التاريخ المعاصر.. وهو المذابح الوحشية التي اقيمت في كل من ثورتي النظام الشيوعى في روسيا بقيادة (لينين وَ ستالين) والصيني بقيادة (ماوتسي تونگ) للمسلمين في تلك البلاد، لا لشيء الاّ لانهم رفضوا الأرتداد عن دينهم ليصبحوا شيوعيين.

وقد وردت في كتب التأريخ، أن ما يربو على (15) مليون مسلم لقوا حتفهم في إبادة جماعية استهدفتهم.

وقد روى التاريخ المعاصر في هذا الجانب ما تشيب لها نواصي الاطفال، من قبل الماركسية والماوتستية من حملة الاشتراكية العلمية:... احياناً كانت جلاوزة تلك الأنظمة تقوم بجمع الناس في المدن والأرياف في الولايات الإسلامية المحتلة، ويطلبون منهم ان يرتدُّوا عن دينهم، فإذا رفضوا طلبهم، كانت الجلاوزة تُقْدِمُ على قتل شيوخهم ومن يُعرفون بالتوجه الديني من بينهم، ثم يأمرون الناس ويرغمونهم تحت تهديد القتل، ان يضعوا نجاساتهم على جثثهم، وإلاّ قُتلوا! وقد لقي المسلمون في الصين على يد النظام الذي كان يدَّعي رعاية حقوق الإنسان وتأييد الطبقة العاملة أيضاً ما لقيه إخوانهم في روسيا.

نعـــم أيها الأخـــوة:

هكذا كان حال اولـئك المـسلمين في ظـل تـلك الأنظـمة الـشيوعية والاشتراكية، والتي كان يجهلها مع الاسف كثير من الـناس، الى ان انهار النظام الشيوعى وازيح الستار عن شنائع ذلك النظام. ولكن المسلمين مظلومون الى درجة انهم يقتلون ويُبادون ولا يـعرف بمآ سيبهم احـد، ولا يدافع عنهم احد، كما يقول بعضهم: قتل شخص في غابة جريمة لا تغتـفر، وقتل شعب أعزل قضية فيها نظر، ولا شَك ان هذا الكلام لينطـبق عـلى واقع الشعوب المسلمة.

4/ **المثال الرابع:** مذابح الهندوس والسيخ للمسلمين اثناء استقلال باكستان عن الهند، ولا تزال حتى يومنا هذا، وآخرها كان في الـعام المنـصرم حيث حرقوا منهم مجموعة كبيرة.

5/ **المثال الخامس:** مذابح اليهود للمسلمين اعتباراً من 1947و 1948 والى يوم الناس هذا، والغرب بزعامة أمريكا ليس ساكتاً عن تـلك الجرائم فقط، بل انهم وبكل صفاقة يدافعون عن اليـهود المحتلين ويعادون الفلسطينيين.

ونحن لا نتحدث عن أوضاع المسلمين في كردستان، سواء في تركيا منذ العهد الأسود لأتاتورك حتى الوقت الحاضر، وكذلك في كردستان ايـران منذ الحكومة الدكتاتورية لرضاه شاه وابنه محمد، وفي العراق وسوريا مـنذ عهد العفالقة وَالأنظمة التي سبقتهم والتي لا يعلم مالحق بالشعب المسلم في تلك العهود الا الله المطلع على السرائر.

اما لماذا لا نريد التحدث عن اوضاع المسلمين في كردستان؟ لأننا في الأمثلة التي استشهدنا بها أردنا المقارنة بين معاملة المسلمين وغير المسلمين، وهذه الأنظمة التي أَلْحَقَتْ الضَّيم بالشعوب المسلمة في العراق وتركيا وايران وسوريا تعتبر نفسها حكومات مسلمة، ولكن الذين قاموا بتلك الجرائم لاريب بأنهم مقطوعوا الصلة بالإسلام الا ما ندر، إن شخصاً يبيح دماء شعب مسلم وينصب لهم المذابح دون وجه من الحق ودون مبرر سوى التسلط والظلم، ان شخصاً كهذا لوكان يحمل ذرة من الايمان لتورّع عن تلك المظالم والجرائم.

6/ **المثال السادس:** المعاملات الوحشية والمذابح الجماعية والاغتصاب والتشريد والابادة التي مارسها الصرب ضد المسلمين في (البوسنة والهرسك) و (كوسوفو) والتي تعجز أقلام الدنيا عن وصفها.

7/ **المثال السابع:** الأحتلال والقمع والتعذيب وأصناف الأعتداءات والظلم الذي مارسه الروس ضد الشيشان، والهند للكشميريين في هذه الأيام والتي تحفل القنوات الأعلامية بالحديث عنها.

واليوم تأتي صاحبة قوة عظمى كأمريكا وتعلن الحرب على جميع الإسلاميين بذريعة مكافحة الإرهاب، وتنصب نفسها زعيماً على العالم بأسره، وهي غافلة عن أنَّ من يتصدى لقيادة العالم يجب ان يكون عَقْلُهُ اوسع من مشكلات الدنيا، وصدره ارحب من أحاسيس الناس ومشاعرهم، وأخلاقه عظيمة عِظَم هذه الدنيا المترامية.

ولكن صدر أمريكا ضيق بحيث لا يتَّسِعُ حتى لأحاسيس مواطنيها ومشاعرهم، وعقلها صغير بحيث لا يتسع لأية فكرة او تصور غير ما تعتقد به، لقد سمع العالم اجمع قول جورج بوش: الذي لايكون معنا نعتبره ضدنا،

وكذلك فان أمريكا تعلنها صريحة دون ستار: نحن نفرض على العالم اجمع قيمنا وخصوصياتنا ومدنيتنا وتراثنا وثقافتنا!

ولاريب بانكم على اطلاع كما تعلنها الفضائيات عن مدى الضغوط التي تمارس على الدول الإسلامية كالسعودية وباكستان ومصر و.... الخ، كي يغيّروا المناهج التربوية والتعليمية بما يلائم الرغبات والمصالح والسياسات الأمريكية والغربية ويعيدوا كتابة تلك المناهج من جديد... وهذا في الحقيقة إرهاب ما بعده ارهاب يمارس ضد العالم الإسلامي.

ان العقل يستسيغ ان يقال: الذي يقف ضدّي فهو عدوّي. ولكن لماذا تعتبر من لا يقف بوجهك ولا يعاديك عدوّاً ضمن أعدائك؟! هلاّ تخبرنا أمريكا لماذا الناس يجب عليهم إما ان يكونوا معها وفي طاعتها، او ان يحملوا السلاح ضدها؟

ولماذا تحارب اناساً هم لا يحاربونها؟ ام ان أمريكا لا تعلم ان رفض الرأي الآخر على كل حال مصدر للأرهاب، بل ان الإرهاب نفسه ينبع مِنْ ثَمَّ، وهذا التفكير هو جوهر التفكير الفرعوني، فـ(خوفو) قبل أربعةَ أو خمسة آلآف سنة، عندما واجه موسى (عليه السلام)، ردد هذا الكلام نفسه: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلاّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾(غافر- 29).

نعم أيها الأخوة إن من يدّعي ان الحق حِكْرٌ عليه، ولا يدع احداً يتحدث عن الحق، سواء فعل ذلك الفرعون (خوفو) او (جورج بوش)، سواء حدث ذلك في القرن الحادي والعشرين، او في القرن العشرين قبل الميلاد فذلك ارهاب ولا يغير من اصل المسألة شيئاً ان يكون قال ذلك (خوفو) لموسى وشعب بني اسرائيل، او قاله (بوش) للعالم الإسلامي، لانهما إدعاءان بمضمون واحد وهو التكبّر وإحتقار الآخرين وانتهاك إرادتهم وشخصياتهم.

الـوقفـة الرابعـة

الإرهاب لا مكـــان له في الشَّـــريْعة

ان الإرهاب وفق التعريف الذي عرَّفناه، والذي هو عبارة عن فرض التصورات والآراء والسياسات بالقوة والاكراه على المقابل واللجوء الى قوة السلاح لإلزام الآخرين بها،.. هذا لا محلّ له في شرعة الإسلام، ولكن لماذا؟ يتبين ذلك من النقاط الآتية:

اولاً: الحكمـة من الحيـاة الدنيـا:

ان الحكمة من الحياة الدنيا في المنظور الإسلامي، هي إختبار الإنسان، فمتى يمتحن الإنسان وكيف؟

الأستاذ الذي يريد امتحان تلميذه، متى يمتحنه؟ بطبيعة الحال عندما يكون قابلاً للنجاح والرسوب، وان يكون احتمال الحالتين وارداً، وعند ذاك يقال له امتحان.

فالله سبحانه وتعالى جعـل الحياة الدنيا ليختبر فيها الإنسان، وأفسح للإنسان المجال أن يؤمن او لا يؤمن، ان يكون محباً لله او عدواً له، وكّلَ اليه اختيار الطريقين، كما يقول الخالق جل شأنه: **﴿إِنَّا جَعَلْنَـا مَا عَلَى الأرض زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَـنُ عَمَلاً﴾** (الكهف-7)، فلا بد للانسان أن يُعطى الفرصة والمجال الرحيب حتى يظهر اختياره هل يختار مرضاة الله أم سخطه؟

يحسن العمل أم يسيء؟ ويقول تعالى في موضِعٍ آخر: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان-3).

اذن فارغام الناس لقبول عقيدة كالعقيدة الإسلامية، يخالف حكمة الخالق في خلقه للانسان واعطائه فرصة الاختيار في الحياة الدنيا.

ثانيــاً: الفطـرة وطبـيعــة الإنســان:

أيها الأخوة.. ان الإرغام على اعتناق فكرة بالاكراه والقوة، مخالف لفطرة الإنسان وطبيعته! فهل يعقل ان ترغم انساناً وتَحْمِلُهُ على الإقتناع بما انت مقتنع به؟ هذا مستحيل ولا ريب، فأنت قد تَقْوى على إرغامِهِ على الأتيان بفعل ما، ولكنه من قبيل المحال ان ترغمه ان يحبك من قلبه اذا كان لك كارهاً، اذاً فلا يمكن بأية صورة من الصور السيطرة على القلوب والحكم على ما بين أحشائها.

لايمكن إجبار الإنسان من جهة نفسه وأعْماقِه، فأنت بإمكانك ان تجعل ظاهره كظاهرك، ولكنك تعجز عن استمالة قلبه اليك.

اذاً فالأكراه وَالإجبار مخالف لفطرة الإنسان وطبيعتــه، كما يقول تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس6-7). فالإنسان في داخل نفسه يمكنه ان يكون محسناً او مسيئاً، ولا يتمكن أحدٌ بحال من الأحوال أن يسيطر على قلب أحد و ضميره من خلال القوة والتسلّط.

ثــالـثـاً: جوهــر الإسـلام و طبيعتـه :

كما ان الإرهاب والزام الآخرين بفكرة معينة يخالف جوهر الدين، لأن الإسلام جاء ليحرِّر الناس ثم يخيِّرهم بين الايمان والكفر، ولاشك ان هذا التخيير باقٍ في كلتا مرحلتي الدعوة والدولة ايضاً. أقول هذا لأن هناك من

يتهم الإسلاميين قائلاً: نعم ان اسلاميين يتحدثون عن حرية الرأي وأن الإنسان حُرّ بين اختيار الإيمان من عدمه، ولكنهم عندما يتسلّمون السلطة يتصرفون بخلاف ذلك! ولا أدري من أين جاؤوا بهذا الكلام؟ لأن ذلك ضرب من الظن، وهناك في الإسلام مرحلتان في التعامل مع المعارضين عموماً:

أ/ في مرحلة الدعوة يُدعى الناس الى الإسلام، فمن أجاب فَبِها ونعمتْ، وإلاّ فليست هناك سلطة تستخدم حَمْلَ المدعو قسراً، وإلزامَهُ بالإسلام جبراً.

ب/ أما في مرحلة الدولة، فبين أيدينا أدلة متظافرة تثبت عدم شرعية الإلزام والإكراه، وسنشير لاحقاً الى بعض الآيات القرآنية لكننا نقول هنا:

ان من أوضح الأدلة وأنْصَعِها هي سيرة النبي ﷺ وَ سير الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم)، والذي لا يَخْفى على أحد هوكيفية معاملتهم للأقليات الدينية الذين عاشوا طوال حياتهم في ظل الدولة الإسلامية، فلم يُرْغَم يزيدي أو نصراني أو يهودي أو زرادشتي يوماً على الإسلام، ولو لحق ذمياً[1] ظلمٌ بادر المسلمون جميعاً الى الدفاع عنه، وخصوصاً العلماء، فمثلاً: إن عالماً كـ(إبن تيمية) –رحمه الله– عندما ذهب الى اللقاء بـ(قازان) وكان من قادة المغول، ليطلب تحرير أسرى المسلمين، بعد حوار قال له (قازان): لم أرَ قط عالماً مثلك تَقَعُ هَيْبَتُهُ ووقاره في قلبي، وانا لا أرفض لك طلباً، ودونك أسرى المسلمين قد وهبتهم لك، فقال (ابن تيمية): بل يجب ان تَهَبَ لنا أسرى اهل الكتاب أيضاً لأنهم مثلنا، (أي ماداموا مواطنينا وَيعيشون

---

(1) الذمي هو الذي لم يسلم وعاش في ظل الدولة الاسلامية وعلى الحكومة الاسلامية ان ترعاهم و تعطيهم حقوقهم وتحمي حرياتهم، وانما سُمّوا أهل الذمة لان حقوقهم في ذمم المسلمين والدولة الاسلامية كواجب شرعي يتعبّدون بالحفاظ عليها والدفاع عنها.

معنا فانهم مثلنا وان لم يكونوا معنا على دين واحد) ولن أعود حتى تُسَلّمنيهم)(1) فاضطر (قازان) الى إخلاء جميع أسرى اهل الكتاب ايضاً من اليهود والنصارى.

نعم، فالإسلام في كلتا حالتي الدعوة والدولة لا تتقبل طبيعته الإكراه وإجبار الناس وَ إرغامهم، والله سبحانه وتعالى يقول في محكم تنزيله: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ (البقرة– 256)، يقول المفسرون عن سبب نزول هذه الآية: ((ان المرأة من الأنصار كانت تَنْذُرُ إنْ عاش ولدها لَتَجْعَلَنَّهُ فيْ أهل الكتاب فلما جاء الإسلام قالت الأنصار يا رسول الله ألا نُكْرِهُ أولادَنا الّذين هم في يهود على الإسلام؟ فأنّا إنما جعلناهم فيها ونحن نرى أن اليهودية أفضل الأديان، فلما إذ جاء الله بالإسلام أفلا نكرههُمْ على الإسلام؟! فأراد الآباءُ إكرهَ أبنائهم فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾، كما جاء في تفسير الطبـري (ج2 ص17).

كذلك أورد الطبري وغيره من المفسرين روايات أخرى مشابهة لما أوردناه بهذا الصدد(2).

أمّا سبب إجلاء اليهود عن المدينة فهو نقضهم وخيانتهم للعهد الذي كانوا قد وقّعوه مع النبـي فعاقب رسول الله ﷺ كلاً من بني قينقاع وبني

(1) الذي بين المعقوفتين إضافة مني، وهي مقتضى كلام الشـيخ رحمه الله.

(2) أنظر (فتح القدير) للشوكانى، ج(1) ص (357)، حيث قال: روى هذه القصة كل من (أبي داود والنسائي وابن جرير وابن المنذر...) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

النضير وبني قريظة(1)، من جرّاء خيانتهم وغدرهم وليس بسبب يهوديَّتهم وكفرهم.

إذ مادام الله سبحانه وتعالى قد خيّر الإنسان في اختيار طريق الحق وطريق الباطل(2) ، يجب ان يكون حراً وألاّ يجبر على شيء، وفي هذا يقول الله تعالى مخاطباً رسوله ﷺ : **﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأرض كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾** (يونس-99)

فالله سبحانه يأبى حتى لنبيّه ﷺ ان يكره الناس على الإيمان لأن الله تعالى لوشاء ان يؤمنوا لآمن في الأرض كلهم جميعاً، ومن ذا الذي يقف أمام ارادة الله تعالى؟ فاذا لم يشأ الله إرغام الناس على الإيمان، أفأنت تكره الناس يا محمد حتى يكونوا مؤمنين؟ أي: لا يحق لك، ويقول تعالى ايضاً **﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾** (ق- 45)، **﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾**(الغاشية -22).

فيـــا أيها الأعـــزاء!

الآيات التي مرّت معنا تُثبِتُ بوضوح، حرية الإنسان امام دين الله وَمنهجه وَ أنه مخيَّر بين أن يؤمن أو لا يؤمن، وهي حقيقة لا تحتاج الى بيِّنات أنَّ الإنسان صاحبُ إرادة حرة في نفسه، ولكن بعض الذين لا خبرة لهم بالإسلام، عندما يرون مسلماً اوجهة اسلامية لها تصورات لا تتفق مع طبيعة الدين، او مع الحقائق التي سردناها قريباً، واستناداً الى رؤيتهم لتلك المواقف

---

(1) لمعرفة كيفية اجلاء اليهود عن المدينة في أعقاب خيانتهم و نبذهم لعهدهم. أنظر (السيرة النبوية) لابن هشام ج/3، ص(50-54)، و ج/3، ص (199-212)، و ج/3، ص(244-265).

(2) انظر (مختصر تفسير ابن كثير) ج/1، ص (239)، و (فتح القدير) الشوكانى ج/1، ص(357).

وَالمعاملات والتصورات المخالفة للشرع، تراهم يتخبطون وَيعـ ـتبرون كـل ذلك نابعاً من الإسلام، وأنا أعلنها صريحة من هنا واُطمَئِنُ الجميع، بأن بناء الكيان الإسلامي موافقاً لشَرْع الله وطبيعة الدين، لا يَعتمد على الإر هـاب أبداً، ولا يَعتمد على الإكراه واجبار الآخرين، والدليل على ذلك ان جمـ ـيع الآيات التي نزلت في المدينة المنورة بعد تأسيس الدولة الإسلامية بقصد تنظيم امور المسلمين والتي تتضمن الأحكام الشرعية، كلّها خطاباتٌ بدأت بـ﴿ـ **يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا**﴾، فماذا يعني ذلك يا ترى؟ يعنى وجوب تأسيس مجتـ ـمع اسلامي يؤمنون بالإسلام، وبعد ذلك يستحقون أن تـ ـنزل عـ ـليهم الأوا ـمر والنواهي في مختلف مجالات حياتهم، كما ان البناء لايمكن البدء به الا بـ ـعد وضع الأساس.

والخلاصة انه لامناص من وجود مجتمع قبل تأسيس الدو ـلة الإ سـلامية، فالذي يهدف الى تلك الغاية لابد له من البدء بتكوين المجتمع المسلم هذا اذا لم يكن يريد لعمله ان يكون كالجدار بغير أ سـاس، او ان يـ ـستحيل حر كـة عاطفية كالنقش على الماء!

كيف أسس رسول الله ﷺ بناء الدولة الإسلامية؟!

لو نظرنا الى سيرة النبـي ﷺ ولماذا لم يعلن الحكومة الإسلامية في مـ ـكة، وكذلك أنبياء الله عموماً واولوا العزم منهم خصوصاً، صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً، لماذا لم يعلنوا منذ بدئهم بايصال د عـوة الله وتربـ ـية اتـ ـباعهم وتعليمهم، بأنهم حكومة اسلامية؟ لانّ شريعة الله تعالى وسواء على ـيد أي نبـي من الأنبياء جاءت، تتعامل بواقعية مع مجريات ووقائع المجتـ ـمع، و ـمن

البداهة والوضوح في كل زمان مكان، ان تكوين الدولة والحكومة يحتاج الى ثلاثة أشياء ضرورية:

1 الأرض 2 الناس 3 السلطة

ولا يخفى أن الأرض والسلطة شيئان تابعان للناس، فالناس اذا توا جدوا على أرض جاز ان تكون لهم سلطة ايضاً، ولذلك ظل نبينا محمد ﷺ يدعو الناس في مكة ثلاث عشرة سنة كاملة ولم يسمح لاحد من أصحابه ان يغتال مشركاً، مع ماكانوا يتعرضون له من تعذيب وإهانة، بل واستشهاد بعض الأصحاب كياسر وسمية، والديْ عمّار (رضي الله عنه) هذا اضافة لما كان يتعرض له بنفسه المباركة من إهانة وَاستهزاء لماذا؟ لانه ﷺ كان على يقين أن الدولة لا تُبتنى بتلك الصورة، بل اذا أريد للدولة الإسلامية ان تقوم لها قائمة فلا بد ان تُبتنى على أعناق المسلمين وكواهلهم، وان يكونوا أحراراً في خاصة أنفسهم، وعلى أرض محررة يكون لهم عليها سلطان، وَثمَّ تتحقق شرعة الله تعالى، لقد وردت قصة محاولات النبيّ ﷺ مع أكثر من عشرين قبيلة، بغية الإستعانة بهم لاعلان دولة الإسلام، مفصلة في (سيرة ابن هشام)[1] و(طبقات ابن سعد)[2] و (زاد المعاد في هدي خير العباد)[3] وكان عليه الصلاة والسلام اذا خاطب تلك القبائل قال: ((هل من رجل يحملني الى قومه فيمنعني حتى أبلِّغ رسالة ربي فأنَّ قريشاً قد منعوني ان ابلغ رسالة ربي)).

---

(1) ج/2، ص (63–69).

(2) انظر (السيرة النبوية الصحيحة) اكرم ضياء العمرى ج/1، ص(193).

(3) ج/3، ص(43).

ومن نافلة القول ان النبـيّ ﷺ لم يكن بطلبه ذاك يريد تمهيد الطريق للدعوة، فالدعوة كانت تسير بصورة جيدة في مكة، بل كان قصده ﷺ إيجاد أرضية صالحة تكون مهداً لاعلان الدولة الإسلامية.

واذاً فالنبـيّ ﷺ، كان يقول بمصطلح هذا العصر:

هل من أناس مستعدين أن يكونوا لي قاعدة جماهيرية وَمهداً لي ولدعوتي؟!

الى ان عقد رسول ﷺ في السنة الثانية عشرة وَالثالثة عشرة من نبوته بيعتي العقبة الاولى وَالثانية مع قبيلتي الاوس وَالخزرج وَالذي ارى من المناسب أن أعْرِضَ بعض النصوص من السيرة في هذا الصدد:

يتبّين من سيرة ابن هشام ان عقد النبـي ﷺ البيعة مع الاوس و الخزرج مرّت بثلاث مراحل:

المرحلـــة الأولـى

ويتحدث عنها (ابن هشام) قائلاً:

((فلما اراد الله عز وجل اظهار دينه وَإعزاز نبيه ﷺ وانجاز موعده له، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه النفر من الأنصار، فَعَرَض نَفْسَهُ على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً. (سيرة ابن هشام) ج/2، ص (73)، ومعلوم ان هذا اللقاء جرى بين رسول الله ﷺ واهل المدينة سنة 11 هـ .

المرحلة الثانيـــة :

ويتحدث عنها (ابن هشام) في سيرته هكذا:

((حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً فلقوه بالعقبة، وهي العقبة الأولى فبايعوا رسولَ ﷺ على بيعة النساء وذلك قبل أن تُفْرَض عليهم الحرب..)) (سيرة ابن هشام) ج/2، ص (72)، وقد حدث هذا اللقاء سنة 12 هـ .

والمقصود ببيعة النساء ما ورد في (الآية 12 من سورة الممتحنة): ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ .

وسميت بيعة النساء لانه لم يرد ذكر القتال والجهاد فيها والذي هو فرض على الرجال وحدهم.

المرحلة الثـالثـة :

في هذه المرحلة يحدثنا (ابن هشام) عن زمان ومكان البيعة قائلاً: ((ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وَ خرج الانصار من المسلمين الى الموسم مع حُجَّاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فوا عدوا رسول الله ﷺ العقبة من اوسط ايام التشريق..)) (سيرة ابن هشام) ج/2، ص(81) إذن فمصعب بن عمير رضي الله عنه سفير رسول الله ﷺ بيثرب كان رأس الوفد هذه المرة والمكان هو العقبة نفسها، والزمان هو عام (13) للهجرة وفي اواسط أيام مِنى بعد شعائر الحج.

ويقول ابن هشام عن عدد ذلك الوفد:

((وكانوا ثلاثة و سبعين رجلاً وامرأتين)) (السيرة) ج/2، ص(97).

((وقد اختار من بينهم الرسول (عليه السلام) اثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج وَثلاثة من الأوس، وَقد قال رسول الله ﷺ: أَخرِجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم، فأخرجوا اثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس)) (سيرة ابن هشام) ج/2، ص(85).

وقد أورد صاحب ((زاد المعاد في هدي خير العباد)) ج/3 ص(46)، نص بيعة العقبة الثانية عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال:

((تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل وَالنفقة في العسر واليسر وعلى الامر، بالمعروف والنهي عن المنكر، وان تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم، و على ان تنصروني وَتمنعوني اذا قَدِمْتُ عليكم مما تمنعون منه أنفسكم و أزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة، قال: فقمنا اليه فبايعناه)) رواه مسلم.

ثم اخذ الرسول ﷺ البيعة من نقباء (يثرب) وبنى القاعدة الشعبية في تلك المدينة المباركة، والحقيقة ان حضورخمسة وسبعين شخصاً ثم اختيار اثنـي عشر نقيباً منهم حيث جعلهم رسول الله ﷺ على رأس قومهم يمثلون قبيلتي الاوس والخزرج كان بمثابة الأنتخابات في هذا العصر.

وَ روى ابن هشام عن عبدالله بن ابي بكر رضي الله عنه ان النبـيّ ﷺ قال للنقباء:

((انتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وانا كفيل على قومي ـ يعنـي المسلمين ـ قالوا: نعم)) (سيرة ابن هشام) "ج/2، ص (88).

نعم ان هذه المسألة كانت تماماً كالإنتخاب في هذا العصر، دون زيادة ولا نقصان، فالخمسة والسبعون (73 رجلاً وامرأتان) كانوا ممَثَّلين ومنتخبين عن أهل المدينة والإثنا عشر نقيباً كانوا ممثلين للخمسة والسبعين. وبعد انتشار

تلك القاعدة الجماهيرية يأمر النبـي ﷺ صحابته الكرام بالهجرة الى المدينة، واتبع ذلك بهجرته بنفسه مع صاحبه ابـي بكرالـصديق ﵁ الى هـناك، وبوصوله ﷺ الى هناك يعلن عن قيام الدولة الإسلامية، وذلك بعد ان انشأ المجتمع المسلم والجماهير المسلمة الحازمة التي ضربت بجذورها في أطـناب الأرض، اذاً ليكن في معلوم الجميع، بان الطريق الشرعي والطبيعي الوحـيد لإنشاء الدولة الإسلامية والكيان الإسلامي هو ما انتهجه قدوتنا محمد ﷺ وقد أشرنا الى ذلك في الصفحات السابقة، وكما رأينا ليس فقط لم يتضمن انشاء الدولة أيّ نوع من الإرهاب أو القوة أو التهديد، بل لم تُرق قطرة دم واحدة ولم يضرب احد بصفعه واحدة، وتأسست الدولة الإسلامية على يد النبـي ﷺ وأصحابه الأكارم بهيئتها الطبيعية ومسارها المنطقي الذي كان منبثقاً من معمعان الدعوة والتربية، وعلى يد الجماعة المسلمة المتفاعلة مع المجتمع والمُجسِّدة حقيقية للايمان والعقـيدة والعـبادة والأخلاق والآداب الشرعية الرفيعة.

الوقفـة الخامسـة

الاجابة عن بعض الأسئلة والإشكالات

أعزائـــي:

في وقفتنا الخامسة هذه، اجد من الضرورة بمكان الإشارة – ولو بصورة مقتضبة وسريعة– الى بعض القضايا التي تثير عند البعض نوعاً من التردد او الغموض في مجال موقف الشريعة من الإرهاب.

اولاً/ قضـية القتـال والجهـاد :

هناك البعض ممن لم يفهموا الإرهاب على وجهه، ولا فهموا الجهاد في الإسلام كما ينبغي، يتساءلون فيقولون: أنّى ينبغي ان يقال عن دين يرتسم الجهاد طريقاً و يؤمن بمقاتلة الكفرة حتى تحرير آخر شبر من أرض الله لم تصلها دعوة الإسلام، انّى ينبغي ان يقال بانه ضد العنف والإرهاب؟

نقـول في الإجابـة:

ا/ الأصل ان تقوم الدولة الإسلامية بالجهاد في الحالات الاعتيادية للمسلمين، كما يقول الماوردي في كتابه (الاحكام السلطانية) و ما ورد كذلك في كتب علماء السياسة الشرعية، ان تكوين الجيش المقاتل والجهاد هو من واجبات الخليفة، وقد لخص ذلك الماوردي في عشرة بنود[1].

ب/ في الحالات غير الإعتيادية للمسلمين عندما لاتبقى لهم دولة ولا كيان كما هي أوضاع الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر ففي هذه الحالة يصبح واجباً على المسلمين ان يُعِدُّوا أنفسهم للجهاد حسب طاقتهم، اذ لايجوز ولايعقل أن يقعد المسلمين مكتوفي الأيدى امام اهل الكفر ليستأصلوا شأفة دينهم، وهناك العديد من النصوص التي تبشر (الطائفة المنصورة) التي تقاتل في سبيل هذا الدين عندما تشتد الفتن و تضطرب الأمور، ومن ذلك قول النبي ﷺ: ((لن يبرح هذا الدين قائماً تقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة)) (رواه مسلم).

ج/ بتقصيّ النظر في نصوص القرآن والسنة يتبيّن لنا صحة قول العلماء الذين يقولون، ان القتال ينقسم الى نوعين:

1) قتال الدفع		2) قتال الطلب[1].

ونحن نقول: اذا جاز القيام بجهاد الدفع وهذا أيضاً ليس في كل الأحوال دون وجود دولة أو كيان شرعي وجيش مقاتل، فلا شك إن من قبيل المحال أن يقام بجهاد الطلب من هجوم وازاحة للعراقيل التي تعيق الدعوة الإسلامية دون كيان شرعي إسلامي، بل حتى الدولة

(1) أنظر الأحكام السلطانية ، ص(6،7).
(1) أشبعنا هذه المسألة بحثاً في رسائلنا المخصصة لقضايا القتال والجهاد.

الإسلامية، لايمكنها القيام بذلك إلاّ بعد أن تكون لها قوة وسلطان يؤهلها لمقارعة اعدائها.

د/ والآن... لننظر ملياً الى ذينك النوعين من الجهاد، هل فيها من الإرهاب؟ اما النوع الاول (جهاد الدفع) فلا ريب بأنه لا يشتمل على أي نوع من أنواع الإرهاب او الإكراه او ممارسة الضغوط على الناس، بل على العكس هو عبارة عن رد الإرهاب وَالضغوط التي يمارسها الظلمة: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة-194).

والنوع الثاني كما نوهنا الى ذلك سابقاً فقد شرع في الاصل لتمهيد الطريق امام مسيرة الدعوة الإسلامية، ولا صلة له البتة بالإرهاب و هو يضع الناس امام خيارات ثلاث يختارون احدها بحريتهم و إرادتهم دون إخافة او الزام او ضغوط، وهي: إما الإسلام، او الجزية، او القتال، وبتعبير آخر فان الإسلام يقول للناس: من منطلق أنني آخر رسالة من الله عزّ وجلّ، فعليكم ان تؤمنوا بي كي تنالوا سعادة الدنيا و فلاح الآخرة، ولكن اذا لم تؤمنوا فأنني لن ادع احداً يحملكم على دين لاتريدونه، فابقوا على سبيلكم، ولكنكم من أجل ان تُثْبِتوا مسالمتكم و احترامكم لهذه الدولة وعدم معاداتكم لها، لأنها وجدت لتكون ظلاً يستظل بها البشر، فعليكم ان تدفعوا الجزية، أمارة على احترامكم لها من جهة، وتكون لها عوناً تستعين بها على أموركم وحوائجكم من جهة أخرى، فان لم تُسْلموا ولم تَدْفَعُوا الجزية ايضاً، فأنتم كالصخرة التي تسدّ فم الوادي او مشرب الماء، فلا هو يرتوي من الماء ولا هو يدع الناس يروون، فلذلك يجب ازاحة مثل تلك الصخور حتى لا يَحرموا الناس من ماء المعين الصافي. والدليل على ان القتال والجهاد الإسلامي حتى في

حال الهجوم لايتضمن اكراهاً ولا سلباً للإرادة في الايمان وعدمه، هو قول جمهور العلماء وان كان هناك جدل حول علة القتل هل هي الكفر ام معاداة الإسلام فهم يقولون:

إن علة قتل الكافرين هي معاداتهم للإسلام وليس كفرهم، كما يقول شيخ الإسلام (ابن تيمية) في كتابه (السياسة الشرعية) ص (132، 133)، بان هناك جدلاً حول هذا الموضوع ولكن الصواب مع جمهور العلماء، ولكن إذا ما اقْتَنَع بعض أهل الكفر عن الدخول في الإسلام أو اعطاء الجزية، ودخلوا في القتال مع الجيش الإسلامي، ثم أبْدَوا استعدادهم في خضم المعركة لدفع الجزية، فعلى هذا اتفقت كلمتهم جميعاً بانه يجب ايقاف القتال وقبول الجزية منهم.

إذاً: فالإسلام يقول حينذاك للناس بلسان الحال: لقد أجبرتموني على قتالكم، فأنتم على كل حال أحرار في قبول الإسلام ورفضه لا أحد يستطيع أن يرغمكم، ولكن بأي حق وبأي عقل تريدون أن تَمْنَعوا انتشارَ هذا الحق والنور الذي رفضتموه، فَتَحْرِموا الناس من رؤية هذا الوجه الصبوح والصوت النَّدِيِّ! وليكن في معلومكم انني لم أمْدُدْ يداً الى سلاح كي تُسْلِموا، بل أقدمت على استخدام السلاح لانكم أَعَقْتُم طريقي فاضطررت لتطهير دربي والدفاع عن الحق وكذلك عن حقوق الناس الذين يجب ان يروني ويعرفوني، وأقْطَعُ معاذيرهم وأخَيّرهم بين الايمان وعَدَمِهِ، كما يقول الخالق جل شأنه: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ (الانفال-42).

ولذلك فعندما افسحتم لي الطريق وكففتم شَرَّكُم عنَّي، انقطع القتال من جهتي، حتى ولو لم تُسْلِموا، لانني لم أُشْبِ نار الحرب اساساً بهدف إسلامكم، ولذلك فبمجرد تحقيق الهدف وهو كفكم عن معاداتي وقف القتال لتوّه.

أما الآية القرآنية: **﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾** (الانفال-60) فهذا شيء مشروع وحق طبيعي لكل من يريد إخافة عدوّه، وهذا مقتضى العقل والشرع، فان تكون للأنسان سلطة وهيبة تردع عدوه عن الاستطالة والتمادي، هذا لا يمتُّ الى الإرهاب بصلة قريبة ولا بعيدة، إذ هذا دفاع مشروع لاغبار عليه، لأن الإستسلام وعدم الدفاع عن النفس كبيرة من الكبائر، اذ عليك ان تتخذ من الاجراءات الوقائية بحيث لا يطمع فيك العدو كلقمة سائغة، فالذي يمهد الطريق لظالمه عن طريق استسلامه له فهو أيضاً شريك مع من يظلمه، على ان الإسلام يأمر باستخدام القوة في الحدود التي وصفها الشرع وان تتجنب تعدي خطوطه الحمراء.

نعم ان الإسلام يقول: **﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾** (الانفال-60) وهنا يجدر بالملاحظة والإنتباه ان الله تعالى لم يقل (تهلكون به عدوكم) بل اكتفى بالقول (ترهبون به) اذاً يكفي من ذلك ان ترهب عدوك حتى لا يطمع فيك، ولايُعيق طريق اعلانك لدعوة الإسلام وَشريعته في حياة الناس، فما دام يدفع الجزية للدولة الإسلامية، فأنت أيضاً عليك ان تتركه على ماهو عليه من كفر.

ثانيــاً / قضـية الاغتيــالات :

لقد أوجدت هذه القضية في نفوس الكثيرين شكوكاً وَقلقاً.

نعم أيها الأخوة.. صحيح ما ورد من أن النبــي ﷺ بعث (محمد بن مسلمة) لقتل (كعب بن الأشرف) رأس اليهود في خيبر، فقد ورد هذا في صحيحي البخاري ومسلم، وانه كذلك ﷺ بعث (عبدالله بن عتيك لقتل

ابن أبي حقيق) وكنيته (ابو رافع) وهو من رؤوس الكفر والأشراك و هذا أيضاً ورد في صحيح البخاري.

وهنا يتساءل البعض: ألم يبعث النبـي ﷺ من يذهب خصيصاً لقتل ذينك المشركين، وهم يفهمون الإغتيال مرادفاً لكلمة (تيرور)! فهم بدليل هاتين الحادثتين يرون الإرهاب مشروعاً في الإسلام.

ولكن استدلالهم ليس في محله، لاننا سبق وأنْ عرَّفنا كلمة (تيرور) بأنها عبارة عن فرض تصورك او معتقدك بالقوة على غيرك، لكن الاغتيال يعني القتل في السرّ والخفاء!

ثم علينا ان نتساءل، متى وكيف اجاز رسول الله ﷺ قتل مثل أولئك وهو الملقب (رحمة للعالمين)؟ هنا نقول في الجواب: كان هذا في زمن وجود الدولة الإسلامية وَكانت قد وقِّعَتْ اتفاقاً مع (كعب بن الأشرف) قائد اليهود في خيبر وَ(ابن ابي حقيق) ان يكونوا مواطنين صالحين مسالمين ولكنَّهم غدروا و نقضوا العهد وَبدؤوا بالعمل سراً مع ألدِّ أعداء الإسلام وقد أنزل الله تعالى هذه الآية بخصوص ما نحن بصدده: **﴿وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾** (التوبة-12) فالحقيقة اذن ان قتل هؤلاء عن طريق الإغتيال حصل حتى لا تتعرَّض أقوامُهم للقتل معهم ويكتفي بسحق رأس الأفعى، ولماذا يصبح الناس عرضةً للقتل والحال ان قادتهم نقضوا العهد و قاموا بالخيانة، إذاً: لِماذا يدفع قومهم ضريبة شيء لم يكونوا على علم به، فالقادة تواطئوا مع المشركين في وضع الخطط والمكائد ضد الإسلام، فلا وجه اذن لقتل قومهم ما داموا غافلين عما يجري، فالحل الأمثل في هذه الحالة هو سحق رأس الافعى كما قلنا، وهذا أمر لا غبار عليه.

ونحن كالشعب الكردي في نضالنا التحرري كـنا نغـتال رؤوس حـزب البعث من هذا المنطلق وعلى هذا الأساس، وأي شعب آخر، يقـتل رؤوس اعدائه، فهو موافق للحق و المنطق، سواء كان ذلك علناً ام سـراً، فأنـت تحاول أيسر الطرق لضمان الظفر بعدوك وَقلة خسائرك مادام هو لا يتورع عن أي شيء يلحق بك الضرر، ولا يلتزم بالعهود والمواثيق.

ثالثاً / القضية الثالثة: قتل الأبرياء و العُزّل :

هذا هو الاشكال الثالث وَالاخير وَالذي رأيت من واجبي ان أُسلِّط عليه الضوء هنا.

البعض يقولون كيف لا يكون في الإسلام إرهاب وهو يجيز لأتباعه قـتل المواطنين العزّل كالنساء والأطفال والعجزة والمرضى و العمال، ونحن بغـية الإجابة على هذا الاشكال سنعرض هذه الحقائق:

1/ ان علماء الإسلام قاطبة مُجْمِعون على حرمة قتل النـساء والأطـفال، لورود النص الصريح في هذا، اضافة الى الحكم العام الذي يؤخـذ مـن الآية الكريمة: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ الّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة– 190)

ومن الأحاديث التي تحرِّم قتل النساء والاطفال حتى في خـضم الحرب ومعمعانها، هو هذا الحديث: ((وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ فنهى رسول الله عن قتل النساء والصبيان)) (رواه البخاري وَمسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما) وكذلك ما يخص عدم قتل الأجير والموظف، فقد ورد ايضاً حديث صريح للنبيّ ﷺ يقول فيه: ((إنْطَلِقْ الى خالد بن الوليد فقل له:

إن رسول الله يأمرك يقول: لا تقتلن ذرية ولاعسيفاً)) (رواه ابن ماجة و صححه الالباني). والمقصود باذريّة: الأطفال، والعسيف هو الأجير. كذلك لا يجوز قتل الشيوخ الذين لا يشاركون في القتال،كما جاء في هذا الحديث الذي رواه أبو داود وان كان في سنده مقالاً: (إنطلقوا باسم الله لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً ولا إمرأةً)، وحول عدم قتل الفلاحين والكاسبين، ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، هذا الأثر الذي يقول فيه: «اتقوا الله في الفلاحين فلا تقتلوهم الا أن ينصبوا لكم الحرب» سنن البيهقي ج/2، ص (91). على أن هؤلاء الأصناف الّذين ذكرناهم لا يقتلون إذا لم يشتركوا في القتال، وإلاّ فلا اشكال في إباحة قتلهم.

وقد مرّ معنا قريباً رأي جمهور العلماء الذي نقله (ابن تيمية) في (السياسة الشرعية) ص (133،132) بان قتل أهل الكفر ليس بسبب كفرهم، بل لعدائهم للأسلام وأهله، ولذلك فإن دمائهم تُعْصَمُ اذا رَضوا بدفع الجزية، ومعلوم بان هذا هو موقف الشرع من الناس العُزَّل في حالة الحرب، اما في غير وقت الحرب فالمنع من التّعّرض لهم وارد بطريق أوْلى، فاذا كان قتلُ غير المشاركين في الحرب أثناءها محرماً، فلا يبقى اشكال في حرمة قتلهم في غير وقت الحرب، وتبقى مسألة أخرى:

إذا لم يفرِّق عدوّ كاليهود بين المحاربين والعُزَّل ومارسوا معهم سياسة الإبادة ونصب المذابح دون استثناء بين محارب وغير محارب.. فهل يحق للمسلمين في هذه الحال ان يتصرفوا بالمثل ويقتلوا العدوّ من غير استثناء؟

هناك إختلاف في هذه المسألة بين العلماء، وَ ربّما كان الصواب مع الذين يقولون: يجوز التعامل بالمثل: لأن الله تعالى ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة-194)، ويقول الله تعالى أيضاً

﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (الشورى-40) ولكن يجب الانتباه الى ان اي عمل يكون ضرره اكبر من نفعه فهو حرام ولو كان في نفسه مباحاً، بدليل الآية ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ (البقرة-219).

وَأقـول ختـــاماً:

مُلَخَّص القول ان كلمة (تيرور) ككلمة وَمصطلح فكري وَسياسي منبثق من المجتمع الغربي وَخصوصاً الفرنسي، والإرهاب جوهراً وَمضموناً ظاهرة عالمية، أي انها ظاهرة عامة وَ ليست لها علاقة بالإسلام، ولو امتهن المسلم الإرهاب له عملاً فقد خالف بذلك منهاجه وَشريعة ربه، وان ارهاب العدو وابراز القوة له حال الحرب، لاربط له بالإر هاب بالمفهوم الا سائد، وان الدفا ع عن النفس وعدم الإستسلام الى العدو أمـرٌ مطلوب ومحـ يَّذ عـلى الأقل.

وَكل عقلاء العالم يرونه حقاً مشروعاً ان يكون للأنـ سـان من الـقوة والعزة والهيبة ما يردع به عدوّه ويصرفه عن الطمع فيه وعدم ا لتفكير في الإستطالة عليه.

والسلام عليكم

الحلقـة الثانيـة

العَلمانيَّــة
نظـرة واقعيـة وتقيـيم شـرعي

العَـلـمانيَّـة

تـأملات واقعيـة وتـقيـيمات شـرعية

قرائي الأعــزاء!

هذه الرسالة كانت في الاصل محاضرة ألقاها العبد الفقير تحت العنوان أعلاه، بمدينة الســـليمانية، في قاعة (الثقافة)، بتاريخ (7/ رجب 1423هـ 2002/9/14 م). ثم فرغها احد اخوتنا من الشريط الصوتي وَراجعها وأعاد كتابتها أخ آخر، وراجعتها آخر الأمر وتصرفت فيما كانت بحاجة الى التصرّف، فجزى الله أخوينا على صنيعهما خيراً.

آمل ان تستطيع هذه الرسالة تسليط الأضواء على مسألة العلمانية التي تعد اوسع الأديان المصطنعه انتشاراً، في هذا العصر مع ان أهل الغرب انفسهم التجئوا اليها كضرورة في وقتها.

ولكن آثارها المشؤومة ظهرت بصورة واضحة في هذه الايام، بحيث لأيُنكرها اي انسان ذوعقل وضمير يعتبر نفسه مسلماً ومخلصاً لامته، وهي محرمة ـ كما يبدو للجميع ـ مرتين:

اولاً: لانه دين من صنع البشر، وبديل عن الإسلام ايضاً، فالذي يؤمن به او يتبعه يغدو مقطوع الصلة بالإسلام!

ثانيـاً: ان الغرب في ظل آثارها المشؤومة قد وقعوا في اوضاع متأزمة لايتمناها انسان سويّ

نسأل الله تعالى بلطفه وكرمه ان يحفظ الشعب الكردي المسلم و سائر الشعوب المسلمة الاخرى من نكبة الانحراف عن الدين، وان يشفي الذين تلوثوا بلوثة (اللادينية) فهم في غيّها يترددون.

بسم الله الرّحمن الرحيم

ابتداءً ارحب بكم جميعاً، انني مسرور بلقائكم، وكما اشار الاخ مقدم المحاضرة، فان ندوتنا ستكون بعنوان (العلمانية) تأملات واقعية وتقييمات شرعية.

إننا كالشعب الكردي المسلم، بل لو ذهبنا ابعد من ذلك فوسعنا الدائرة لتشمل مسلمي العراق والعالم عموماً، نحتاج في كل عصر وَ أوانْ الى مَعرفة وقراءة وفهم بعضنا البعض بصورة صحيحة، خصوصاً في هذه الأوضاع العصيبة التي تمرّ بها الدنيا عموماَ، والأمة الإسلامية والعراق و كردستان العراق خصوصاً، فالحقيقة أنَّ شعوب الأرض على طول التاريخ لو قدرت على تحقيق غاية كبيرة لها، فانها تَمَكنَّت من ذلك بفضل الأخوة والوئام و وحدة الكلمة والموقف، وعلى العكس فان اختراقهم دوماً تكون من الثغرات والتصدّعات الحاصلة في صفوفهم، ولهذا ارى بأننا يجب علينا كشعب مسلم ان نتعرف حق المعرفة على الأشياء التي ينبغي علينا الوصول الى اصلها وكنهها، وان نضع فيها النقاط على الحروف، سواء كانت قضية الإرهاب التي خصصنا له الندوة السّابقَة، أو العلمانية، أو الديمقراطية، أو

العولمة، أو اية قضية مهمة أخرى والتي لم نصل فيها كشعب مسلم الى كلمة نهائية لنعرفها ونفهمها على حقيقتها، ولذلك لانستطيع ان نوحد صفوفنا وَكلمتنا وَموقفنا إزاءها.

وسنفصل الحديث عن العلمانية في أربعة مسائل:

الاولى: تعريف العلمانية، ولماذا ترجمت بهذه اللفظة؟

الثانيةً: متى وأين وكيف ولماذا ظهرت العلمانية؟

الثالثة: آثار العلمانية وَمعطياتها في حياة الناس في الغرب إذ لايجوز ان ندعو من تلقاء انفسنا الى فكرة أو تصور، دون ان نعرف ونفهم هل ا ستفاد الاخرون منه ام تضرروا، لان مثل هذا الموقف موغل في مخالفة الصواب ويتناقص مع العقل وَالمنطق، بالاضافة الى مخالفته لدين الله القويم.

رابعاً: ان العلمانية حالة غير مبررة وغير شرعية وَغير مشروعة لمجتمع مسلم، كما سنُثبِت ذلك بعد إجراء مقارنة و تقييم عادلٍ وَمنطقي.

المسـألة الأولـى

تعريف العلـمانيـة

لقد أجمعت كافة المعاجم في اللغة العربية على إن كلمة العلمانـية ترجمة لكلمة (Secularisme) الانكليزية وَ(Laic) الفرنسية، وليس لها اية صلة بالعلم لا في اللغة الانكليزية وَلا في اللغة الفرنسية، لان كل كلمة العلم في الانكليزية يُقال لها (Sciens) وَالاتجاه العلمي هو (Scientisn).

لكن الترجمة الحقيقية والصحيحة التي تناسب (السيكولاريزم) هي:

عبادة الدنيا، الدنيوية، اللادينية، اما عن سبب ترجمة العرب لتلك الكلمة بـ(العَلْمانية) فانهم ترجموها بادىء ذي بدء بالعالمانية بمعنى الدنيوية، ثم حذفوا الألف لتسهل على اللسان فصارت (العلمانية)، اذاً فترجمة السيكولاريزم بـ(العِلْمانية) وذلك لإظْهار الصلة بينها و بين العلم، خطأ وتمويه و خداع وَتغيير وَ تحريف لجوهر المسائل، وقد قاموا بهذا التزوير لتحسين الوجه القبيح للنظرية، لانه قد عُلم لو ان الكلمة ترجمت على حقيقتها بـ(الدنيوية

او اللادينية) لما لاقت القبول بين الشعوب المسلمة، ولكن لو قيل: عِلْمانية فهذا يعطي معنىً برّاقاً وَخداعاً.

الآن وبعد ان عرّفنا كلمة (السيكولاريزم) في اصل اللغة، فلنتحول لزيادة اطمئنان وَتوضيح، الى القواميس الغربية وَالأوروبية التي تُعَدُّ موطن ظهور هذه الفكرة، كيف يعرّفون الكلمة المذكورة يا ترى؟!

1/ في دائرة المعارف البريطانية ورد حول تعريف كلمة السيكولاريزم ما ترجمته: ((السيكولاريزم: حركة اجتماعية تهدف الى تحويل الاهتمام باليوم الاخر الى الاهتمام فقط بالحياة الدنيا، ويقول ايضاً: لقد كان سبب ظهور هذا المنهج او هذه الظاهرة ان الناس في العصور الوسطى كانوا مولعين بذكر الله وَكانوا يركزون اهتمامهم باليوم الآخر وَكانوا يحتقرون الحياة الدنيا و يتوجهون الى الله اكثرمن توجههم الى الدنيا، ولذلك ظهر (السيكولاريزم) للتصدّي لتلك التصورات والأحاسيس العميقة، على أمل إزالة الغيبيات من نفوس الناس كاليوم الاخر وَالرب وَسائر المغيّبات.

وان ينشغلوا بدل ذلك بأنفسهم وَرغباتهم واهوائهم والقضايا المتعلقة بالدنيا، وخصوصاً بعد ظهور (رينسانس) اي (النهضة العلمية) ظهرت هذه النظرية الى الوجود.

وقد ظهرت في القرن السادس عشر هذا النهضة العلمية من جهة والعلمانية من جهة اُخرى، والتي تصر دوماً على ان تتعلق أمنيات الناس ورغبات نفوسهم بهذه الحياة الدنيا، وان يقطعوا كل تفكير بالدين واليوم الآخر وألاّ تنشغل أفئدتهم وَأفكارهم بذلك)).

2/ وورود ايضاً في (قاموس العالم الجديد):

((ان كلمة السيكولاريزم تأتي بمعنيين:

أ/ الدنيوية أو منهج الدنيويين أي الذين لايؤمنون بغير الدنيا.

ب/ الإعتقاد بأن أمور الكنيسة وسائر الأمور الدينية لا ترتبط بصلة بالأمور الإدارية للدولة وَخصوصاً من ناحية التربية العامة)).

3/ ويقول قاموس اوكسفورد عن لفظة السيكولاريزم بأنها: ((الدنيوية أو المادية المجردة عن الدين والناحية الروحية كالتربية السيكولاريستية التي هي عبارة عن عدم الدينية و إتباع الرغبات ودق الطبول و عزف الموسيقى، والسلطة السيكولاريستية عبرة عن حكومة ضد الدين والكنيسة والعبودية لله، وَيقول ايضاً: فكرة السيكولاريزم هي التي ترفع لواء عدم جعل الدين أساساً للأخلاق والتربية)).

4/ وَيقول: (قاموس معجم الدولي الثالث الجديد)عن السيكولاريزم:

((بأنه منهج في الحياة لايكون للدين ولا لأهله على ادارة أعمالها سلطان، ويقول أيضاً: بأنها عبارة عن نظام إجتماعي، ولذلك تقول عن أخلاق المجتمع الإنساني يجب الأّ يلتفت الى الخصائص والصفات والقيم الاخلاقية بل حصر الاهتمام بمصالح الحياة الجديدة والعصرية. اي تسيير الحياة الاجتماعية والإنسانية من جهة الدولة بحيث لا يحسب لله والدين وَاليوم الآخر حساب)).

هذه التعاريف هي تصورات القواميس الغربية عن كلمة السيكولاريزم، التي تعرّف عندنا العلمانية غالباً بأنها فصل الدين عن الدولة او فصل الدين عن الحكومة، وَهذا تعريف قاصر في واقع الأمر لانه جزئي لا يُظهر الا جانباً من العلمانية، بل يجب ان نقول عن المعنى الحقيقي الذي ينطوى عليه العلمانية: هو اقصاء وفصل الدين، ليس عن الدولة أو عن السياسة فحسب، بل عن الحياة كلِّها، وذلك لأن العلمانية قبل ان يكون تعاملها مع السياسة والحكم، فهو في الصميم موجَّه نحو العقيدة والأخلاق وكيفية التفكير والقيم العليا للانسان، وتقول: يجب ألاّ تؤخذ كل تلك الجوانب من الدين، ولا ان تنبثق عنه او يستنبط منه، كذلك نقول ان تعريف العلمانية بأنّها عبارة عن هو

فصل الدين عن الدولة أو السياسة تعريف قاصر، بل هي في الحقيقة فصل الدين عن الحياة بالطريقة التي يرغب فيها الناس دون ان يحسبوا لليدين واليوم الآخر والمساءلة ادنى حساب، فهذا ملخص تعريف ومفهوم العلمانية التي هي في حقيقتها عبارة عن عبادة الدنيا و نبذ الدين واليوم الآخر والله والرسول ﷺ .

المســألة الثانيــة

متى وأين وكيف ولمــاذا ظهرت العلمانيــة؟!

ربما يجول في ذهن الكثيرين هذا السؤال المختبــيء في الأعماق، ترى لماذا ظهرت العلمانية؟ ولماذا انتهج الاوروبيون هذا الطريق؟ وأسئلة كثيرة أخرى تنطرح على البداهة، لهذا نحن نقول قبل كل شيء: ان فحوى العلمانية التي هي عبارة عن نبذ الدين، اي عدم الإعتبار لله والنبــي ﷺ وطرح شريعة الله جانباً، ان هذا المسار والتفكير بغض النظر عن المصطلح مسار قديم موغل في القدم، فمنذ اليوم الذي اهبط الله تعالى آدم على الأرض وو ضعه في الإختبار والإمتحان العسير، ثم اقتتال ولديه (قابيل و هابيل) حيث عصم هابيل نفسه من المخالفة والعصيان فلم يبسط يده لقتل أخيه قابيل، ولكن قابيل بسبب العصيان ومخالفة امرالله لم يأبه بسفك الدماء، فسوّلت له نفسه قتل أخيه فقتله، منذ ذلك العهد والصراع في اتجاهين اثنين: الأعراض كل الأعراض عن الله واليوم الآخر، وعدم الإهتمام بهما، والأقبال على الله تعالى والإهتمام باليوم الآخر ومايجري فيه من الحساب والجزاء، و وجِدَ

هذان الإتجاهان منذ البداية وما ينفكان يبقيان مختلفين متناقضين متضادين، وهما في صراع لاينقطع يسيران في مسارين متنافرين، و هذان الإتجاهان نابعان من طبيعة الإنسان، والله جلت قدرته هو الذي فطر الإنسان وجَبَلَ طبيعته على هذا، فقد خلق الإنسان وأودع في أعماقه استعداد الاحسان والاساءة، يسلك أي السبيلين شاء، سبيل المؤمنين او سبيل المجرمين، سبيل الحق أو الباطل، كما يقول جل ذكره: **﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾** (الشمس-8) ويقول تعالى كذلك: **﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾** (الإنسان-3)، وهذا ما أهّل الإنسان ليكون خليفة في الأرض كما يقول تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾** (البقرة-30)، ويكون مستحقاً لحمل رسالة الله تعالى **﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾** (الاحزاب-72)، وان يكون صالحاً للاختبار، فهو بامكانه السموّ والتدني، والإستقامة والاعوجاج، والخطأ والصواب، بإمكانه أن يأخذ الحق أو أنْ يَتَّبِعَ الباطل، ولو نظرنا الى القرآن الكريم لو جدنا ان الله سبحانه يقصّ علينا على لسان مجموعة من اللادينيين الدينويين، تعريف مسارهم ومنهجهم فيقول عز من قائل: **﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاّ يَظُنُّونَ﴾** (الجاثية-24) وما قاله الله تعالى هنا هو الحق الذي ما بعده حق، فليس من كافر او ملحد يصل في كفره الى اليقين، وقد ناظر العبد الفقير الكفرة والملاحدة وناقَشَهُم حول تلك المسائل، وعندما كانوا يقررون ان يكونوا وَلَوْ لبرهة صادقين مع أنفسهم، كانوا يعترفون بأنهم يعيشون دوامة الشك والتردّد! أجل ان الإنسان البعيد عن الله تعالى، و الواقع في مستنفع الكفر والألحاد،

لا يصل قطعاً الى الطمأنينة واليقين، بل ان غاية ما يمكنه ان يصل اليه هو الظّن الراجح! ولكن هيهات له بلوغ اليقين، لأن ذلك حِكْرٌ على الحق.

هذا وقد قصّ الله تعالى علينا قصة قوم شعيب عليه السلام الّذين وكانوا يقولون: لا ينبغي للدين أن يتدخل بالحياة، ولا يحق له التدخل في الحكم والسياسة! أرأيت كيف ان (العلمانية) حالة موغلة في الزمن، فها هم قوم شعيب يقولون لنبيّهم الذي أرسل اليهم: ﴿قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (هود-78) اذاً فهذا المسار مسار قديم، ذاك الذي يدعو الى عدم خلط العبادة بالسياسة، وألاّ يكون للدين على الحياة سلطان، نعم انه ليس امراً حادثاً ولا جديداً، وليكن في معلوم الجميع ان (السيكولاريزم) الذي ظهر كمصطلح في هذا العصر وَيكثر استعماله كان موجوداً كأتجاه متى ما بعدت الشقة بين الله وبين الإنسان، فهو يسعى دوماً ان ينهمك بالدنيا وبهرجها، وعندما لا يكون الإنسان مؤمناً بخالقه فهو يحاول جاهداً ان يجد منهجاً لحياته، فلا شك اذا انقطعت الاواصر بينه وبين الله تعالى، فسيحاول ملياً ان يعتمد ويتوكل على نفسه، لذلك فالعلمانية كمصطلح فكري و سياسى ظهرت في الغرب في أوضاع كهذه، ونحن عندما نقول (الغرب) نعني بذلك أوروبا وأمريكا أيضاً، لأنها إمتداد لأوروبا، فالذين يتمتعون بالسلطة العليا في أمريكا، هم من اصول اوروبية كانوا قد نزحوا الى هناك، وخصوصاً الانكليز الّذين استقروا في أمريكا، وأبادوا الملايين من الهنود

الحمر(١)، ولم يبقوا إلاّ على القليل منهم، اذاً فالامريكيون اليوم هم أنفسهم الاوروبيون بالأمس، تماماً كما ان الحضارة الشرقية تخضع في الحقيقة للحضارة الغربية، وعندما يطلق كلمة الغرب فاننا نعني بذلك كلا قسميه الشرقي والغربي، الذين يعتبران امتداداً للحضارتين الرومانية والاغريقية، فالاوروبيون سواء في زمن الاغريق والرومان او بعد مبعث المسيح عليه السلام ظلّوا كدأبهم على وثنيتهم المعهودة وعلى هذه الحقيقة أجمعت غالبية المصادر التاريخية التي تتحدث عن تاريخ العالم عموماً و تاريخ اوروبا خصوصاً، بأن الاغريق والرومان كانوا غارقين في الوثنية الى أذقانهم، و الى يومنا هذا لازال بعض ادبائهم و كتابهم يستعملون تعابير من قبيل إله الجمال، واله الشرّ، وإله السلام... الخ ولا شك ان هذه التعابير تعود الى الأغريقيين لأنهم كانوا يؤمنون بتعدد الآلهة، فالأوروبيون كانوا قد اعتادوا على هذا النمط من التفكير، ولهذا فعندما جاء عيسى عليه السلام كسائر إخوانه الأنبياء عليهم السلام بالتوحيد لم يستسيغوه، فعندما كان المسيح (عليه السلام) يقول لهم: ﴿إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (آل عمران -51)، وكان يدعوهم لنبذكلّ معبود سوى الله سبحانه وتعالى، فهنا شرع الاوروبيون بصورة جدية يعادون عيسى (عليه السلام)، وبدل أن يطيعوه و يتبعوا منهجه، نصبوا له العداء المقيت مُحافظة على تراثهم الوثني الذي ورثوه من الحضارة الرومانية، و قد مار سوا عداءهم بتأييد من اليهود الذين كانوا يتهمون أمَّه (مريم) بالزنى، لأنها ولدت عيسى

---

(1) اكتشفت امريكا من قبل كريستوفر كولومبس حوال سنة (1500)م ولكن دولة امريكا تأسست على يد جورج واشنطن في 1789م ولم تتأسس الا على جماجم الهنود الحمر و بعرق جبين الأفارقة الّذين إسترقوهم وإستذلّوهم.

من غير بعل، هكذا اعلنوا العداء على عيسى، فلم يكتفوا بأنكار نبوته، بل اعتبروه ابن الزنى، لكن الله الحكيم العزيز (عزّ وجلّ)، دفاعاً منه عن نبيه وعباده الصالحين، و دحضاً للأخطاء وَإشاعات التاريخ، او ضح الحقيقة وَبيَّنها في قرآنه الكريم، واعلن ان عيسى ولد من غير أب، لان الله تعالى خلق عيسى بقدرته كما خلق آدم بقدرته، فإذا كان لعيسى والدة فما كان لآدم أب ولا أم: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾ (آل عمران-59)، وقد كانت اليهود تؤيد الرومانيين في عدائهم لعيسى عليه السلام، بغية إخماد النورالذي جاء به، ووصل الأمر الى مطاردتهم لعيسى وَاختبائه في الملاجيء والمخابيء، فاصبح بفراره مطلوباً لدى الدولة الرومانية، و كانت اليهود تقوم بالتجسس عليه وَ للإمساك به وتسليمه للسلطة الروماينة الوثنية الغاشمة كي يتخلّصوا منه، ولكن الذي حصل هو ان أحد تلاميذ عيسى (عليه السلام) خانه وأخبر الروم عن مكانه، فقصدوا مكان وجوده ليعتقلوه، ولكن قدرة الله جلت عظمته تدخلت في هذا الوقت لإحباط مخططهم الخبيث، فرفعه الله من مكانه الى السماء دون ان يلحقه ضرر، كما أخبر تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران 54- 55). ويقول أيضاً في سورة النساء الآية (157) ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾.

وهكذا حافظ الله تعالى على نبيه من شر اليهود وكيدهم، و مع ذلك فالنصارى تحت تأثير اليهود يؤمنون حتى يومنا هذا، بأن عيسى إعْتُقِلَ وَ صُلِبَ فعلاً، والقرآن اوضح حقيقة هذه المسألة ايضاً، فالامر ليسَ كما يقولون، بل ان اليهود عندما دخلوا على عيسى للقبض عليه، ألْقى الله شبهه

 حفاظاً عليه على التلميذ الخائن الذي تج سس عل يه وو شيَّ بمكان وجوده، فغدا التلميذ بأمر الله تعالى على صورة عي سى (عل يه ال سلام) فاعتقلوه وقتلوه، وخرج عيسى من كوة الغرفة و رُفع من قبل ربه، والذين دخلوا الغرفة قالوا: ألم تكونا شخصين؟ فأين ذهب الآخر؟ فأنكر التلميذ ان يكون هو عيسى و استنكر اعتقاله، ولكن اليهود قالوا له: بل انت عيسى، عار عليك ان تخاف و ترتد من دعوتك، وأعاد التلميذ: انني لست هو، بل لقد رُفِعَ و اختفى قبل برهة، ولكنهم لم يُصَدّقوه، وقد قصَّ الله هذه الحقيقة في القرآن بوضوح حيث يقول تعالى: ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا**﴾ (النساء 157).

وعندما اختفى عيسى من بين ظهرانيهم، بدأت اليهود بِشَرا سَةٍ م عاداة وَمطاردة حواريي عيسى وَتلامذته وَمُحبيِّه، فكانوا يعتقلونهم، وَيقتلونهم، ولذلك لم يتمكن تلامذة عيسى و حواريّوه بسبب الضغوط الكثيرة التي كانت تمارس ضدهم من جمع الأنجيل الذي نزل على عيسى و كتابته ونشره كما نزل، فتشتت الكتاب وصار شَذَرَ مَذرَ، ومع لوم ان المقصود بالكتاب هو الرسالة والدستور المبعوث الى عيسى عليه السلام، فالإنجيل معناه: البشارة، ولكن النصارى كان عندهم حسب بعض الروايات- سبعين انجيلاً بدل انجيل واحد كما سنشير الى ذلك لاحقاً و لهذا فالنصارى وخوفاً من لحوق العار بهم، اجتمعوا واعلنوا خوفهم من الإفتضاح، وقالوا ان الله انزل انجيلاً واحداً ونحن عندنا سبعون انجيلاً،

فلنخفف من ذلك، فقلصوا عدد الأناجيل من (70) الى (4)[1] ومن ذلك التاريخ بدأت آلة التحريف والتخريب تعمل عملها في دين عيـسى (علـيه السلام)، واول من بدأ بتحريف شريعة عيسى هو (شاؤول الطرسو سي) المعروف بـ(بولص)، وكان هذا يعادي المسيحية في أول امره، ولكنه فـ جأة اعلن عن مسيحيته، والمؤرِّخون الأوربيون بعد ان حققوا في الأمر، قالوا: ان المحكمة اليهودية العليا ارسلت هذا الرجل وفق مخطط وضعوه لدسّه بين المسيحيين، كي يتمكن من تحريف دينهم وتخريبه، لأن اليهود كانوا مقتنعين بأنهم كلما مارسوا الضغط على حواريي عيسى وأتباعه، يـزدادون تمـسكاً بمنهجهم و يكثر أفرادهم ويـشتد إ صرارهم، و يـدافعون عـن أنفـسهم وَيناهضونهم، فاستحسنوا طريقة إرسال شخص يكون بمقدوره تحريف دينهم وتقليبه رأساً على عقب، وقد قام بذلك فعلاً، وأول من أثار بين المـسيحيين ألوهية عيسى (عليه السلام) هو (بولص) الذي أفهم الناس ان عيسى ا بـن الله وتجب عبادته، وإلاّ فهم كانوا يقولون قبل ذلك بأن عيسى عبدالله، امه مريم العذراء ولا أب له، بل هو عبدالله، وان الله أكرمه ببعض المعـجزات كإحيائه الموتى بإذن الله، وابرائه للأكمه والأبرص بإذن الله.... ومع ذ لـك فهو لايعدو ان يكون لله عبداً، فلا يجوز عبادته، ولكن (بـولص) ا ستطاع إثارة الخلاف والريب بينهم قائلاً: ان عيسى بأحياته للموتى وقيا مـه بـ كل تلك الأعمال فإنه ابن الله، فذلك ليس في مقدور البشر العادين، كل ذلك ليموّه عليهم، وَيلْبِسَ عليهم دينهم الحق.

(1) والأناجيل الأربعة هي: (متى، مرقص، لوقا، يوحنا) وجميعها ذكريات و مذكرّات كتبها مؤلِّفوها: إذاً مفهي بغَضٍّ النظر عن محتواها لا تعتبر كتاب الله و كلماته المباركة التي أوحاها اله الـى عيسى عليه السلام وإنما هي بَنات أفكارهم!

وفكرة اللاهوت والناسوت ايضاً كان من صنيع (بولص) حيث قال ان عيسى يتكون من شطرين، فشطر هو (لاهوت) يتعلق بالله، والشطر الآخر (ناسوت) يتعلق بالناس من أهل الأرض، ومن ذلك الوقت دَبَّ الخلافُ بين النصارى فانحرفوا عن أصل دينهم الذي كان عبارة عن «التوحيد» فاعتباراً من اليوم الذي خلطوا التوحيد بالشرك انقسمت النصارى الى قسمين، قسم صاروا موالين واتباعاً لـ(بولص) وكانوا يؤمنوا بثلاث آلهة: الأب، الإبن، الروح القُدُس ((ويقصدون بذلك: الله، وعيسى و جبريل)) وهذا هو الّذي يسمَّى الثالوث، أما القسم الآخر فَعُرِفوا بأنهم إتباع (التوحيد) و كانوا يتبعون (آريوس) وَفي سنة (320) للميلاد أعلن الإمبراطور (قسطنطين). وكان من أقوى الإمبراطورات الرومية- عن مسيحيته، وكان الصراع باقياً الى تلك اللحظة بين المسيحيين وَمُعارضيهم، أي بين المسيحيين والوثنيين، وفي هذه الأثناء عقد (قسطنطين) اجتماعاً موسعاً بأكثر من (200) من رجالات المسيحية وأحبارها وَبابواتها، وهو الاجتماع الشهير الذي عرف بـ(مجمع نيقية) وفي هذا المؤتمر وبعد جدال عنيف، اعتمدوا (التثليث) عقيدة للمسيحية، وهكذا أُقصي الذين كانوا يؤمنون بالتوحيد وَ يعتقدون ان عيسى كان يقول: انا عبدالله وما من إله الاّ الله، فاضْطُهِدَ الموحِّدون واُذيقوا صنوف العذاب، وكانت النتيجة ان أثبتت عقيدة التثليث نهائياً، ثم قاموا من اجل تقوية منهجهم و تصوراتهم بتقليص الأناجيل فلم يبقوا منها كما أشرنا آنفاً إلاّ اربعة منها وقع اختيارهم عليها.

وماكان من صلة بين ما جاء به عيسى (عليه السلام) من عند ربه، و ما قررته النصارى فيما بعد في مجمع (نيقية).

إن المؤرخين الاوربيين أقروا قاطبة ان (شاؤول الطرسوسي) هو مؤسس النصرانية، مثلاً يقول احد أشهر علماء ومؤرخي اوربا و اسمه (ويلز) في كتابه (معالم التأريخ الإنساني) في الجزء الثالث، ص (695):ان شاؤل يعتبر اول مؤسس حقيقي للنصارانية في الوقت الحاضر، وليست للنصرانية صلة بالدين الذي جاء به عيسى! وكذلك ورد في (دائرة المعارف البريطانية) ج (5)، ص (632):

لاشك ان سيدنا عيسى لم يدعُ الناس يوماَ الى انه من نسل الإله او انه ابن الله، او انه من نسل أرفع من الإنسان، بل انه كان يقول بانه عبدالله، ولكن الذي ابتدع ألوهية عيسى هو (شاؤول) والذي ايده واعتمده (قسطنطين) فيما بعد.

ويقول (موريس بوكاى) وهو رجل اوربي في كتابه (دراسة الكتب المقدسة في ضوء العلم): لم يبق أي كلام لعيسى في الأناجيل الموجودة اليوم، حتى ولا كلمة واحدة تصح نسبتها لعيسى، ويكون محفوظاً الى يومنا هذا، لان الله لم يبعث الى عيسى إلاّ انجيلاً واحداً، ومع هذا فعندهم (70) انجيلاً، وقلّصوه إلى أربعة أناجيل آخر الامر، فيا تُرى اي إنجيل من تلك الأناجيل هو ما انزله الله على عيسى، ولاشك ان اياً من تلك الأناجيل ليس هو ما انزله على نبيه المسيح (عليه السلام).

وما سردناه آنفاً كان خلاصة لقصة النصرانية والمسيحية كدين، الدين الذي حرف من التوحيد الى التثليث، الدين الذي لم تَعُدْ له صلة بالله تعالى!

ولكن دعونا نطلع على ما قام به رجال الدين والمؤسسات الكنسية و ما حل بهم ختاماً:

معلوم أن العلماء المسيحيين منذ الوقت الذي تسموا بـ(رجال الدين) ساروا بالمجتمع نحو وجهة اخرى بعيداً عن الدين الحق الذي نزل إليهم، على أن مصطلح (رجال الدين) لا اصل له البتة في حقيقة الدين بل هو نابع من المجتمع الأوربي و رجال الكنيسة انفسهم، وإلاّ فان هذا مصطلح خاطيء ولا ربط بينه وَبين الإسلام، ولم يرد في آية ولا حديث للنبي ﷺ بل ورد في نصوص الشريعة لفظ (العلماء) وهو مصطلح عام يشمل الرجال والنساء معاً، فالمجتمع في الإسلام رجالاً ونساءً عبيد الله، وليس الدين حكرا على الرجال، بل هو دين الرجال والنساء والأطفال ايضاً، والجميع مسؤولون أمامه، ولذلك فان مصطلح (رجال الدين) بمعنى ان توجد مجموعة من الرجال يختصون بخدمة دين الله دون غيرهم ويهتمون بأموره، فهذا غريب على روح الدين ولا اصل له في الإسلام، لأن الإسلام يشمل كل المسلمين بكل طبقاتهم وشرائحهم واجناسهم في المجتمع الإنساني، فتلك اللفظة ظهرت أول ماظهرت في اوربا، وقد مورست كتطبيق عملي عندما وقع رجال الدين المسيحييون تحت ضغوط الرومانيين، وخصوصاً بعد ان حَرَّف عليهم (شاؤول) دينهم وبدأ أتباعه باعطاء التنازلات، فهم بعد ان تنازلوا عن التوحيد أتْبَعوا ذلك بأشياء أخرى كثيرة، كما يقول صاحب كتاب (تأريخ اوربا في العصور الوسطى) الذي ترجم من الانكليزية:

لقد كانت حصافة رجال الكنيسة المسيحية وذكاؤهم في أنهم عندما علموا ان سيل الوثنية قادم وأن عقيدة التثليث باتَتْ قوية لا تقاوَمْ، ولا يمكن صَّدها، قاموا بالتوفيق بين الدين المسيحي وذلك المعتقد الوثني! يقول: اذن هم كانوا أذكياء لأنهم لم يَدعَوُ الدين المسيحي يَنْهار مرة واحدة، فقاموا في أول الأمر بتطعيم دينهم بعقيدة التثليث ثم جعلوا يغيرّون كل ما يتعارض مع رغبات الناس و أهوائهم ووصل الأمر الى أنهم حرّفوا أكثر دينهم، حتى

صار الدين مُزْحَةً و ألعوبة بأيديهم، فلم يبق هناك شيء اسمه د ين الله، بل صار كأية نظرية أو فكر بشري وضعه انسان بعيداً عن الدين ومنهاج الله، ولذلك فنحن لا نستغرب وَلا يثير دهشتنا إذا رأينا الأوربيين ر غم اعتبارهم أنفسهم مسيحيين يأكلون لحم الخنزير وَيشربون الخمر ويأكلون الربا وَيزنون،ولا يختتنون، فهم يستحلون كَلَّ هذه المحرمات وَغيرها وَيعتبرونها أموراً اعتيادية وَمشروعة.

وقد جاء في تاريخ الدول الأوروبية ان تلك الاشياء كلّها اضيفت لاحقاً الى الدين المسيحي، لأنها جميعاً كانت موجودة في فكر و عقيدة الشعوب والمجتمعات الأغريقية و الرومانية، وقد حادَ المسيحيون عن حقيقة الشرع والعقيدة و تَقَمَّصوا تصورات أولئك و اقتفوا آثارَهم، و هؤلاء أَلْقَوْا بترَّهاتهم وحثالاتهم وسط الدين المسيحي، والان لننظر ماهي الاشياء التي إبتدعهتا الكنيسة في الدين المسيحي...

البِدَع التي إستحدثتها الكنيسة في النصرانية

1/ <u>استحداث طبقة الكهنوت، اي رجال الدين (الأكليروس)</u>: وهذا كان من الطوام الكبيرة والبلاوي الخطيرة التي احلها رجال الكنيسة على المسيحية، فالمسيح (عليه السلام) ربما كان من أكثر الأنبياء زهداً في حياته وبساطة في أمور معيشته، فهو لم يتزوج في حياته، وكان دوماً يتحدث في المسائل الروحية، كالزهد واحتقار الدنيا، والأخلاق والسجايا الحسنة، وكان يتحدث عن تربية القلب وتعويد البدن وأعضائه على الحسنات، فلذلك لم يتخذ الدين يوماً من الأيام وسيلة لمصالحه يتاجر به من أجل معيشته، او يتنازل عنه خوفاً او من أجل مصلحته، بل كان يمتثل امر

خالقه (جل وعلا) لا يحيد عنه قيد أُنملة، ولكن رجال الكنيسة الغارقين في أهوائهم، أظهروا أنفسهم كطبقة متميزة عن طبقات المجتمع اشد التميز في كل أمر من أمور حياتهم، بدءً من ثيابهم وكيفية معاشهم، و في العبادة، وتفسير الكتاب المقدس، وفي أشياء أخرى كثيرة ميّزوا أنفسهم عن الآخرين، فكانوا يحرّفون الكتاب المقدس على أهوائهم، و يتصرفون فيه كَمُلْكٍ شخصي خاص بهم، يفسرونه ويؤلونه فيه وفق ما يشاؤون.

فيا أيها الأخوة! لا يخفى أنه يحق في الإسلام لكل المسلمين قراءة القرآن والبحث فيه وفهمه، ولكن لا تقيسوا المسيحية على الإسلام، فليس في المسيحية شيء كهذا، لم يسمح لهم بذلك إلاّ بعد النهضة العلمية، حيث بات – بعد تلك الثورة– في مقدورهم التدقيق في الكتاب المقدس، والاّ فلم يكن يحق لغير البابا و طبعة الكهنوت ان يقرأ الإنجيل و التوراة، أو يتعلمهما، بل كان قراءة الإنجيل والتوراة وتفسيرهما حِكْراً على طبقة الكهنوت والأحبار فقط، هذا من الناحية الدينية، اما من الناحية الفكرية فقد تسببت الكنيسة في إلحاق مأساة كبرى بالدين المسيحي، حيث أحدثت فيه فتنة وفوضى تفوق التصورات، فهي حرفت حتى الكتاب المقدس، فشحنتها بالأفكار الفلسفية التافهة والتصورات البشرية البعيدة عن الله والدين.. فمثلاً كان (بطليموس) و (اقليدس) عالمان وفلكيان إغريقيان، وقد ربطت الكنيسة تصوراتهما عن الكون كحقائق دينية مع الإنجيل والتوراة، فـ(بطليموس) مثلاً يقول عن الكون: الأرض مركز الكون، والنجوم تدور جميعها حول الأرض، وكان المسيحيون يؤمنون بهذا الرأي ويتبنونها، وكانوا يؤمنون كذلك بخيالات (أرسطو) عن السياسة والحكم والطب باسم العلم، مع ان تلك التصورات كانت معظمها لا تتوافق مع العلم، وكان الناس يعتبرون ما يصدر من (أرسطو) و (بطليموس) أو (إقليدس) أشياء مقدسة لا يحيدون عنها بل كان رجال الدين يعتبرون

كل كلام او رأي يخالف آراء هؤلاء كفراً ومخالفاً للكتاب المقدس، فهذا (كوبرنيك) كتب في سنة 1543 كتابه الذي ترجم الى العربية بعنوان (حركات الاجرام السماوية) وذلك قبل ان يكتشف التلسكوب، يقول في كتابه المذكور:

الأرض أحد الأجرام السماوية، والأرض ليست مركزاً للكون، و هذا يخالف تماماً اراء (بطليموس وأقليدس) عن الفلك والكون، ولذلك فإن محكمة التفتيش الخاصة بمراقبة العقائد، والتي كانت قد شكلت لذلك الغرض، عزمت على القاء القبض على (كوبرنيك) وإعدامه، مع ان المذكور كان كاهناً، لكن المنيّة عاجلته قبل ان تلقي المحكمة القبض عليه، فنجا بالموت – من قبضتهم.

لكن (جوردان برونو) الإيطالي الذي أراد إحياء نظرية (كوبرنيك) حبسته محاكم التفتيش لمدة ستة سنوات، بعد ذلك وفي سنة (1600) صبوا عليه النفط امام الملأ وأشعلوا فيه النار ليصبح رماداً، كل ذلك من اجل انه كان يقول: ان الأرض ليست مركزاً للكون، بل هي جرم من اجرام هذا الكون.

ظهر بعده «غاليلو» بسنوات وإخترع (التلسكوب)، وقد آمن بنظرية (كوبرنيك و برونو) بسبب مخترعه، لذلك اعتقلته المحكمة وحبسته مع انه كان يناهز السبعين من عمره، وقد فرضت عليه المحكمة بعض الأوراد التي كان يجبر على قراءتها يومياً ليتطهر من ذنبه، وبعد ثلاث سنوات من السجن طلب منهم (غاليلو) ان يقبلوا توبته وندمه كي لا يقضي أواخر أيامه في المعتقل.. فتنازل امام البابا عن تصوراته وقال: ان ما طرأت عليَّ كانت نظرية شيطانية وإنّي نادمٌ عنها ولن اعود اليها ولن ارتكب خطأً كهذا مرة أخرى، ولن اقول ان الأرض كروية تدور حول نفسها، و قد جاء هذا في كتاب (معالم تأريخ الإنسانية) ص(1008)، ج/1، كما

وردت نماذج وأمثلة كثيرة بهذا الصدد في كتاب (قصة النزاع بين الدين والفلسفة) فمثلاً: كان أحد أساتذة الدين المسيحى أثناء تدريسه التلاميذ ورد ذكر الفرس، فقال أحد التلاميذ: كم من الأَسنان في فَكّ الفرس يا أستاذ؟ فأجابه: لم يرد ذكر هذا الموضوع في الكتاب المقدس يا ولدي، فلا تتحدث عنه! لأن كل مالم يرد ذكره في الكتاب المقدس فا لحديث ع نه ممنوع، ولكن أحد (الأشقياء) من بين التلاميذ قال: ولكن بأمكاننا ايـ يها الأستاذ ان نأتي بفك فرس ميت او حي ونُعدَّ أسنانه، وحينذاك يتبيّن لنا عدد أسنانه بوضوح، فغضب منه الأستاذ قائلاً: اذا لم تنسحب عن كلامك هذا فسوف أفصلك من الدراسة وأحيلك الى محكمة التحقيق والتفتيش، فسارع التلميذ الى الإعتذار والإنسحاب من كلامه، هكذا كانوا يتعاملون باسم الدين مع المسائل السياسية والفكرية والثقافية والعلمية.

كان (مارتن لوثر) حامل مشعل الحركة البروتستانتية في اوربا، وحاول تصفية النصرانية من الأخطاء العالقة بها والقيام بتجديد الدين، وهـ كذا أحدث وأثار مجموعة مـ ستجدات في ا لدين النـ صراني ضـد الـ سلطة وتصورات البابا والكهنة، لكن البابوات أقاموا مذبحة كبرى للبروتستانت في سنة (1752) باسم مذبحة «سانتي بارتلي» حيث قتل منهم في ليـ لة واحدة مائة ألف، وقتل وأبيد مابين قرني الثالث عشر والـ ثامن ع شـر بأمر محاكم التفتيش اكثر من تسعة ملايين انسان و كان اكـ ثرهم من النصارى واليهود، باستثناء جماعة منهم كانوا من مسلمي الأندلس الذين لم يرتدوا عن دينهم، وإلاّ فإنهم أبيدوا جميـ عاً بأمر المحكـ مة النـ صرانية السفاكة للدماء.

ويشكل المسيحيون في الوقت الحاضر ثلاث اتجاهات (الكاثوليك، البروتستانت، الأرثذوكس) وكان الذين اقاموا محكمة التفتيش والمذابح الشنيعة واعطوا لانفسهم السلطة المطلقة هم الكاثوليك.

2/ ما إبتدعته الكنيسة في الجانب الروحي:

أبتدع رجال الكنيسة بدعاً عديدة في الدين النصراني من الجانب الروحي فيه :

أ- وكان مِمّا أحدثوه فيه «الرهبانية» كما اخبرنا تعالى ﴿**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ**﴾ (الحديد-27)، والإبتداع في الدين شيء بالغ الخطورة، لان الله تعالى خلق الإنسان وهو أعلم بما يحتاج اليه في حياته من منهاج ودين، وعندما ينقص منه ويزاد ينحرف الإنسان عن عبادة الله على الطريقة الصحيحة فتضطرب حياته حينذلك، والنصارى ابتدعوا الرهبانية على اساس الذنب الذي ارتكبه آدم، ولذلك في تصورهم بعث الله بابنه (عيسى) ليكون ضحية يمحو بها ذنب آدم ويخلِّص البشرية، ويقولون ان آدم هو الذي أذنب، وعيسى دفع الثمن، ويقولون بأن الرهبانية هي أن تُبالغ في إيذاء نفسك، لان عيسى كان ابناً لله فجاء ليخلِّص الإنسانية فكفّر بموته عن ذنب آدم، فالذي يريد ان يتخلص من ذنوبه ويتطهر ويرضى عنه الله يجب ان يكثر من تعذيب نفسه ويقحمها في المكاره حتى يفنيها، ولذلك فالراهب لم يكن يتزوج، ولا يغتسل، ولا يتعطر، ولا يتنظف، ولا يأكل طعاماً شهياً، و بإختصار فكل ما كان يتعارض مع الفطرة وطبيعة الإنسان هم كانوا يقومون به.

ب- ومن الأشياء التي احدثتها الكنيسة في هذا المجال هو «القربان المقدس» ولا يزال موجوداً الى يومنا هذا، يسميه النصارى بـ«العشاء الرباني» ويقصدون به ان عيسى دعا النصارى ذات يوم الى مأدبة فصنع الحواريون لهم طعاماً وشراباً، وان عيسى قال لهم: الذي يأكل هذا الطعام فكأنما أكل لحمي و دخل جِسْمَهُ جسمي، والذي يشرب هذا الشراب، كأن دمي دخل الى عروقه! اذاً فمن تناول من هذه المأدبة، فهو تناول دمي ولحمي وإختلط بي! والنصارى لا يزال لهم عيد يتناولون فيه الطعام والخمر، ويتخيلون الطعام لحم عيسى والشراب دمه! فانظروا بربكم الى هذا الهُراء الذي لا يتقبله العقل السوي، ومع هذا، ورغم التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل في هذا العصر، فهم لا يزالون يُقيمون مثل هذه المآدب وينشرون مثل هذه التفاهات، وهم على هذه الطوام يَعُدُّون أنفسهم متقدمين!

ج- وأحدثوا كذلك، صناعة الأصنام والتماثيل وعبادتها ولم تكن موجودةً قبل ذلك، كما يقول (وول ديورانت) مؤلف كتاب (قصة الحضارة) ج24/ ص (154)، فهو يقول: كانت الكنيسة في بداية امرها تعارض التماثيل والصور بشدة وتعتبرها من بقايا الوثنية، لكن الكنيسة عندما انحرفت استساغت هذه الأشياء كلها.

د- واحدثت الكنيسة والبابوات (صكوك الغفران)، فكان البابا يقول لشخص ما: أتريد ان يغفر لك الرّب ويدخلك الجنة؟ ان كنت تريد ذلك فهات كذا مقداراً من المال ليعفو الرب عنك، وعند ذلك كان البابا يُخرِجُ له ورقة الغفران ويقول له: وأنا في المقابل عفوت عنك بالنيابة عن عيسى، ويعفو عنك عيسى بالنيابة عن الرب، لأن عيسى

هو ابنه، بل كانوا يقولون للبعض: لقد عفونا في مقابل هذا المال عن ذنوبك السابقة واللاحقة، بل كانوا يغالون اكثر من هذا فيقولون للبعض تعالوا نعطيكم صكوك الغفران لأمواتكم كي نعفو عنهم أيضاً، وهكذا كانوا يخدعون الناس ويفتكون بهم.

ويُروى في هذا المجال انه كان هناك رجل ثريٌّ وداهية، فرأى ماتقوم به الكنيسة والبابوات من سلب جزافي لأموال الناس والأضرار بهم، فذهب هذا الثريُّ ذات يوم الى البابا وقال له: لقد جئت أُساومك على شراء شيء، فقال البابا أي مساومة تقصد؟ فقال الثري: أريد ان اشترى منك جهنم، فتعجب البابا و دُهِلَ وقال له: وماذا تفعل بجهنم، الناس يريدون الجنة ويشترونها؟ فقال الرجل: ولكنني لا اريد إلاّ جهنم، واشتريها منك جميعها، وكان البابا ما ينفك يقول: وماذا تفعل بجهنم؟ لم يكن يدري كيف يصرفه عن مطلبه، والرجل يلح في مطلبه ويقول إنّني حر في مالي، وبالنتيجة اشترى الثريّ جهنم من البابا بمقدار معين من المال، فأشاع بين الناس ان فلاناً اشترى جهنم من البابا فليس هناك داع بعد اليوم لشراء الجنة، وذلك لأن جهنّم صارت مُلكي ولا أسمح لأحد أن يَدخُلَها، و كان مقصوده أن يفهم الناس ان مسألة العفو و الجنة و النار ليست في يد البابا.

ويقول (وول ديورانت) ايضاً في كتابه: قال احد البابوات: ان البابا نائب الله وظله على الأرض، لذلك يجب ان تكون له السلطة المطلقة على الحاكم والمحكوم، ولم يكن يحق لأي ملك او امبراطور القعود على العرش والشروع في عمله الا بعد قرار البابا وكان البابا لو غضب على اي حاكم او امبراطور، يعزله في غضون يوم واحد و يُفقِدُه مسؤوليَّته.

3/ **من الناحية السياسية:** لقد كانت السلطة السياسية كما قلت سابقاً جميعها في قبضتهم، لذلك سأكتفي بالإستشهاد بمثالين من التاريخ فقط:

أ- عندما غضب البابا من اللإمبراطور (هنرى الرابع) الذي مات سنة (1576) اوقفه وسط الثلوج حافياً لثلاثة أيام، كأسلوب للتوبة، وبعد ذلك تشفع الناس الى البابا فعفا عنه، وكان السبب الوحيد لغضب البابا على الإمبراطور هو أنه قال: لماذا يتدخل البابا في شؤون الدولة والحكم؟

ب- أما الإمبراطور الرومي (فريدريك) الذي مات سنة (1177) م، فقد تعرض بالصورة نفسها من قبل البابا الى العقوبة والتعذيب الشديد المخالف للانسانية، كل ذلك بسبب بعض الآراء والطروحات التي أبداها الإمبراطور أمام البابا!

4/ **من الناحية الاقتصادية:** كانت السلطة الكنسية ورجال الدين، يعيشون من الناحية الاقتصادية في ثراء فاحش دونه الإمبراطور بكثير، فقد كانت لهم ثروات وأراضٍ وعبيداً تجلّ عن الحصر، وكانوا يأخذون ضرائب وإتاوات باهظة من الفقراء والمساكين، وَيسخرِّونهم لأعمالهم، ويلقون بكل أحمالهم وأعبائهم عليهم، فلم يكن احد يعتبر نفسه صاحب شيء امام رجال الكنيسة الذين كانوا يقومون بما يقومون به من ظلم وأشياء مستهجنة باسم الدين.

والخلاصة ان (العلمانية) جاءت الى الوجود في تلك الظروف العصيبة كرد فعل لذلك الدين المحرَّف، وتلك المؤسسات القمعية المجحفة باسم الدين، التي كانت تقف حجر عثرة أمام العلم وتطور الحياة. وعلى هذا فان ماركس لم يكن أحمقاً عندما قال: «الدين أفيون الشعوب» ان كان يقصد

بذلك الدّين المسيحي المحرَّف، والا فلو انه كان يقصد الإسلام، لكان متوغلاً الى أذقانه في الخطأ، لأن الإسلام هو منهج الحياة المبرأ من الخطأ والزلل، وهو مفتاح لحل كل المشاكل والعقد المستشكلة، ولكن اولئك لم يكونوا يعرفون سوى الدين النصراني، فكان ذلك رأيهم في الدين، والواقع ان الدين النصراني كان افيوناً بحق، يُخَدِّر اعصاب الناس و يُغَيِّبهم عن واقعهم، ويقف عائقاً بوجه العلم وَالتطور، والتفكير ومصلحة الشعب، وَانعطافة الحياة نحو التقدم. ولهذا السبب اضطر الأوروبيون ان يناهضوا ذلك الدين وَيقفوا بوجهه، فكان علماؤهم وفلاسفتهم خصوصاً، لا يرتضون ذلك الواقع و يستمرون في انتقاده، وكان السياسيون و المصلحون يكتبون و يخطبون على تلك الأوضاع الأليمة المفروضة عليهم، والشعراء يَلْمِزون أهل السلطة في أشعارهم، وَاستمر ذلك الى ان اندلعت الثورة الفرنسية سنة (1789) ضد الكنيسة، كآخر مسمار دُق في نعش الدين المسيحي المحرف والمؤسسات الكنيسة الطالحة، واعتباراً من اليوم الذي تدهورت فيه حالة الكنيسة ومالت شمسها الى الغروب، تحرر الناس من السلاسل والقيود التي لفتها حول أعناقهم الكنيسة وَالبابا وَالجَشعون من طبقة الألكيردس، لقد كان الدين النصراني كابوساً مخيفاً ظل لسنوات طويلة جاثماً على صدورهم حتى جاء اليوم الذي تخلصوا فيه من مضطهديهم وَظالميهم و شاربي دمائهم، و لذلك فقد كان احد الشعارات التي نادت الثورة الفرنسية بها هو: اُشنقوا آخر ملك بامعاء آخر قسيس....أي اقتلوا اولاً القسيس وَمزقوه وأخرجوا أمعاءه لتشنقوا بها الملك حتى ننجو من كليهما، لأن احدهما أظلم من الآخر.

المسـألـة الثـــالثــة

آثـــار العلمانيــة في حياة الناس في الغــرب

الناس في الغرب كانوا يعيشون في الأوضاع التي سردنا جانبياً منها، ولذلك قاموا بإشعال فتيل الثورة ضد الدين النصراني المحرف و ضد المؤسسات الدينية الدائبة على الظلم، إذ كانت جميع الأبواب موصدة بوجوههم، فأما ان يرتضوا البقاء في ظروفهم السيئة، او ان يناهضوا ذلك الدين الذي لا يعرفون غيره ويقفوا في وجهه، او ان يجدوا حلاً ثالثاً بديلاً كالإسلام ليتبعوه ويُخلِّصوا أنفسهم من قيود النصرانية، وهذا كان محتملاً لو أنهم لم يكونوا متعصبين لدينهم او لم يكونوا حاقدين على الإسلام والمسلمين، وكلا العائقين - مع الأسف - كان موجوداً، فالصليبيون كانوا قد قاموا بالعديد من الهجمات الوحشية على بلاد المسلمين وقتلوا منهم الآلاف، والمسلمون في المقابل كانوا قد طردوهم بالقوة دفاعاً عن مقدساتهم وخصوصاً في عهد السلطان (صلاح الدين الايوبي) الذي أبلى فيهم بلاء حسناً، وذلك ما أبقى على حقدهم نحو الإسلام وَمنعهم من التفكير في دخوله وإلاّ، فالإسلام - بحق - يفي بامور الحياة ويسير بها نحو الأمام، ويحرر الإنسان ويكفل له مصالحه الدنيوية والأخروية، والمجتمع الإنساني لا ينعم بالسعادة والحرية والامن الا بالإسلام، فمعه يتقدم ويتطور، لكنهم - يا للأسى - اعرضوا عن الإسلام صفحاً بسبب تلك الأحقاد

القديمة بل تحولوا من نصرانية محرّفة الى علمانية محرّمة ونابذة للدين، ولكن لنْلقي نظرة على مجمل حياتهم في ظل العلمانية، نقول باختصار:

أوربا كانت في التجائها بالعلمانية كالمستجير من الرمضاء بالنار، فهى نعم تحررت من ركام من الخرافات والتفاهات والعراقيل واشياء كثيرة تتعارض مع العقل والعلم، ولكنهم في مقابل ذلك اوقعوا انفسهم في طوام اخطر من الوجهة الدينية، لانهم ساروا نحو اللامبدئية، واقصوا مسألة غاية في الاهمية الا وهي الناحية الروحية والمعنوية، وبذلك أقصى الأوربيون الدين جملة وتفصيلاً، لأن نفوسهم كانت ممتلئة حقداً وغيظاً على الدين عموماً بسبب النصرانية، فصار بعد ذلك لايحق لأحد التحدث عن الدين أصلاً، ودع عنك ما آلت اليه الأحوال بعد تقدم العلم تباعاً وسراعاً، وبعد ان تحرروا من قيود النصرانية و أغلالها وبعد ان تفتحت عيونهم على الدنيا وفهموها فهماً جديداً، وخصوصاً بعد ان ترجمت مؤلفات علماء العالم الإسلامي الى لغاتهم، وكذلك بعد وقوعها في ايديهم في الحروب الصليبية، وعن طريق جزيرة (صقلية) والاندلس (اسبانيا الحالية) ترجمت الكتب الإسلامية وو صلت الى ايديهم. وتقدم العلم تقدماً بعيداً في مجالات الفيزياء والكيمياء والجبر والهندسة والطب والفلك.. الخ وهكذا وعلى اساس هذه الاسباب زاد استغناؤهم عن الدين، فألقوا بها كسِقَطِ المتاع، ويوماً بعد يوم كانت تزداد الهوة بينهم وبين دينهم، حتى وصل الامر الى ان يقول (هكسلي) في كتابهِ: (الإنسان في العصر الحديث) المترجمة من الانكليزية، بأن الإنسانية مرت بثلاث مراحل وهي:

1- مرحلة الأساطير 2- مرحلة الدين 3- مرحلة العلم

والمؤلف صادق في كلامه الى حد ما، من حيث أنه كان كما يقول المثل الكردي (يَعُدّ الجوز من كيسه) فالواقع ان أوربا قبل مبعث عيسى (عليه السلام) كانت تعيش في الاساطير، ثم بعد مجيء عيسى اليهم اهتدوا الى الصراط المستقيم وصاروا من اتباع الدين الحقيقي، ولكنهم في أعقاب تحريفهم لدينهم وبسبب ذلك ظلوا راتعين في الاساطير، وأخيرًا عندما انحرفوا عن نصرانيتهم أيضاً، توجهوا الى العلم والتقدم، لهذا فكلامه يصدق على اوربا، ولكنه ليس صحيحاً البتة بالنسبة لجميع الإنسانية لانه ليس صحيحاً اصلاً ان الدين والعلم نقيضان لا يتفقان، نعم إذا كان الدين محرفاً مليئاً بالخرافات كالنصرانية، فهذا لا يمكن ان يتفق مع العلم قطعاً، ولكن لايصدق هذا الحكم على دينٍ صحيح كالإسلام والذي جعل لحمته وسداه العلم والعقل والمنطق السليم، لهذا توجه الناس نحو العلمانية و كان لهذا التوجه أثرٌ بالغٌ في مختلف مجالات حياتهم: اما من الناحية الدينية، فأنهم كانوا قد سئموا من الدين أية سآمة، وهم على هذا كانوا يعتبرون الدين خطأً ورجعية ومانعاً للتقدم، ويعدونه كذلك خطراً وأفيوناً، فهم من هذه الناحية تجردوا عن الدين تماماً، واستقاؤوا كلَّ ما كان منه في اعماقهم وافكارهم وعقولهم وأحاسيسهم وألْقَوْا به بعيداً الى غير رجعة، واتبعوا علماً وسياسة مجردةوَ بعيدة عن الدين. والحقيقة ان كل علم وعمل، سواء كان في السياسة او الاجتماع او الاقتصاد او اية ناحية أخرى من مناحي الحياة، لا يكون الدين خميرته و روحه، لا نفع له ولا قيمة، لان ذلك سيتحول الى أهواء وَرغبات شيطانية، ويغدو الإنسان متخبطاً في أهوائه لا يأبه بالقيم والأخلاق والضمير في حياته.

وأما من الناحية السياسية، فقد حدثت تغيرات سلبية كبيرة، خصوصاً بعد ان كتب (نيكولاي مكيافيلي) كتابه (الأمير)، فقد توجه المجتمع الاوربي الى الفساد توجهاً عجيباً، ولو نظرنا الى سياسة اوربا لوجدناها تتبع النهج المكيافيلي جملة وتفصيلاً، والتي هي عبارة عن (الغاية تُبرِّر الوسيلة)[1] و قد سار الاوربيون وفق هذه السياسة، ومصداق ذلك (النازية) التي جاء بها هتلر، وَ(الفاشية) التي ظهرت على يد موسوليني، والدكتاتورية في المعسكر الشرقي باسم (البروليتاريا) على يد (لينين و ستالين)، ثم (ماوتسي تونگ) في الصّين الذي انتهج الاسلوب ذاته، ثم سائر ما كان من صنيع تلك السياسة من الايدولوجيات والنظريات والمناهج التي انفصلت عن الدين انفصالاً لارجعة فيه، لانها كانت سياسات بعيدة عن كل القيم والاخلاقيات الدينية والسماوية، واما من ناحية الاقتصاد وَرأس المال، فلا شك أنه قد بنيت معامل كثيرة وظهرت الى الوجود ثروات وأموال طائلة، ولكن الانتاج وَرأس المال الذي كان في يد مجموعة من الإقطاعيين سابقاً، الذين كانوا اصحاب كل شيء لوحدهم، آل مصيره الى قبضة الرأسماليين ولا زالت تلك الأموال والثروات في ايدي اولئك الى يوم الناس هذا، يستخدمونها ضِدّ الطبقة العاملة ويهددون بها شعوب العالم، وكانت النتيجة ان برزت الى الوجود معركة اصطلح على تسميتها بالحرب الباردة استغرقت نصف قرن، وذلك نتيجة الظلم والاضطهاد والذي كانت تمارسه الرأسمالية من جهة و

---

(1) اي ان الغاية العظيمة لاعلاقة لها بالوسيلة والاسلوب، فالمهم ان تكون لك غاية مهمة تصل اليها، كائناً ماكانت الوسائل والاساليب التي تنتهجها، سواء كانت تلك الوسائل شرعية ام غير شرعية، فالمهم ان تصيب الهدف وتنتصر وتكون الاعلى، فمثلاً كن حاكماً او ثرياً، ولو بالسرقة و الظلم و سفك الدماء.

الدفاع الذي قام به المعسكر الاشتراكي عن طبقة البروليتاريا من جهة اُخرى فقد أنشبوا هذه الحرب الشعواء بينهم على حساب الشعوب و بأموالهم، والتي ادت الى قتل ملايين الفقراء جوعاً، وفرض سياسة التجويع على شعوب العالم، ولهذا يقول احد العلماء عن مساواة الناس في ظل النظام الشيوعي: صحيح ان الناس متساوون في المعسكر الإشتراكي، ولكنهم متساوون في الجوع، ولمّا كان تلك النظرية تخالف طبيعة الإنسان من وجوه عديدة، ضاق الناس بها ذرعاً، وعمّت الفوضى في اوساط الدولة ومؤسسات الاتحاد السوفيتي، فاضطربت امام الرأسمالية الغربية وانهارت آخر المطاف، ومع ذلك فالعالم الرأسمالي لم يزل يتعاظم قوة، واستخدمت الرأسمالية اقتصاد اوربا والغرب والعالم ضد الشعوب المضطهدة والفقيرة، كي تستعمرها وتتمكن من حيازة ثروات العالم وَترتقي هي في صناعة الأسلحة الفتاكة وَالدمار الشامل بالأموال المسلوبة من الدول المضطهدة في العالم، ويُعطي بعضاً من تلك الأسلحة الى الدول الجاهلة كي تدحر بعضها بعضاً، كما حدث هذا فعلاً في الدول التي تسود فيها الفوضى والمعارضات السياسية، حتى لا تتوقف عجلات معاملهم وتظل مُنْتِجَةً بإستمرار، وليذهب الناس الى الجحيم، وبهذا الاسلوب طورت الرأسمالية نفسها، و بذرت بذور الفتنة والفرقة بين شعوب الدنيا لتحتلها أخيراً.

وَهناك شيء يثير العجب والدهشة في وقتنا الحاضر، فبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، قيل بأن ثلاثة الآف شخص قد قتلوا في برجي مركز التجارة العالمي وَ وزارة الدفاع الأمريكية، ولكنه ورد في التقرير الذي صدر أخيراً عن (مؤتمر الأرض) أن ثلاثين ألف شخص يموتون يومياً في العالم بسبب المياه الملوَّثة، اي ما يعادل عشرة أضعاف أحداث أيلول! ويقضي

ملياران من البشر حياتهم في المجاعة[1]، ويموت يومياً بـ سبب ا لجوع عدة الآف من بني البشر، وتموت الآلاف بسبب الأمراض الفتاكة المنتـ شرة في العالم، ومع ذلك فلا احد يتحدث عن تلك المآسي، لماذا؟ لانهم انفـ سهم المسؤولون عنها وهم العامل الأساسي في حدوثها، ولكنهم لايرون بأ سا ً في ان يحل بالرجل الأسود والأصفر ما يحل به، على ان يكون الرجل الغر بي الأبيض ينعم بالسلامة ويَرْفُلُ في حُلَلِها!

هذا هو النتاج المشؤوم للرأسمالية التي تسقى بماء الكفر و عـ بادة ا لدنيا وان احدى ظواهر الرأسمالية الوحشية هي (الربا والإحتكار) المعمولة بهـ ما حالياًمن قبل الدول الرأسمالية بلا رحمة ضد الشعوب الفقيرة، يَمْتَصُّون بذلك دماءهم، ويبنون قصور اضطهادهم رويداً رو يداً با سلوب مـبرمج لدحر الشعوب المُعْدَمَة، وجعلوها سلاحهم الوحيد وَورقتهم الرابحة لإ ثراء أنفسهم وممارسة الضغوط على مقابلهم وإفقارهم والافلاس بهم.

وهنا أجد من دواعي الأنصاف ان اشير الى ان المعسكر الشرقي والأنظمة الاشتراكية لم تظهر الى الوجود الا كردّ فعل للظلم ا لذي كا نت تمار سه الرأسمالية والليبرالية بلا رحمة وبلا ضمير، وذلك للدفاع عن طبقة الف قراء والمعدمين والمضطهدين، وخلق العقبات امام قسوة الرأسمالية وسيلها الهادر، وفعلاً تمكنت اللاإشتراكية والمعسكر الشرقي الى حد ما، أن تقـ لِّل من الضغوط التي شكلتها الرأسمالية، بل وَارغمتها على مراجعة نفسها من وجوه مختلفة وعادت تلك المراجعة بنفع الطبقة العاملة والمضطهدة!

(1) لاشك ان الملايين يموتون جوعاً في ظل الانظمة الرأسمالية، بسبب الفقر و سوء التغذية، وخصوصاً في دول افريقيا، واخص من ذلك بالذكر اطفال العالم، فهم محرومون، يُحدّق بهم شبح الموت في كثير من بقاع العالم.

ولكن الذي يثير العجب، أنه بعد الإطاحة بالمعسكر الاشتراكي لم يعد الماركسيون والشيوعيون الأقْحاح يجرؤون حتى على الاشارة الى محاسن الإشتراكية! وهذا بطبيعة الحال يعود الى ضغوط الرأسمالية والخوف من غضب الأسياد الغربيين وخصوصاً الأمريكيين منهم.

ويبدو لي ان هذا الموقف علاوة على افتقاده للجرأة فانه نوع من عدم الوفاء، والإستسلام المُشين امام أمريكا والعالم الرأسمالي الذي كان حتى الأمس القريب لو شُمَّت من أحدٍ رائحة تلك الدول لكان يتنفر منه ويلقى في زاوية الإهمال!

وأما من الناحية الإجتماعية فالمجتمعات الغربية في ظل العلمانية التي لاتضع اي اعتبار لله والدين واليوم الآخر، تعيش فيها الأسرة حالة من التفكك والضياع، فالأخلاق منهارة تماماً، وليس هناك شيء – أبداً– يسمى شرفاً اوحياء اوغيرة، لهذا تجد الأمراض العقلية والنفسية والاجتماعية تنخرفيهم وتتفاقم بينهم، نعم فالكثير من الاوربيين مرضى، لهم اطباء خصوصيون يَعْرِضون عليهم أنفسهم بين آونة وأخرى، بسبب الإضطرابات النفسية والروحية التي يعيشون فيها اضافة الى الأمراض الجسدية كالأيدز والزهري والسيلان، كل ذلك بسبب غياب دور الدين في أوساطهم.

واما الناحية العلمية، فلاشك ان العلم بلغ شأواً هائلاً من الرقي والتقدم، وربما كانت الإنسانية اليوم في اوج تقدمها العلمي، ولست أدرى هل سيستمر العلم في الارتقاء والتطور، ام سينحدر الى الاسفل، ولكن الأهم من ذلك ان نعلم: هل أن نتاج العلم في عصر العلمانية وفي ظل نبذ الدين، في خدمة الإنسانية ام ضدها؟ وَهَلُمَّ نلقي نظرةً الى ما تنتجه المعامل الصناعية في أوروبا وأمريكا، فمثلاً تتكرر الدعوات الموجهة الى أمريكا لتخفيض

انتاجها من الاسلحة وَالمتفجرات، لان خبراء البيئة يقولون: ان (33٪ او 36٪) من بيئة العالم تلوِّثها أمريكا مما يعود تأثيرها سلباً على البيئة وَالناحية الاجتماعية ايضاً، ومع ذلك فلا تلتفت أمريكا لتلك الدعوات وَالواقع المعاين ان اكثرية إنتاج معاملها يختص بالحروب والأسلحة والمتفجرات، ولا تُخَفِّضُ أمريكا إنتاجَها بسبب الارباح الهائلة التي تجنيها من ذلك، ولا يهمها بعد ذلك ان تتلوث البيئة في العالم، أو ان تنثقب طبقة الأوزون فتذوب ثلوج القطبين وَتتكون السيول الجارفة، ليس هذا مهماً ابداً، بل المهم ان تفحُش ثراء أمريكا وسلطتها، هذه هي نتاجات العلم في زمن العلمانية، والتي تُهمل فيها المصالح الإنسانية، ولا يؤبه بالهواء والمياه والبيئة وتعرض الحيوانات في البر والجو الى الإبادة، حتى ان بعض خبراء الاحياء والبيئة ليقولون: اوقفوا هذا التلويث للبيئة، وإلا فسنكون عُرضة للانقراض كما انقرضت الدِّيناصورات، ولا أحد يستجيب لتلك النداءات، من الذين يُلوِّثون الدنيا بقذارات معاملهم!

المسألة الرابعة

هل العلمانية حالة مبَّررة، او يمكن ان تجد لها موطئ قَدَمٍ بين امة تعتبر نفسها مسلمة ؟!

إن اللادينية أوْ الدنيوية (العلمانية) – كما مرّ معنا آنفاً – انبثقت من الغربْ، كقيح وصديد خرج من أجساد أناس لادينيين مرضى ثم و صلت إلينا، (فالعلمانية) دواء لأدواء غيرنا، وزبد جُفاء لبحر الخيالات وأ ضغاث الأحلام التي كان يتمسك بها الذين أشرفوا على الغرق والهلاك، وما كان ذلك ليُنقذ احداً من الغرق، لهذا فليس ثَمَّ وشيجة بيننا و بين العلمانية، ولكن الاوربيون كما قلنا كانوا مضطرين ان يلوذوا بالعلمانية ويتبعوها، بسبب تحريف الدين وظهور طبقة الكهنوت ورجال الدين الّذين أحدثوا بدعاً وخرافات ومساويء لا تحصى، وهكذا اضطر الناس لنبذ المسيحية، اما في الإسلام فلا يوجد مسوّغ للناس لتركه والتوجه الى اللادينية، فلا توجد عندنا – نحن المسلمين – مثل تلك المشاكل التي عانى منها الغربيون، في نصوص ديننا ومنهجنا، لان لنا قرآناً تكفل الله تعالى بحفظه كما يقول سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر-9) والعلماء كلهم مجمعون على انه: لم يُغيّر في القرآن ولو حرفٌ واحدٌ، وذلك لأن الله بعث بهذا القرآن الى الإنسانية جمعاء، وطالما بقي الإنسان على سطح الأرض، فهو في حاجة الى هداية الله تعالى، والقرآن هداية للانسانية فيجب ان يظل محفوظاً سالماً وكذلك كان، وعندنا سنة نبينا ﷺ، وقد أريد تشويهها منذ

البداية فوضعت أحاديث على لسان نبينا محمد ﷺ ، ولكن فطاحل الإسلام وجهابذته والحمد لله– شمروا عن ساعد الجد فوضعوا السنة في غربال التحقيق وَالتمحيص وَميّزوا الصحيح من غيره، فما قاله الله تعالى، وما قاله وفعله الرسول ﷺ، كل ذلك في متناول أيدينا بصورة منتظمة، فنصوص الإسلام مختلفة اشد الاختلاف عن الانجيل، الذي نزل الى عيسى عليه السلام، فلم يَبْق اثر للانجيل، بل تحول الى سبعين انجيلاً ثم اختاروا من بينها حسب اهوائهم اربعة منها ولكن قرآننا قرآن واحد محفوظ منزّه عن العبث، اما الأناجيل الحالية، فكم منها قول الله سبحانه؟ وكم منها قول عيسى (عليه السلام)؟ وكم منها مُختْلَقٌ وكذب؟ مع ان من المستبعد ان يكون شيئ من كلام الله باقياً فيها، فالحيرة تكتنف قارِئها ماذا يصدّق من بينها؟

وَأما من الناحية العقيدية، فديننا لم تتغير فيه عقيدة ولا شريعة، نعم هناك اُناس انحرفوا، فهؤلاء هم الذين تغيروا، والا فالأصل محفوظ على حاله، فالقرآن والسنة والعقيدة والشريعة كلها ترفل بالحفظ وَالصون، وأئمة الإسلام الأعلام، أطهار أبْرار لم يحيدوا عن الطريق، فالذي يريد ديناً مستقيماً خالصاً، فدونه القرآن وَالسنة، تنعمان بالحفظ وَالسلامة، وليست عليهما ذرة من غبار، والذي يدعو الى الأسف، ان كثيراً من مثقفينا وَدارسينا ينظرون الى القرآن والسنة، بمنظار الرجل الاوربي، الذي ينظر الى الانجيل والتوراة المشحونتين بالبدع والخرافات والاشياء التافهة والمخالفة للعقل وَطبيعة الحياة والإنسان، نعم قد ينظر البعض من الكرد والعرب وَغيرهم الى القرآن والسنة بهذه النظرة، في حين أنهما مليئان بالعلوم والاخبار والأحداث والحقائق العجيبة، وبالقصص التاريخية المهمة والعبر

النافعة، كمحيط لاقعر له يغصّ بالجواهر واللآ ـلىء، فالعلوم الكام ـنة في القرآن والسنة حقاً تجلّ عن الحصر، فهما منهاج الحياة الإنسانية، ومع ذلك يأتي البعض ليُصْدِرَ أحكاماً بلا تثبت على آخر دين وشريعة انزلها الله تعالى للبشرية، دون بحث او فهم او دراسة معمقة عقلية وعلمية ليتبيّن له بجلاء أنّه لا مقارنة بين كتاب و أي كتاب و دين آخر سواء كان سماوياً محرَّفا أو أرضياً مُختَلقاً، وبين الإسلام، والفرق بينهما كالفرق بين السماء والأرض، فالعقيدة والتوحيد محفوظان في الإسلام، فالمعبود هو الله تعالى دون غيره، وَمحمد ﷺ عبدالله ونبيه المرسل وليس معبوداً.

يقول المسلمون عنه في صلواتهم: (اشهد ان لا إله الاّ الله وَأشهدُ ان محمداً عبده ورسوله) ورسولنا محمد ﷺ كان يكرر هذا بنفسه وَيؤكد عليه قائلاً: ((لاتطروني كما أطْرَتِ النصارى ابن مريم انما انا عبدالله ورسوله)) (رواه البخاري)[1].

وفيما يخص الإهتمام بالعلم والعقل وإحترامهما، فليس عندنا من هذه الناحية اي اشكال، نهتم بالعقل والعلم ونكن لهما الحب والإحترام، وعلى العكس فنحن مشكلتنا مع الجهل وليس مع العلم والعقل، والإسلام يشجعنا على استحصال العلوم والسير قدماً بالعلم وَالعقل، كما ان الله تعالى انزل قرآنه الى رجل أميّ، ولكنه بدأه بـ**﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾** (العلق-1) وختمه باسم الناس، كما جاء ذلك في آخر آية من القرآن: **﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾** لان هذا القرآن انزل الى أهل الأرض قاطبة، ليفقهوه، ويجعلوه

---

(1) وكانت هذه دعوة عيسى و سائر الانبياء ايضاً كانوا يقولون لاقوامهم: ياقومنا نحن عباد الله ارسلنا اليكم لنهديكم الصراط المستقيم، فهلموا اتبعونا ليرضى عنكم الله وتنجو من العذاب، فمثلاً كان نبينا محمد ﷺ يقول: (انما انا بشر مثلكم يوحى الي....) (فصلت -6).

منهاج حياتهم ويعملوا بما فيه، وقد تكررت لفظة العلم في القرآن الكريم (750) مرة، دلالة على عظم اهمية العلم، وتكررت لفظة العقل والفكر اكثر من (50) مرة، وخص الله تعالى كتابه بالعقلاء فقال ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ (ص-29). فالإسلام ليس لا يضع العراقيل والعوائق اما تقدم العلم فحسب، بل انه يشجع الإنسان مراراً وتكراراً على التقدم العلمي، فمثلاً يقول عز من قائل ﴿فَلْيَنظُرِ الإنسان إِلَى طَعَامِهِ﴾ (عبس-24)، فلينظر الإنسان الى طعامه، كيف هو؟ وممّاذا خلق؟ وما مدى اهميته وَنفعه؟ ويقول: ﴿فَلْيَنظُرِ الإنسان مِمَّ خُلِقَ﴾(الطارق-5)، ويقول أيضاً: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ﴾ (الاعراف -185) فالأوربيون عندما تركوا الخرافات وأساطير الكنيسة التي كانوا يسمونها دين المسيح، هنالك تخلصوا من الجهل الذي كانوا غارقين فيه، وسعدوا بلقاء العلم والعقل والتقدم، ولكن المسلمين لم يسعدوا بالعلم الا عندما التزموا بالقرآن والسنة، وعندما ابتعدوا من القرآن والسنة توجهوا الى الخرافات والاساطير، فنحن في الإسلام لا يوجد عندنا رجال الدين، بل عندنا علماء الدين وعلماء الإسلام، عندنا ائمة الإسلام، ولكن ليس لهؤلاء امتياز او خصوصيات من دون الناس، الا انهم اعلم من الناس واعرف بالدين منهم، وعلى ذلك يجب ان يكونوا افضل من الناس وَاكثر خوفاً من الله، والاّ فَلَمٍ يَخُصُّوا دون الناس بأية درجة او مرتبة. كما يقول تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات-13) وما عدا التقوى، فليس في الإسلام تمييز بين الاجناس والالوان، بين الاقوام والقبائل، وبين الناس عموماً، فكلهم مخلوقون لعبادة الله تعالى كما يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ﴾(الذاريات-56) ولذلك فالإسلام من

الناحية السياسية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية..الخ لايعطي ا لحق لايّ عالم او إمام ألاّ يَعمل بآية أو حديث، او أن ي قول إن ذ لك ا لحديث لا يشملني، أو أن يتصرف فيه، أو ان يقوم بما يخالف الكتاب والسنة كما كان رجال الدين في النصرانية يتصرفون في النصوص وفق رغباتهم، لان م سألة عدم التصرف في النصوص مسألة محسومة، وهو أمر لا مجال فيه في الإسلام، واذا ماصدر ذلك من احد اعتبر كافراً، وذلك لأنه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾ (النساء-122) ومن كان في الإسلام اعلم من غيره، فعليه ان ي كون اكثر إلتزاماً بالقرآن والسنة، وليس من أحد ابداً فوق ا لدين و د ستورالله تعالى.

وبعد ذلك فالإسلام ليس عاجزاً عن ادارة الحياة كالدين المسيحي المحرف وفي الحقيقة ان الاوربيين كانوا بحاجة ملحة الى شريعة حقيقية يَسْتَعينون بها في أدارة حياتهم، والانجيل المحرَّف يُغَصُّ بالخرافات والاساطير، مما يُعجْزه ان يَقُود إدارة أمور الناس، والمشاكل السياسة والاجتماعية والاقت صادية..الخ، لا تجد لها حلاً في الانجيل، ومع ان فيها من الناحية الاخلاقية بعض المحاسن، الا انه يوجد فيها من جهة اخرى نوعاً من الاباحية والمساوىء، فما جاء به موسى وعيسى عليهما السلام، حرفه اليهود والنصارى وأضافوا إليه كثيراً من تفاهاتهم وتصرفوا فيه، فعيسى جاء مصدقاً منهج موسى، ك ما ي قول تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾(آل عمران- 50)، ولأن الإنجيل والتوراة مكملتان لبع ضهما، وفي عهد هما كانت الح ياة ت سير ب هداهما، ولكنه ما حرف تا وت صرِّف في مضمونيهما، وخصوصاً الانجيل الذي كان مقتصراً على المواعظ الاجتماعية والروحية والاخلاقية، ومعلوم ان الحياة لا تسير شؤونها ولا تنظم ب هذه

الاشياء فقط، فرسالات الله وكتبه تأتي لترتيب امور الحياة في المجتمع الإنساني من سائر الوجوه.

لذلك فنحن المسلمون ليست لدينا معاناة من هذه الجهة، اذ ان قرآننا يتضمن كل ما يهمنا، من الطهارة حتى الحرب والسلم والسياسة والاقتصاد وعقد الرابطة بين الشعب والدولة وبين الراعي والرعية، وتعامل الإنسان مع الفرد والمجتمع، ومع الاسرة والاقارب، مع الخارج والداخل، مع الصديق والعدو مع المحسن والمسيء، إذ كتاب الله المنزّه من كل نقص وعيب، اوضح لنا كل ذلك بوضوح مابعده وضوح، وسنة النبي ﷺ قد جسدت لنا كل ذلك بالتطبيق العملي، فمن عرف هذا فقد احسن واجاد، ومن جهله فهو الملام على تقصيره، واذاً فالذي يقول: ليس في الدين سياسة وحكم، او قضايا الاقتصاد وكذا وكذا، فهذا إمّا أنّه لم يفهم القرآن فهو جاهل به، او انه عدو للاسلام حانق عليه، والاّ فأنت عندما تدرس القرآن دراسة جيدة، يثبت لك بطلان مثل هذه المزاعم! وان ممّا يدعوا الى الانتباه ان الدولة التي قامت على اساس الشريعة والقرآن، منذ اليوم الذي وضع حجر الاساس لها محمد ﷺ في المدينة والى اليوم الذي اطيح بها بتخطيط من الامبريالية العالمية على يد (اتاتورك)[1] العلماني سنة (1924) استغرقت (13) قرناً، فأيّ دولة في التاريخ عمرت هذا العمر المديد. وا ستطاعت ان تقف بوجه تلك المشاكل المستعصية، وان تصد تلك الحشود من الاعداء والمعارضين، كالتتر والمغول والمنافقين في الداخل، نعم هذا هو الإسلام، كان اساسه متيناً الى حد استطاع ان يقود دولة ثلاثة عشر قرناً وسط كل تلك

---

(1) اتاتورك معناه بالتركية (ابو الاتراك) ولد في سالونيك سنة (1881) واطيحت بالخلافة على يده سنة (1924) بايعاز الدول العظمى، مؤسس الدولة التركية الحديثة، طرد الجيوش اليونانية سنة (1920) ومات سنة (1938)، كان عديم الاخلاق عدواً لله.

الصعوبات والمعضلات، ورغم وجود التقصير والانحراف من جانب المسلمين انفسهم، الا ان ثبات تلك الدولة بوجه المصاعب كان آية من العجب.

لذلك كله نقول: ان الإسلام قادر على حل جميع المشاكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والوطنية والعسكرية.. الخ شريطة أن نكون عاملين بالقرآن والسنة لا نحيد عن هديهما، لان في دينك المصدرين حلول جميع المشاكل والعقد المُسْتَعْصية في هذه الحياة، وهذا امر لا يحتاج الى برهنة، لان الإسلام شريعة منبثقة من رحمة الله وحكمته وعلمه اللامتناهي، تقوى على كل ذلك لانها شريعة جاءت حتى يعمل بها وتغدو دستوراً ومنهاجاً للحياة من كل الوجوه، ورغم هذا، فهناك من يظّن انه اذا توجه الى الإسلام والتزم به، وقفت عجلة الحياة وضاقت المعيشة ورجع الناس الى الوراء وتوقفت الصناعة وَالتكنولوجيا! وهذا تصور خاطئ، وليس الأمر كذلك، نعم ان المسلمين قد تخلفوا من الناحية العلمية والتقنية العصرية، وهذا بسبب تخلفهم عن دينهم، لانهم لو ساروا على هَدْي دينهم لرافقوا مسار العلم وما كانوا ليفرطوا في الصناعة وحيازة التقنيات الحديثة، ورغم ذلك فهم متقدمون من نواحٍ كثيرة، فتخلّف المسلمين كما قلنا- عن ركب العلم والتكنولوجيا هو بسبب تخلفهم عن دينهم، وإلاّ فعندما كان المسلمون ملتزمين بدينهم كانوا قد سبقوا أوربا بمراحل، كما يتضح ذلك من تاريخ المدنية الإسلامية ومن متاحف العالم ايضاً، يقول الدكتور (علي شريعتي) بهذا الصَّدد:

كان الاوربيون عندما يصنعون شيئاً، يختمونه بكلمة (الله) الذي كان ختم العالم الإسلامي آنذاك، كي يروّجوا بذلك لبضائعهم ويُظن إنّها بضاعة اسلامية، وسبب ذلك كان كامناً في التقدم الحاصل في صناعة العالم

الإسلامي، كما إن الصناعات الأوربية المتقدمة بهذه الصورة التي نراها اليوم، تختمُ باختام الدول المعروفة صناعياً فاذا قيل ان البضاعة امريكية او انكليزية مثلاً لقيت رواجاً!

ويُقال ان (هارون رشيد) بعث بساعة رملية الى احد قياصرة الرّوم وكانت تعمل وتتحرك من تلقاء نفسها، فأثارت الساعة دهشة القيصر، فجمع بعض العلماء والخبراء ممن حوله لينظروا كيف ان هذه الساعة تعمل من تلقاء نفسها، لان ذلك كان شيئاً غريباً عندهم، وكان آخر رأيهم ان قالوا:

لاشك إن جنياً او روحاً خبيثة وضعت في هذه الساعة وإلاّ لما تحركت هكذا!

فخلاصة الكلام اذاً، ان العلمانية (اللادينية) ليست لها موطيء قدم في العالم الإسلامي، ولا ينبغي للمسلم الإلتجاء اليها تحت أية مسوغات او ذرائع، لان المسلم في غنىً عن كل الطرائق والسبل، بفضل قرآنه وسنة نبيه ﷺ وشريعة ربه المعصومة عن الخطأ والزلل.

وأرى في ختام هذا الحديث أن أتعرض الى ذكر ثلاث حقائق:

الاولى: ان اخذ العادات والتقاليد، وهيئة الملابس والثياب والمظاهر الاخرى من أي اُمة على اساس التقليد، دون معرفة الحكمة و الفلسفة من ذلك، اقول: ان ذلك تخلف كبير، فمثلاً: الذي يلبس (الكاوبوي) او يطوّل الخنافس، او يحلق رأسه بصورة تثير الانتباه، او يقوم بأي عمل غريب عن عاداتنا وتقاليدنا، ربما تكون لتلك الاشياء حكمتها واسبابها في أماكنها الأصلية، أما ان تقلده انت ها هنا دون سابق معرفة، فالحقيقة ان هذا محض جهل، سواء فعل ذلك الرجال أم النساء المثقفون أم الاميون،

لاسيما ونحن نقول بأننا نعاني من عدم التمتع بالكيان السياسي، إذاً: فلماذا نضيّع خصوصياتنا القومية و نجرد أنفسنا منها؟

الذين وقعوا تحت تأثير الثقافة والسياسة الغربية تراهم إرضاءاً لهم وتزلّفاً اليهم، يأخذون منهم المناهج ويضعون الدين و مصالحهم جانبياً، ولئن كان التقليد في مجال العرف وَالعادة خطأ، فان الاخطر من ذلك ان نأخذ الأفكار والثقافات والتصورات وَالنظريات التي جادت بها أيادي الذين ما فتئوا أعداءً لديننا وأمتنا وعاداتنا وتقاليدنا، لاريب ان هذا خطأ اعظم وخطر اشد، لان ذلك معناه الحياد عن طريق الله عز وجل، وذلك هو الذنب الاكبر يقول تعالى: ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾ (الجاثية– 18) فاذا كان الاوربيون كما قلنا سابقاً لم يكن لهم دين صحيح يتبعوه ويجعلوه بلسماً لحياتهم، فالتجئوا الى كل ما من شأنه ان يغيثهم من الهلاك، كالغريق الذي يتشبث بكل حشيشة، فتشبثوا بالعلمانية فالتزموها ليتخلصوا من محرقة المسيحية المهلكة، فما بالك انت ايها المسلم؟ أليس دونك هذا الصراط المستقيم، والطريق الأبلج، ايكون في حوزتك أنجع الأدوية، ثم تعيش وسط الداء، كما يقول المثل الكردي: «كان بيتهم مملوءاً بـ(رازيانة)* وطفله يموت من وجع البطن» فالذنب في هذة الحالة ذنبك، لانك حدت عن شريعة الله تعالى.

الثانيـــة: لنأخذ العبرة من غيرنا، من العرب والترك والفرس:

* نبتة تستعمل كدواء لوجع البطن.

فالعرب مثلاً ظلوا أعزة اصحاب هيبة وسلطة وَصِيْتٍ، عندما كانوا متمسكين بدينهم، ولكنهم عندما أعرضوا عنه، وقعوا في الأدواء والـ فِتن، والأتراك عندما كانت عندهم الخلافة الإسلامية كانوا اصحاب سلطة وقوة ومنعة، وشعوب العالم كانت في حاجة اليهم، وكانوا جريئين في دفاعهم عن الإسلام، ولكنهم عندما اتبعوا ـمنهج (ا ـتاتورك) والعلمانـية، و صِلوا الى مستنقعهم الذي يعيشون فيه اليوم.

في سنة (1996) ذهبت الى (اسطنبول) وعـ قِدتُ لـ قاءاً صِحيفاً ـمع مجموعة من الصحفيين، سألني احدهم: هل ذهبت الى (طوب قابي) مو ـقِع آثار السلاطين العثمانية؟

قلت: نعم، وانقدحت في ذهني ملاحظة مهمة، إذ جعلت أقارن بين تركيا الحديثة في ظل العلمانية، وتركيا الامس في ظل الخلافة العثمانية، قالوا: ماذا تقصد؟

فقلت: لقد اصبحت تركيا اليوم في ظل العلمانية ذيلاً للغربيين بل تـ كاد لا تقبل حتى ذيلاً، ولاتقبل ـبالف ر جاء والتـ ماس في الـ سوق الاوربـ ية المشتركة، اما ايام الخلافة فكانت ملوك أوربا وقياصرتها يتمـ نون فـ قط ان يحظوا بلقاء السلاطين العثمانيين، لأن تركيا في ظل الخلافة الإسلامية كانت قائدة المسيرة ومحوراً يرجع الناس اليها، كان رأسها أشـماً في العلالي، واليوم سويت مع الأرض فلا يعمل لها حساب.

قال الصحفيون في ختام اللقاء: نحن لا نستطيع ان ننشر هذا، قلت لهم: على كل حال هذه ملاحظاتي وتصوراتي عن تركيا وهى حقائق وا ضِحة، وانتم أحرار أن تنشروها او لا تنشروها.

ثم كيف كان الإيرانيون في عهد رضاه شاه وإبنه محمد؟ وكيف أصبحوا عندما قامت ثورة اسلامية بينهم، بالرغم من صبغتها المذهبية مع الأسف.

اختلف الوضع كثيـراً، وحدثت تغيرات عجيبة في كل مناحي الحياة.

فإيران اليوم صاحبة سياساتها ومواقفها المستقلة وصاحبة منجزات مهمة حضارياً، فهي في المجال السياسي مثلاً تستطيع ان تقول لأكبر قوة في العالم: لا، اما الشاه فكان يسمّى شرطي المرور الامريكي، كما يقولون اليوم لـ(توني بليـر) وزير الخارجية الامريكي، وانظروا الى العرب و هم (200) مليون نسمة، كيف باتوا أذلة في أيدي الغرب، و لذلك قال ا حد وزراء الخارجية في دولة عربية، نحن اليوم عاجزون، ولا نستطيع ان نقول الاّ كلمة (لا حول ولا قوة الا بالله) ولا نستطيع فعل شيء آخر... وهذا غاية الذ لة والاضطهاد في ظل الأنظمة القومية والعلمانية والعجيب من أ مر الأ خوة العرب في هذا العصر هو لهجهم بذكر القومية العربية.مع أن هم لا يُ عانون بإستثناء الشعب الفلسطينى المظلوم من م سكلة تقر ير الم صير كالشعب الكردي المضطهد. وهذا في الوقت الذي يحسبون أنفسهم مادة الإ سلام وكانوا كذلك حقاً- إذاً: لِمَ لا يركِّزون على ذكر ما يفتقدو نه في وا قع حياتهم السياسي والحضاري، وهو تمثّل الأسلام و تج سيد قيَ مِهِ الفكر ية والثقافية والسياسية والحضارية؟! إذ هم بهذا الطر يق و حده ي ستعيدون مجدهم الغابر و دورهم العظيم في خدمة الأمة الإسلامية والإنسانية جمعاء!

والحقيقة الثالثة التـي سأختتم بها هذا الحديث:

هي أنني أقول بصراحة دون مواربة:

أن العلمانية هي اللادينية التي لا يمكن ان يوجد لها موطئ قدم في شرع الله تعالى، بل من اللادينية ان نقول: ان العلمانية له موقع في الدين، او يمكن ان ينسجم مع الدين! فالعلمانية كما عرضنا ذلك مراراً، لا تَحْسِب حساباً لله والنبـي والدين واليوم الآخر والجنة والنار اصلاً، ولا شك ان هذه الأشياء تعتبر من أصل الدين، بل ان الدين نفسه متكون من هذه الأصول، ولهذا لا نخشى لومة أحد ونحن نَعْرِضُ هذه الحقيقة الواضحة، فنحن لا نخادع قومنا، ولا نَلْبِسُ عليهم، رضي بذلك من رضي وسخط من سخط، فنحن نقول الحقيقة، ولم نَعِدْ أحداً على كتمان الحقيقة! ولم نتعهد بالامساك عما يغضب الناس، ولكن لا نقول أنَّ كل من كان علمانياً او تسمى بالعلمانية خرج من الدين، لان المتسمين بالعلمانية على قسمين: قسم فهموا العلمانية على حقيقتها واتخذوها مبدءً وفكرة، وهم يعرفون ما هي العلمانية وما تقولها وما تريدها ولماذا يتبعونها، وان شخصاً كهذا معلوم انه قطع الروابط بينه وبين الدين، وقسم آخر، يتبعون العلمانية على عمىً دون دراسة او فهم لحقيقتها وكنهها، تماماً كتقليده للغربيين في الثياب والعادات الأخرى دون فهم لحكمتها وسببها، فهنا أيضاً يقول: العلمانية شيء جيد، والعولمة كلها خير وبركة، دون ان يعلم حقيقة اين خيرها وبركتها، وما هي حقيقتها والمغزى منها! ومثل هؤلاء يختلف حكمهم، وقد يغض الطرف عنهم حتى تقام عليهم الحجة وتقطع معاذيرهم، فعلماء الإسلام مُجمِعُون على ان الحكم بالكفر على المسلم او من كان في ظاهره مسلماً يتوقف على ثبوت الشروط وانتفاء الموانع، ولذلك يقولون: قد يكون قول الرجل وفعله كفراً ولا يكون هو كافراً.

وعلى هامش قولنا ليس كل العلمانيين لهم حكم واحد، سأسرد هذه القصة: في بداية انتفاضة شعب كردستان عام (1991)، حكى لي احد اخوتنا قائلاً: بعد الإنتفاضة لقيت أحد الپيشمرگه و كان قد إنتمى الى الحزب الشيوعي وهو من أقاربي، فقلت له يافلان: اين أصبحت و لماذا لا أراك في هذه الايام، فقال: اذا منَّ الله عليّ بالقبول فأنا مع الحزب الشيوعي!!

فاذا كان هناك من فهم العلمانية كما فهم هذا الغافل، فهؤلاء لهم حكم آخر، ويجب ان يُفَهَّموا وتوضَّح لهم الأمور. وألاّ ينتظروا أبداً ان يتقبل الله منهم العصيان بالطاعة! إذ كيف يكون الإنسان مع الهازلين بالدين والحاقدين عليه، ثم يحسب له اعماله طاعات وعبادات! هذا لعمر الحق هو المستحيل بعينه، بل لا تقبل مثل هذا حتى الأديان والنظريات البشرية، فكيف بمنهج الله العظيم خالق الوجود والكائنات!! وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الحلقة الثالثة

حقوق الإنسان
بين الإسلام والغرب

هـذه الرسالة

قرائي الأحبّـــاء:

هذه الرسالة كأخواتها، كانت في الأصل محاضرة أُلقيت في ندوة عقدت بمدينة السليمانية، في قاعة (الثقافة) بتأريخ (1/ شعبان/1423- 2002/1/7، تحت عنوان (حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب)، ثم فرّغها بعض المخلصين من اخوتنا من الشريط، وبعد مراجعة وتصرّف يسير، أثبِتَتِ المحاضرة كما هي.

نسأل الله ان يجزي اخانا خير الجزاء، وان يهب هذه الرسالة من الرصانة ما تحقق الغاية التي كتبت من اجلها.

ان حقوق الإنسان، وحريته وكرامته، تعتبر الميزان والمحك لاي دستور او منهج، وقد حَقَّقَت شريعة الله تلك الحقوق والحريات بصورة لاتبلغ بها النظريات والمناهج الوضعية الا في الاحلام، فمن يكون ارحم بالعباد، وأشد حرصاً على حفظ حقوقهم ومعاشهم، واضمن لحرمتهم و كرامتهم من الخالق الوهاب، الرزاق المحي المميت؟!

لكن المهم ان يكون بنو الإنسان على حذر من أنفسهم، وألاّ يفشلوا في امتحان هذه الحياة الدنيا، والاّ يتسبَّبوا في تضييع أنفسهم، او تحويل اعمالهم الى هباء منثور، فيتعرضوا لعار الدنيا وخسران الآخرة، كما يقول تعالى على

الكافر الخاسر: ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾(الحج-11)
اللهم انا نسألك باسمائك الحسنى وصفاتك العلا، ان تحسين عاقبتنا، وان تحفظنا من سوء المنقلب. آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــة

الحمد لله وَالصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله و صحبه و من اهتدى بهداه، ارحب بجميع الحاضرين، وانني لمسرور بمشاركة كل الأخوة والأخوات .

أعــزائي:

لاشك ان الإنسان أعزُّ مخلوق على هذه الأرض، بل انه من المنظور الإسلامي كما سنبيّن ذلك لاحقاً يُعَدُّ مخلوقاً نادراً ذا مقام رفيع، في الكون كلّه خلقه الله تعالى بمجموعة من الخصوصيات التي لاتوجد في غيره.
وفي عصرنا الذي بلغت الإنسانية فيه مبلغاً عظيماً من الوعي، وتقدمت في كثير من نواحي الحياة والحضارة، فان احد المواضيع التي يتفق الجميع في ضرورة التأكيد عليها، هو موضوع حقوق الإنسان، لكن مما يدعو الى الأسف، ان ضباباً يحجب رؤية الناس لموقف الإسلام من حقوق الإنسان، بل هناك من يتهمون الإسلام بانه لايحترم الإنسان، ولا يأبه بحقوقه! ولكن المقام

السامي الذي اعطاه الإسلام للانسان كأنسان و بعضِّ النظر عن دينه و مذهبه و لونه و لسانه...الخ، يستحيل وجود مثلها في دين و منهج سواه.

و مما لايقبل النقاش ولا التنكر له عند كل ذي ضمير حي وعقل سليم، ان احترام الإنسان، وضمان حقوقه التي لايستطيع بدونها العيش الأنساني الكريم ، يعتبر المحك لتقييم اي دين ومنهج، ولا يتقدم اي نظام أو منهج الا بمقدار نجاحه في اسعاد الإنسان، وتطوير حياته و تحسينها.

وجدير بالذكر إننا سنقدم موضوعنا هذا من خلال أربعة مباحث في فصلين رئيسييَّن: ففي المبحث الأول من الفصل الاول، سنحاول أن نعرف كيف ظهرت حركة المطالبة بحقوق الإنسان في الغرب وأوربا، والمراحل التي مرت بها، وفي المبحث الثاني منه سنعرض بعض ملاحظاتنا عن نظرة الغربيين الى حقوق الإنسان.

اما في الفصل الثاني فسنتناول الحديث عن موقف الإسلام من حقوق الإنسان، حيث سنوضح في المبحث الاول منه نظرة الشريعة وقواعدها لحقوق الإنسان، ثم نتحدث في المبحث الثاني عن حقوق الإنسان في ظل الشريعة، وكيف تضمن تلك الحقوق؟

الفصل الاول

حقوق الإنسان من المنظور الغربي

المبحــث الاول

نظــرة تاريخية لحركة المطالبـة بحقوق الإنسان

متى اتفق الغرب على ضمان حقوق الإنسان، هل كان هذا الاتفاق موجوداً اساساً، ام انهم وصلوا الى تلك القناعة بعد مساع وجهود و ثورات وعناء؟! فلنصغ الى التاريخ:

لم تكن شعوب اوربا كأمة في القرون الوسطى تتمتع بأية حقوق امام حكامها، هذه حقيقة ناصعة في غير حاجة الى برهان، وذلك لأن القياصرة والإمبراطورات والملوك الروميين أي جميع الدول الاوربية بما فيها أمريكا كانوا حينذاك يحكمون شعوبهم على اساس نظرية الحق الالهي، والتي نبعت منها الثيوقراطية التي تأتي في مقابل الديمقراطية... فالديمقراطية معناها حكم الشعب، والثيوقراطية معناها حكم الله، وكان ملوك الغرب وحكامها بلا استثناء يحكمون رعاياهم على هذا الأساس ويعتبرون انفسهم نواب الله على الأرض، نعم فهذه هي الحقيقة فالبابا والإمبراطور كانوا يحسبون انفسهم ظل الله على الأرض، وطبقة الاكليروس التي تعني رجال الدين وقد سبق لنا اشباع القول في انه ليس هناك في الإسلام شيء اسمه رجال الدين، لان جميع الرجال المسلمين يجب ان يكونوا للدين رجالاً..

كانوا متضامنين مع الإمبراطور والملك، فكانوا يسرقون معاً أموال الناس ويبتزّونهم. فكلا الجانبين كان كالمارد الجبار يُرْعِبُ الشعب، أحدهما باسم السياسة والحكم، والآخر باسم الدين والكنيسة. ومعاً كانوا احكموا قبضتهم حول اعناق الناس، فمن الذي كان يجرؤ على انتقاد نظام الحكم، والأنظمة الحاكمة آنذاك كلها كانت دكتاتورية! وفي مثل هذه الأوضاع، بدأت الحركة تدب بين الناس رويداً رويداً، فالله تعالى قد فطر الناس بضمائرهم و عقولهم ان يشعروا بالحق والباطل، بالظلم والعدل، بالحسن والسيء، فبدأت الجماهير تُبْدي إمتعاضها شيئاً فشيئاً، و غدا الحكماء والكتاب والنوابغ قادة الناس في هذا المسار، الى ان وصل الامر الى اندلاع مجموعة من الثورات (وليس هنا مجال تفصيلها) ففي سنة (1776)م قامت ثورة في أمريكا تطالب بالاستقلال لأمريكا، وكانت في ذلك الوقت مستعمرة للانكليز، وتزامنت مع هذه الثورة ثورة أخرى طالبت بعدم التمييز العنصري، والتمييز على اساس اللون، لان معظم المجتمع الامريكي كانوا من السود، والألوان الأخرى، وكان البيض حينذاك أقلية.

وفي سنة (1789) قامت الثورة الفرنسية المشهورة، وكان من شعاراتها: اشنقوا آخر ملك بامعاء آخر قسيس أي ادفنوهما معاً.

ومعلوم ان اناساً يخرجون من تحت الظلم والاضطهاد، يفكرون قبل كل شيء بالحرية، كما يقال عندنا نحن الكرد، لو سئل الجائع عن نتيجة (2+2)، لقال: (4) أرغفة، وكما يقول المثل العربي: صاحب الحاجة أعمى الاّ عن حاجته.

فالناس في الغرب عندما تخلصوا من نير كلا طاغوتي الدين المزعوم والدنيا الغاشمة، اي الإمبراطورات والبابوات، تنادوا بصوت واحد مطالبين بالحرية،

اي حرية؟ حرية التفكير والتعبير، حرية العقيدة، الحرية الشخصية، الحر ـية الاجتماعية، الحرية الاقتصادية، الحرية السياسية.. الخ.

و بإختصار: إذا تتبعنا مسار حركة حقوق الإنسان في الـ غرب، لأمكـ نّا تلخيصه بهذه النقاط:

- تحدثنا عن ثورة سنة (1776)م في أمريكا، وقد نجحت الـ ثورة وحـ صل الامريكيون على الاستقلال، فكتب رجل باسم (توما جيفرسون) وثيـ قة أسماها (اعلان حقوق الإنسان) وقد اعلنت هذه الوثيقة رسمياً فيما بـ عد، والتي تضمنت الاستقلال السياسى، والحرية والمساواة الاجتماعية.
- ثم اندلعت في سنة (1789)م الثورة الفرنسية، و كـان ا حـد شعارات الثورة هو المطالبة بحقوق الإنـ سان، و قـد كـ تب ا حـد علـ ماء فرنـ سيا ومحسنيهم وهو (أمانوئيل جوزيف) وثيقة ايضاً إبان الثورة طا لـب فيـ ها بحقوق الإنسان.
- في سنة (1791) عرضت فرنسا الدستور بعد الثورة، لانه لا تسير الشؤون بغير دستور وقانون، والا لقام كل من مكانه يضع من عنده قانوناً، لذلك كان لابد من وجود (قانون اساسي) يكون مرجعاً لا ستنباط الـ قوانين، وحين ذاك اعلنوا وثيقة (امانوئيل جوزيف) فاعتمد مع الدستور.
- وفي القرن التاسع عشر، أقر جميع ا لـدول الغربـ ية او غالبيتـ ها بحـ قوق الإنسان، او بمعظم حقوق الإنسان، ولكن الى ذلك الوقت كانت حقوق الإنسان مسألة داخلية، ولم تتحول الى مسألة دولية.
- بعد الحرب العالمية الثانية التي استغرقت من (1939–1946) والتي قتل فيها اكثر من (50,000.000) شخصاً، وكانت تلك كار ثـة حـ لت بالإنسانية، لذلك اجتمعت مجموعة من العلماء والمفكرين والمحسنين مـن

أجل الإنسانية، وكانوا قد تحدثوا قبل ذلك في سنة (1945) ووصلوا الى شيءٍ ما، فكان ان اعلنوا في (1948/12/10) الوثيقة التي عُرفت بـ(الاعلان العالمي عن حقوق الإنسان)- وسنعرض ملاحظاتنا عنها قريباً ونستطيع ان نقول ان هذه الوثيقة كانت في مجال المطالبة و ضمان حقوق الإنسان، خطوة مهمة، وانجازاً كبيراً، فأُعلنت الوثيقة بعد ذلك عن طريق الأمم المتحدة، التي خلفت (عصبة الأمم) التي فشلت في فضّ النزاع بين الدول المتحاربة، او السيطرة على الحرب والسلم، فحُلّت تلك المنظمة وحلت محلها الأمم المتحدة، التي هي الاخرى تسير نحو الفشل بفعل الضغوطات التي تمارسها عليها بعض الدول العظمى وخصوصاً أمريكا، اذ تكاد هذه المنظمة تكون مفرّغة من محتواها، ان لم تكن قد فرغت فعلاً من محتواها، وتكون غطاءً لتنفيذ قرارات بعض الدول المتسلطة وَخصوصاً أمريكا.

- في (1976/12/16)م ارفقت الأمم المتحدة اتفاقيتين مع الوثيقة كشرح وملحق باسم(الحقوق المدينة والسياسة)و (الحقوق الاقتصادية وَالاجتماعية والثقافية). واجمعت دول المنظمة في (1977/10/13) ان تضم الإتفاقيتان مع اصل الوثيقة، وان تطالب الدول الاعضاء بتنفيذها ايضاً.
- وفي عهد (جيمي كارتر) في أواخر السبعينات، بدأت أمريكا تؤكد اكثر من ذي قبل على حقوق الإنسان، طبعاً حقوق الإنسان بالمفهوم الغربي، والمطالبة بها والتأكيد عليها وفق الميكانيكية الامريكية، والتي نرى اثارها اليوم! فهم كلما غضبوا على دولة قالوا عنها لماذا لا تراعي حقوق الإنسان؟ وعندما يرضون عن دولة يغضون الطرف عنها، و هذه سياسة معهودة منهم. تسمى سياسة الكيل بالمكيالين: ومنذ التاريخ الذي بدأت

فيه أمريكا فتح الملفات للدول، فان اي دولة لا تراعي حقوق الإنسان، ولا تحترم رعاياها تُسارع أمريكا استناداً الى مصالحها إمّا أن تبحث لها عن ذرائع وحجج، ان كانت لها مصلحة في ذلك، او ان تغض طرفها عنها، ان كانت مصالحها في غير ذلك.

- بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق في (1991)م وبدء عهد سلطة القطب الواحد، التي تسمى النظام العالمي الجديد، وخصوصاً بعد مؤتمر (المنظمات غير الحكومية لحقوق الإنسان) في فينا سنة (1993)، نُشر الاعلان الخاص حول حقوق الإنسان، وجرى ذلك تحت رعاية وضغط الولايات المتحدة، والتي تولّتْ بنفسها الاشراف على المؤتمر والتأكيد على حقوق الإنسان (وبالمفاهيم الامريكية التي تحددها بنفسها). منذ ذلك التاريخ، قررت أمريكا ان تضع العقوبات الاقتصادية والتجارية وغيرها على كل دولة لا تراعي حقوق الإنسان، مع الأخذ بنظر الإعتبار ان هناك دولاً أخرى كإسرائيل، وغيرها، لا تضع اي إعتبار لحقوق الإنسان، ولكنها بسبب قربها من أمريكا، او انه ليس من مصلحة أمريكا محاسبتها، فلا تراها تذكر.

المبحث الثانـي

ملاحظات حول مسـار حركـة حقوق الإنسان وفحوى هذا المسـار من المنظور الغــربي

يجدر بي ابتداءً ان اقول إنَّني كمسلم عندما أنظر الى تاريخ البشرية، ارى حركات حقوق الإنسان، وَالإتفاقيات التي عقدت والإعلانات التي نشرت، كانت عموماً خطوات في مصلحة الإنسانية، بغض النظر عن الأهداف السياسة الاستعمارية التي كانت تقف خلفها، أو الاهداف الشوفينية التي شكلت دافعاً من دوافعها، فالمهم اذا قال احد، يجب ان يحترم الإنسان وألاّ يُظْلَم ويُضْطَهد وَيُهان، فينبغي علينا أن نشكر ذلك الشخص ونشدّ على يديه، وما من شك ان تلك الحركات المطالبة بحقوق الإنسان كان لها تأثيرها قل أو كثر على سياسات الدول، فقد حمل كثيراً من تلك الدول على مراجعة نفسها والتقليل من غرورها وتجبرها، تحت وطأة الضغوط التي تمارسها المنظمات المنادية بحقوق الإنسان و تلك السلطات التي اتخذت من حقوق الإنسان شعاراً ولو كان وراءه ما وراءه لممارسة الضغوط على الآخرين.

ووثيقة (الاعلان العالمي لحقوق الإنسان) المكون من (30) فقرة، اذا قرأها الإنسان بانصاف وتمعن فيها، فانه يرى بأنها لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية عدا فقرات قليلة منها أي مع الآيات القرآنية او الأوامر

النبوية او القواعد الشرعية، نعم فيها بعض الفقرات المتعارضة مع الشريعة، وسنبيّن سبب ذلك لاحقاً، والاّ فمعْظم فقراتـ ـها تتنا ـسب ـمع الـ ـشرع، وخصوصاً ما تنص على كون الناس سواء من حيث إنـ ـسانيتهم، وان ـبني الإنسان يجب ان يتساووا امام العدالة، وانه يجب احترام كل انسان، وا ـنه لايجوز أضطهاد الإنسان، ولا يجوز حبس احد بلا دلـ ـيل، ولا تعذيـ ـبه ولا ترويعه، وانه لا يجوز ممارسة الإضطهاد الطبقي والاضطهاد القومي والديني ضد احد... الخ. فهذه البنود لا شك في انها قضايا مطلوبة و ـقد ا ـكدت ضرورتها شرائع الله كلّها.

ملاحظات على النظرة الغربية لحقوق الإنسان

1/ عندما يذكر كلمة (حق) ينقدح في الذهن بصورة تلقائية الـ ـسؤال ـعن الاساس الذي يستند اليه ذلك الحق فاذا ادعى انسان ان له حقاً، قيل له ما دليلك؟ واذا طالب شخص بحقه من شخص آخر قيل له على اي اساس تطالبه؟ ووثيقة (الاعلان العالمي لحقوق الإنسان) التي هي عبارة عن المطالبة بحقوق الإنسان بفهم غربي وأوروبي لم تضع لذلك اي اساس أو مستند، لم تذكر أي دليل يوضح لماذا تجب المحافظة على حقوق الإنـ ـسان، و ـلماذا يملك الإنسان حق الحياة والاستقلال والتملك وتكوين البيت والاحترام.. الخ كل ذلك على أي اساس يستند؟ فهي إذاً مجرّد دعاوى لا يعـ ـضدها دليل، فهذه نقطة ضعف في وثيقة كهذه.

2/ ان مطالبة الغربيين بحقوق الإنسان لم تكن في الحقيقة (فعلاً) بل كان (رد فعل) ولو دققنا النظر في الوثيقة لتبين لنا بوضوح ان ذلك لم يكن قنا ـعة الغربيين انفسهم بكرامة الإنسان وحرمته وحقوقه، بل ـكان وراء ذ ـلك

اشياء اخرى:! جاء في مقدمة الاعلان ما معناه: (لان الاقرار بكرامة الإنسان وحقوقه اساس الحرية والسلام والعدالة، ولان اهمال حقوق الإنسان في الماضي أدّى الى حدوث المشاكل والفوضى والبلاء، وبغية المنع من تكرار تلك الحالات، ولضمان بقاء الصداقة بين الدول، يجب ان يحترم الإنسان وتضمن حقوقه)! اذاً فمعنى هذا لمن تدبّر ان الإنسان ليس صاحب حرمة وكرامة في ذاته، فيوفر له حقوقه، بل ان الحقوق تضمن حتى يقطع دابر الحروب والفوضى وعدم حدوث الاقتتال مرة أخرى ويشير الى الحرب العالمية الاولى والثانية وحتى تعيش الدول في سلام ووفاق، لذلك يجب احترام الإنسان وكفالة حقوقه بمعنى: ان احترام الإنسان وتكفل حقوقه، لم يجعل اساساً، بل الهدف هو شيء آخر، فاحترام الإنسان وضمان حقوقه وسيلة، وهو لا يتوافق مع ما عليه الإنسان في ذاته من مقام ومرتبة عالية.

3/ في وثيقة الاعلان العالمي لحقوق الإنسان، جاء ذكر المُضْطَهَدين (بفتح الدال) ولم يرد ذكر المُضْطَهِدِين (بكسر الدال)، ولم يميز بينهما، ولكن ينبغي التساوِّل، الا يحق تمييز الذين داسوا على حقوق الإنسان عبر التاريخ، افراداً وجماعات، وهضموا حقوق الإنسان من الناحية الإجتماعية والاقتصادية، والسياسية والقومية، او من ناحية اللون والجنس واللغة؟! لابد من التمييز بين هؤلاء و هؤلاء، وَ الإسلام بخلاف هذا وضع النقاط على الحروف بجلاء في مثل هذه القضايا.

4/ لم يحدد أي اساس أو مرجع لتحديد حقوق الإنسان، من الذي يحدد هذه الحقوق؟ باي مقياس حُددت هذه الحقوق؟ ابتأمل طبيعة الإنسان؟ أم غرائزه، أم بمقياس الفلسفة، أو الدين أو الجماهير أو العرف والعادة.. ما

هي المصادر والاسس التي بامكاننا استنباط حقوق الإنسان منها؟ لأنه اذا اجتمع اناس وطالبوا بحقوق الإنسان قيل لهم، من الذي اعطاك هذا الحق وعلى أي اساس؟!

5/ ان غالبية فقرات الوثيقة كما اسلفنا تتضمن قضايا رائعة وجذابة، ولكن آلية تنفيذها لم تحدد، ولذلك فان دول المعسكر الشرقي وَا ـلدول الاشتراكية في مقدمتها الاتحاد السوفيتي السابق كانت لها تحفظات كثيرة على توقيع وثيقة الاعلان العالمي لحقوق الإنسان والوثائق التي الحقت بها، وتحفظاتهم كانت وجيهة ومعقولة، فهم كانوا يقولون: النظام الرأ سمالي يطالب باحترام الإنسان ومراعاة حقوقه، ولكن ما جدوى وثيقة ك هذه والطبقة الرأسمالية والبرجوازية مُحْكِمةٌ قَبْضَتُها حول خناق الـ ناس عن طريق الاضطهاد الاقتصادي والسياسي، والتمويه الاعلامي، ما جدوى تلك الوثائق والطبقية لا زالت موجودة، والاضطهاد لا يزال موجوداً؟!

6/ ان فقرات الوثيقة تضمنت اهدافاً جيدة ومقبولة عدا فقرات منها لكنها تفتقر الى ضمانة وسند قوي، يكون من شأنه تجسيد ماورد في ها على واقع العالم، وخصوصاً بعد ان اعطت الدول المنت صرة في ا لحرب العالمية الثانية وهي الدول دائمة العضوية في مجلس الامن وهي: أمريكا وَروسيا وَالصين وَفرنسا وَبريطانيا حق نقض القرارات الم سمّى بحق (الفيتو) ومجلس الامن كما هو معروف مكون من (15) عضواً، خم سة منها أعضاء دائميون، وينتخب الباقون بشكل دوري، وقد نقضت أمريكا لحد الآن (75) قراراً من قرارات مجلس الامن فكلما لم ـيرق لها قرار، سارعت الى انتقاده ونقضه، وهكذا يف شل الـ قرار، وخصو صاً القرارات التي تضر باسرائيل، وأي قرار يضر بمصالح الولايات المت حدة، فقد صدرت قرارات عديدة حول الحد من انتاج الـ صواريخ البال ستية

واحد من انتاج المعامل التي ينبعث منها الدخان الكثيف فتتسبب في تلويث البيئة والتأثير على طبقة (الأوزون)، ولكن لم تلتزم أمريكا بأي منها! وكذلك بدرجة أدنى كل من بريطانيا و روسيا و فرنسا و الصين، وفق الحق المُعطْى لهم، او الحق الذي اعطوه لأنفسهم في نقض القرارات!

7/ لقد أعلنت الوثيقة تحت عنوان ضخم: (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان) ولكن يتبادر الى الذهن هذا السؤال: هل تستحق الوثيقة هذا العنوان الضخم؟ وهل حضر ممثلوا البشرية جمعاء ليوقعوا على بنود الوثيقة الثلاثين؟ ام انحصر الامر في دول الغرب فقط؟ فالعالم الإسلامي عدا من التحق فيما بعد بهم كملحق كان غافلاً لم يحسب له اي حساب، كما ان الدول الشرقية تحفظت على تلك الوثيقة عموماً. فالحقيقة اذاً ان الاسم اكبر من الفحوى بكثير، كما قال احد الكتاب الإسلاميين وأجاد بقوله: لو كان عنوان الوثيقه هو (الاعلان الاوربي لحقوق بعض الناس) لكان اصوب واكثر توافقاً مع المضمون! هذه كانت ملاحظاتنا عن النظرة الاوربية لحقوق الإنسان، لهذا فأنني أنصح جميع الأخوة والأخوات، الا يقعوا تحت تأثير الشعارات البراقة المرفوعة لإثارة الانتباه، فمثلاً أدعوهم الا يستسلموا سريعاً لقضايا كالعولمة والديمقراطية.. الخ بل أدعوهم ان يتعمقوا ويدققوا فيها النظر، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾ (الاسراء-36) والعلماء المسلمون وضعوا قاعدة مهمة وهي (الحكم على الشيء فرع من تصوره). أي انه لايحق لك ان تقرر في مسألة ما دون معرفتها وفهمها، لأن كل قرار نابع من الجهل و عدم المعرفة، فسيكون قراراً خاطئاً، كما ان الاساس الاعوج لا يبنى عليه الا جدار أعوج.

الفصــل الثــاني

حقـوق الإنسان و واجباته
فــي الإســلام

تمهـيـد

تحدثنا عن المنظار الذي ينظر الاوربيون من خلاله الى حقوق الإنسان، وعرضنا ملاحظاتنا حول ذلك، والآن حان الوقت لمعرفة نظرة الشريعة المعصومة الى الإنسان، وما هى حقوقه و واجباته التي حددتها له؟ أرجو ان تلاحظوا انني استعملت كلمة (واجبات) لان كل ما يقال عنها (حقوق) في الإسلام، هي واجبات قبل ان تكون حقوقاً والواجب فيه الالزام، اما الحق ففيه المطالبة، والإلزام أقوى كما هو معلوم، لانه في هذه الحالة يجب ان يكون هناك دافعٌ يحمل الإنسان على مراعاة حقوق الآخرين، بمعنى التزامه بواجباته المدنية، ومن واجب الإنسان نفسه كذلك ان يطالب بحقوقه، كما سنبين ذلك لاحقاً، وسنتعرض لتفصيل هذه المسألة في مبحثين:

المبحــث الاول

قواعــد حقوق الإنسان و واجبـاته فـي الإسلام

هَلُمَّ نتعرفْ على الأسس التي بنيت عليها حقوق الإنسان وواجباته، وقد سبق ان احد عوامل القصور وَالخلل في النظرة الاوربية الى حقوق الإنسان انها لا تستند الى قاعدة أو فلسفة واضحة، ولكن الحال في الإسلام مختلف تماماً، حقوق الإنسان في الإسلام ليست حلقة مقطوعة من سلسلة، ولا نتيجة من غير مقدمة، ففي الإسلام قبل ان يجري الحديث عن حقوق الإنسان، هناك حدث عن أشياء أخرى، ثم تأتى حقوق الإنسان لتعرض نفسها كنتيجة منطقية وطبيعية لِما جرى بحثه سابقاً.

إذاً: على ايٍّ قاعدة يبنــي الإسلام حقوق الإنسان؟!

نقــول في الجواب:

ان الاساس الذي تستند اليه حقوق الإنسان والمنبع الذي تنبثق عنه، يكمن في ان للإنسان والحياة والكائنات مالكاً، فهذه الدنيا كما يقول المثل الكردي: ليست مدينة بلا صاحب، و هذا المالك هو صاحب

الإنسان، والحياة، والكائنات جميعاً، هو الذي يحدد واجبات الإنسان وحقوقه وكرامته ومقامه.

وهكذا بامكاننا ارجاع مصدر حقوق الإنسان وَاساسه في شريعة الله تعالى الى جذرين مهمين:

الاول: خالقـية الله ومعبوديته، ومالكيته للكائنات.

الثـانـي: عبودية الإنسان لله تعالى، وتكريم الإنسان من قبل خالقه.

ومعلوم ان هذين الجذرين الذين يشكلان قاعدة حقوق الإنسان في الإسلام، خاصان بالإسلام دون غيره من المناهج والسبل، وليس هذا ميزة الإسلام وخصوصيته الوحيدة، بل هناك خصوصية مهمة اخرى للاسلام وهي انه لم يرفع حقوق الإنسان كشعار براق لكي يقول الناس: نشهد بالله ان هذا الكلام جميل! فكم من قائل للكلام الحسن، لكنك اذا نظرت الى فعاله لم تر تجسيداً ولا مصداقاً له، فترجمة القول بالعمل من شأنها ان تجسيده في الواقع، وحينئذ يستفيد منه الناس.

لهذا فالإسلام اضافة الى دفاعه عن حرمة الإنسان وكرامته وحقوقه، فانه يامر المسلمين كذلك ان يهيئوا الأرضية والبيئة التي يمكن للانسان ان يُحترم فيها وتراعى حقوقه، وهنا تظهر احدى حكم وجود الدولة في الإسلام، واذا قال قائل: وما حاجة الدين الى السياسة والدولة؟ ما حاجة الدين الى السلطة؟ نقول في جوابه: الدين يحتاج الى دولة وسياسة وحكومة حتى يهييء البيئة التي يعبد الله فيها حق عبادته، وكي لا يعبيد الناس بعضهم بعضاً، ولا يكونوا عبيداً أو خدماً لغيرهم، وان يعيشو معاً اخواناً، فأمّا اخوة الدين، أو اخوة في البشرية ومدارة في العيش معاً.

فنظرة الإسلام الى حقوق الإنسان نظرة واقعية، تهيء البيئة المناسبة التي يحصل فيها الإنسان على حقوقه بصورة فعلية، لهذا فمسألة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومسألة تكوين الدولة والحكم والسياسة، وقضية ان تكون للمسلمين كيان، كل هذه القضايا مرتبطة بالايمان والعقيدة مباشرة، ومرتبطة بـ(لااله الا الله)، اذاً فذلك الخالق هو صاحب هذه الكائنات، و هو الذي يحدد الحلال والحرام لعباده وكذلك الحسنة والسيئة والواجبات والحقوق.

وقد اثبتت التجارب ان الاستبداد الداخلي والعدوان الخارجي، اكبر عائق امام حقوق الإنسان، ولنأخذ الشعب الكوردي مثلاً، عندما كان البعثيون يظلّون هذا الشعب بظلهم الكئيب، أو في الأماكن الأخرى مثل تركيا التي ما كانت تعترف حتى السنوات الأخيرة ان هناك شعباً يسمون كورداً، – ونحن نتساءل، اذا كان الإنسان لا يُعتَرف بوجوده، هل يُعْتَرُف بحقوقه، اذا كان في مكان ما لايزال الكورد لا يعتبرون شعباً ولا قومية ولا مواطنين اصلاً، اهؤلاء يُعتـرف بحقوقهم؟ بالتأكيد لا– أجل فالشعب الكوردي في ظل مثل تلك الأوضاع المأسوية. لايمكن أن يتمتّع بحقوقه المشروعة كغير من البشر، لذا: فأهمية وجود كيان اسلامي تكمن في السعي لضمان حقوق الإنسان والقضاء على الإستبداد الداخلي، وقطع الطريق على العدوان الخارجي، وهناك تتسنّى لحقوق الإنسان ان تتفتح براعمها وان تزهر وتثمر شجرتها، ولأحد ان يتساءل هنا: لماذا لا يُرى مصطلح حقوق الإنسان في القرآن والسنة؟! وهذا كلام صحيح، ولكن نقول: إن محتوى هذا المصطلح موجودة بصورة تفصيلية، كحق الله على عباده وحق العباد على الله، حق المسلم على المسلم، حق الراعي على الرعية، حق الشعب على الحكومة...لخ. وكلمة (حق الإنسان) وإن لم يأت لها ذكر في النصوص

الشرعية إلا أن القرآن والسنة يتضّمنان ذلك، وهناك عوامل عديدة لـ عدم وجود هذا المصطلح في النصوص الشرعية، منها:

اولاً: حقوق الإنسان كما قلنا يجب ان تكون لها قاعدة تُبنى عليـها، لماذا ينبغي ان يكون للإنسان حقوق؟! لماذا لا يجوز أن يظطهد الإنسان؟ لماذا يجب ان يكون حراً في اختيار عقيدته؟ لماذا ينبـغي الاّ يمـنع من التعبير؟ لماذا يجب إرساء الحريات الشخصية؟ لابد ان تكون هناك أسُسٌ تستند اليها هذه القضايا!

فالإسلام أقرّ بذلك الاساس، وهو عبارة عن احترام كرامة الإنـسان، وان الله خلق الإنسان لعبادته واتخذه خليفة، لا ان يكون عبداً او خادماً للطواغيت والمستبدين، لهذا فلا يجوز لاحد ان يُذِلَّ عِـبادَ الله لاباسم السياسة، ولاالدين، ولا الدنيا، وهناك في هذا الصدد كلمة مشهورة لعمر بن الخطاب ﵁ قالها لعمرو بن العاص و ابنه، كان عمرو﵁ والياً على مصر، فتسابق ابنه بفرسه مع فارس قبطي، فسبق القبطي ابن عمرو بن العاص، فانزل ابن عمر القبطي من فرسه وجلده قائلاً (خذها وانا ابن الأكرمين). اي ان والدي هو عمرو بن العاص ووالدتي المرأة الفلانية، وانت رجل قبطي نصراني، والقبطي يعلم ان العهد عهدُ عمر بن الخطاب، لذلك شد الرحال الى المدينة المنورة، وهكذا الإنسان يجب ان يدافع عن حقه، فقد علم هذا الرجل ان هناك حكماً اسلامياً سيأخذ له حقه، ذهب الرجل وبثّ شكواه الى الفاروق عمر ﵁، فبعث الخليفة وراء عمرو وابنه على جناح السرعة، وطلب ان يجلب معهما السوط الذي ضُرب به القبطي، فحضرا وحاكمهما عمر، وَثبتتْ دعوى القبطي، فاعطاه عمر السوط وقال اضربه كما ضربك، فانهال

القبطي على ابن الوالي ضرباً كما ضربه هو، ثم قال عمر للقبطي: ادرها على صلعة عمرو، وكان عمرو احد الاصحاب الكرام، و والي مصر، وهنا تدخل الأصحاب وقالوا: يا أمير المؤمنين، انما ضربه ابنه وليس عمرو، فقال القبطي: ليس لي حق عند والده وقد اخذت الحق ممن ضربني، فقال عمر: لا، انما ضربك معتمداً على مقام أبيه لكن الاصحاب تَشَفَّعوا عند الخليفة فَشَفَّعَهُمْ فيه وقال عمر بن الخطاب قولته المشهورة: ((متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهامتهم احراراً)).

اذاً فالإنسان، محترم، حر، خلقه الله تعالى حراً، لذا يجب اعطاؤه حقوقه، ولم يتم التأكيد على الحقوق، لان الإنسان اذا كان مكرماً ومعتبراً، فحقوقه مكفولة أيضاً.

ثانيـاً: لم تُعرض حقوق الإنسان وواجباته في الإسلام كشعار عام، و براق وخداع يموّه على الناس، بل عرضت بصورة تفصيلية حتى يمكن تنفيذها عملياً، فقد ذكر في الشريعة الإسلامية بوضوح، حق الحاكم على شعبه، وحق الشعب على حاكمه، حق المرأة على زوجها، و حق الزوج على زوجه، وحقوق الآباء على الأبناء، وحقوق الأبناء على الآباء، وحق الجار على الجار، والضيف على صاحب الدار، و...الخ، إذاً فكل حق من تلك الحقوق ورد مفصلاً، وليس كشعار عام، لا يُهتدى الى طريقة تنفيذه.

ثالثـاً: الذي يُقال له (حق) في الغرب، يطلق عليه في الإسلام (وظيفة)، وفي ذلك حكمة كبيرة، لان الإنسان اذا تعرض للمضايقة ربما استغنى عن حقوقه ورضي من المغنم بالسلامة! لكنه عندما يكون مكلفاً بواجب على كاهله، فربما يحمله الخوف من عقاب الله ألاّ يُفَرِّط فيه وان يواصل

سعيه لأداء ما عليه، ولا بأس ان نستشهد بمثال لتوضيح هذا الكلام، مثلاً يقول الله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة –194)، أي اذا احتل وطنك فاطرده، واذا اغتصب بيتك فاسترجعه، اذا شتمك فرد عليه شتيمته، وَبامكانك في بعض الحالات ان تعفو عنه، وَ إذا أراد قتلك فلا تَدَعْه وبادر أنت الى قتله، فالنبـي ﷺ جعل الدفاع عن النفس واجباً شرعياً، يقول ﷺ ((من قتل دون مظلمته فهو شهيد)) (رواه النسائي وصححه الألباني).

سواء كان الاعتداء قومياً، أو اقتصادياً، أو سياسياً، أو شخصياً، أو من ناحية الشرف، واذا ظلمت من أي ناحية من النواحي ودافعت عن نفسك وقُتلت اثناء دفاعك، فقد متَّ ميتة شريفة وبلغت الشهادة. ويقول النبـّي ﷺ في حديث آخر ((من قُتل دون ماله فهو شهيد)) (رواه البخاري).

بل إن علماء الإسلام يقولون: إذا اُخذ منك دينار بظلم، فهل من الأفضل أن تعطيه الدينار وتُكفْى شرَّه، أو ألاّ تعطيه وتدافع عن مالك؟ اكثرهم على أن تدافع ولا تعطيه مالك، إذا منعته كيف تمنعه؟ يقولون: تبدأ بالتهديد، فاذا ارتدع والا فحاول أن تصيبه أو تنال منه، فاذا لم يرتدع ولم يتركك بهذا ايضاً، فمن حقك ان تقتله، ويذهب دمه هَدَرا، ولا قصاص عليك، و هو يصبح من الهالكين، وانت من المأجورين، لماذا؟ لانك دافعت عن مالك.

ويقول النبـّي ﷺ ((من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شـهيد، و من قتل دون اهله فهو شهيد)) (رواه ابو داود وصححه الألباني).

اذاً: فضمان الحقوق في الإسلام واجب، واذا قَصَّر الإنسان فيه كان آثماً، وهو ليس شيئاً بإمكانك ان تَغُضَّ عنه طرفاً، والله يعاقـبك عـلى التقـصير والتفريط، وَالذي يترك الظالمين ليُحْرِقوه بنارهم، يحرقه الله تعالى بناره ـيوم القيامة، لانه لم يكن صاحب موقف بوجه الظالمين، وهذا ثابت بنص القرآن، يقول تعالى: ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ (هود –113).

سواء كان ظلمهم سياسياً أو إقتصادياً أو اجتماعيا أو قوميـاً، لا تميـلوا اليهم ولا تقربوا منهم، لا تكونوا من اتباعهم، ولا خدمهم، والا احـرقتكم نار جهنم، وان الله تعالى سيعاقبكم على تفريطكم في حقوقكم.

أُســس واجبــات وحقوق الإنسان فـي الإسلام

أشرنا فيما مضى، الى الأسس الثلاثة التي بنى الإسلام علي ـها واج ـبات الإنسان وحقوقه:

اولاً: ان الله وحده هوالخالق المبدع، مالك الإنسان والحياة والكائنات.

ثانياً: ان الإنسان مخلوق نادر اختير لخلافة الله على الأرض.

ثالثاً: الناس سواسية في الأصل والطبيعة والحقوق.

والآن الى شيء من التفصيل لهذه الأسس الثلاثة:

الاســاس الاول: ان الله سبحانه هو خالق كل شيء، أ كدت هذا المع ـنى آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿**اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾(الزمر-62) او قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (الفاتحة -2) أو قوله تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ**﴾ (آل عمران- 26).

فالله هو المبدع والخالق والمالك الوحيد لكل شيء في الدنيا، اذاً: فلا يحق ولا يجدر بغيره ان يحدد للناس حقوقهم وواجباتهم.

وفي هذا حكمة بالغة، لان الله تعالى اذا اعطى عبده وخليف ـته ع ـلى ارضه حقاً، فليس من حق احد لا باسم الدين أوالسيا سية أو الم صلحة العامة أو أي مسمى آخر، ان يسلبه ذلك الحق الذي وهبه الله له، ا ـما العباد انفسهم اذا اتفقوا فيما بينهم على بعض الحقوق، ـفالأمر آن ـئذٍ يحتمل الأخذ والرد والمساومة.

الاساس الثاني: الأساس الثاني عبارة عن كرامة الإنسان وحرمته ومقامه السامي، ان من دواعي الاسف ان الكثيرين لايدركون حقيقة المقام العالي والمرتبة الباذخة التي حظي بها الإنسان في الإسلام وان اشد الناس جهلاً بهذه الحقيقة، هم بعض المثقفين من ابناء شعبنا، الّذين لم يطّلِعوا على القرآن والسُنة، أو انهم عُمّيَ عليهم، أم خُدعوا و لُبس عليهم، فأعاقتهم هذه العوائق عن دراسة القرآن والسنة لمعرفة هذه الحقيقة، والحق ان اية فلسفة او منهاج او فكرة انسانية، لم تسمو الى ما اعطاه الإسلام للإنسان، من المقام الرفيع والمرتبة السَّنيَّة، وأين الثّرى من الثريّا! فشتّان شتّان، وسنحاول ان نلخّص في عشر نقاط موجزة الاشارة الى ما اولاه هذا الدين للإنسان من تكريم و تَبْجيل:

1/ الإنسان عبد لله تعالى، والكثيرون واعجبي يعتبرون هذا إهانة للإنسان! ولكن لا، ان الإنسان لا ينجو من العبودية الا عندما يكون عبداً لخالقه، لا يستطيع ان يخلع سلاسل الطواغيت واغلالهم من يده ورجله ورقبته، إلاّ بعد ان يصبح عبداً لله، لان الله خالق الجميع، يمتاز على مخلوقه بانه خالقهم من العدم، وكل من عداه سبحانه فمخلوق، لذلك فلا يحق لأحد ان يسخر انساناً خادماً له، او عبداً له، نعم، نقولها بملء أفواهنا، لا ينجو الناس من ذل العبودية والسخرة والعمالة لبعضهم البعض الا بالعبودية الخالصة لله تعالى، كما يقول عز من قائل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات-56) والله تعالى غني عن عبادتنا له، ولكننا اذا لم نكن عبيداً له، غدونا عبيداً للطواغيت.

ألم تكن نظرية (الماركسية واللينينية) في الاتحاد السوفيتي السابق صنماً يُعبد من دون الله؟ ألم تكن جثة (لينين) المحنَّطة تعبد في قصر

الكرملين؟ ألم يكن (ماركس) يُعبد كصنم؟ والبيت الأبيض، وقرارات الكونغرس، وَ آراء (جورج W بوش) وباقى القيادات الأمريكية، ألا ينظر الى كل اولئك كالكتاب المقدس؟! والإنسان لايمكنه العيش دون ان يكون له معبود يعبده، فإذا لَم تَعبْدُ المعبود الحقيقي وهو (الله) لُذتَ بالمعبودات المزيَّفة، أو إنّك سَتَعْبُد انساناً مثلك، سواء كان حياً أو ميتاً، أو انّك ستعبد النجم والقمر والشمس، أو ستعبد حزباً، أو دولة، فالمهم ان الإنسان لا يستقيم حاله دون معبود.

2/ الإنسان خليفة الله تعالى: ويعني ذلك ان الله تعالى استخلف الإنسان على هذه الأرض، وأعطاه حرية التصرّف فيها ولكن بعد أن بيَّن له غاية وجوده وأعطاه المنهج الذي ينبغي له السَّير عليه وَحَذرَّه منْ مغبَّة الإنحراف عنه.

يقول تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرض خَلِيفَةً﴾ (البقرة –30)، ويالها من مقام رفيع! وهل ثمَّ مقام أرفع من هذا، ان مرتبة الإنسان تأتي بعد الله تعالى، لأن خليفة الله هو من ينوب عن الله على الأرض لعمارتها، كما ورد ذلك في آية أخرى سنستشهد بها لاحقاً.

3/ إن الله تعالى خلق الإنسان بصورة فريدة ونفخ فيه من روحه سبحانه كما يقول تعالى: ﴿فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر–29)، والروح مخلوق خاص سماها الله تعالى بنفخته الخاصة، وهذا سرّ لا يعلمه الاّ الله تعالى، كما يقول سبحانه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (الاسراء–85). والمهم إن ذلك مقام رفيع وهبه الله تعالى للانسان وفضّله بذلك على جميع الكائنات، فالله تعالى لم يقل عن أي من مخلوقاته الأخرى انه نفخ فيه من روحه.

4/ ان (آدم) أبو البشرية هو من سجدت له الملائكة، وهي ليست سجدة عبادة، وانما سجدة تكريم وتشريف، يقول تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ**﴾ (البقرة–34)، ويقول في آية أخرى: ﴿**فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ**﴾ (الحجر–30).

5/ والإنسان حاملُ أمانة الله تعالى، كما يقول تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسان**﴾ (الاحزاب–72).

وهل هناك مقام اشرف من هذا المقام؟ ان الامانة التي اُلقيت علـى السماوات والأرض والجبال عَجَزتْ جميعها عن القيام باعبائها، ولكن الإنسان اضطلع بحملها، وكان اهلاً لها، فما هي تلك الأمانة؟! الرّاجح في تفسير هذه اللفظة عند كثير من محقِّقي المفسِّرين أن المقـصود بها هو: ان يعيش الإنسان على هذه الأرض بارادته واختياره، والهيئة التي امر الله تعالى بها ويرضى عنها، ولكن الإنسان اُعطي كلا الإختيارين إختيار مرضاة الله وَاختيار مَسْخطته، هذه هي الامانة الملـقاة علـى عاتق الإنسان، السير على طريق الغواية، أو إختيار درب الهداية.

6/ والله جل جلاله وكّل عمارة الأرض الى الإنسان، كما يـقول تـعالى: ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأرض وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾ (هود– 61)، هناك مـن يظنون بأنه اذا ذكرت الديانة وجب الامساك عن ذكر الدنيا، والله قد أوكل عمارة الأرض بالإنسان، وَأوجب ذلك على جميع الناس.

7/ وسخَّر الله تعالى الكون كلّه للإنسان كما يَدُلُّ عليه اكبر مـن ذلـك قوله تعالى: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرض جميعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾(الجاثية– 13) ، وهناك من يتوهم ان أَهل الدين يستاؤون من صعود الإنسان على القمر، أو الوصـول الى

المريخ في المستقبل، او الى أيّ جُرم آخر! ولكن على العكس من ذلك، فالإنسان اذا كان قد سما الى الفهم الأمثل للقرآن ونظر من منظاره، فسيعلم ان الله تعالى سخر السموات والأرض للانسان كي ينتفع منها، وعلى هذا فلو تمكن الإنسان من الوصول الى أبعد من القمر والمريخ، فمعناه حينئذٍ انه سار في المجال الذي سخره الله له.

8/ والإنسان كريم على الله تعالى كما يقول الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾ (الإسراء-70) ان الله سبحانه وتعالى كرم الإنسان مع ان في علمه أن من بين البشر (هابيل وقابيل)، وفيهم الكافر والمسلم، اذاً فتكريم الإنسان مسألة عمومية، وجميع بني الإنسان مكرمون في ذوات انفسهم، ثم اين يكمن التكريم؟ انه في قوله تعالى: ﴿**وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾ ففي الإنسان مجموعة من الاستعدادات والمؤهلات لا توجد في غيره من المخلوقات، وهذا هو تكريمه سبحانه للبشر عموماً.

9/ والإنسان مخلوق في أحسن تقويم كما يقول الله تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾(التين- 4) أي انه ليس هناك مخلوق آخر خُلق على الهيئة الحسنة التي خُلق عليها الإنسان.

10/ والإنسان حرٌّ مختارٌ كما: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ**﴾ (الكهف -29)، وهذا من أكبر التكريم للانسان، فرغم ان الله تعالى لا يرضى بالكفر، الاّ انه لم يمنع عباده من اختيار ذلك الطريق ايضاً، لان الإنسان لا يمكنه اثبات وجوده الا عندما يتمتع بالحرية.

الأســاس الثالــث:- الأساس الثالث من اسس حقوق الإنسان في الإ سلام عبارة عن المساواة بين الناس بكل اطيافهم واجناسهم ولغاتهم المختلفة وفي انهم كلهم عبيد لله ذووا طبيعة واحدة، خلقوا لحكمة وغاية واحدة. وهناك العديد من الآيات القرآنية تشير الى هذه المساواة إشارة واضحة، منها قوله تعــالى:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين- 4).

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الاسراء-70) .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات 13)

(كلكم لآدم وآدم خلق من تراب) (رواه أحمد و غيره). وهنا أود الاشارة الى ميزتين اخريين للنظرة الإسلامية لحقوق الإنسان على النظرة الغربية، وهما :

الاولـى: ليس اقرار الإسلام لحقوق الإنسان وضمانه لها، نتيجة لجهود احد، فالله تعالى انزل من جملة ما انزل من قرآنه الآيات المتعلقة بهذه المسألة، فلم تعد بحاجة الى ثورات تندلع، او اجتماعات تُعقد، مطالبة بحقوق الإنسان، لان الله تعالى هو خالق الناس و هو الذي ضمن ابتداء كرامة الإنسان وحرمته.

الثانيــة: لم يكتف الإسلام بالتحدث عن واجبات الإنسان وحقوقه كشعار، وانما أرسى لها آلية التنفيذ وسبل الضمان ايضاً، والايمان من اكبر تلك الضمانات، وكذلك الدولة التي يتحتم عليها الوقوف بما اوتيت من قوة مع حرمة الإنسان وكرامته وحقوقه والوقوف بوجه كل من يدوس تلك الحقوق تحت اية ذريعة من الذرائع.

المبحــث الثــاني

واجبـات الإنسان و حقوقه الأسـاسية فـي الإسلام

ليس في مقصودنا ولن نستطيع في هذا المبحث، استقصاء جميع الحقوق التي رسمها الإسلام للانسان، بل سنكتفي باشارة خاطفة وملخصة لأساسياتها:

اولاً: ضــمان حيــاة حــرة :

من الحقوق الاساسية التي اكد عليها الإسلام هو ضمان الحياة الحرة والعزيزة للانسان، استناداً الى ان الله تعالى خلق الإنسان لكي يختبره، وجعل الإختبار في فرض العبودية عليه كما قال تعالى **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾**(الذاريات-56) ، ولا تتم تلك العبودية الا بالالتزام بدين الله تعالى، **﴿اهدِنَـا الصِّرَاطَ الُمستَقِيمَ ﴾** (الفاتحة- 6).

وفي سبيل تمكن الإنسان من اداء إختباره بصورة حسنة، فقد وهبه الله تعالى حرية الإرادة ليختار مايشاء: **﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾**(الكهف-29)، لهذا فلو أن الإسلام تأتَّتْ له فرصة بناء دولة تَخْضَعُ لها جميع شعوب الأرض، لخوَّل جميع الناس دون التضييق

على احد حرية الاختيار ما بين الإسلام والكفر، وَلَوفّر أ سباب الحـ ياة الحرة لكلا الصنفين على قدم المساواة، وذلك لتتحقّق حكمة الله تـ عالى في خلقه للناس ألا وهي الإبتلاء: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك –2).

وهنا يمكن لاحد ان يتساءل: كيف تدع الدولة الإسلامية ان يبقى الناس على الكفر ويعيشوا تحت ظلها، او ليست الجزية وضعت لاهل الكتاب من اليهود والنصارى و غيرهم؟ وبغية الإجابة على هذا الـ سؤال، ارى من المناسب ان اجري تحقيقاً مختصراً، سبق و أن تناولت ذلك في بعض كتـ بـي ومحاضراتي الاخرى، عن مسألة الجزية هل تؤخذ فقط من ا هل الكـ تاب ويتركون في العيش تحت ظل الدولة الإسلامية، ام ان ذ لك الحـ كم ليس مختصاً بأهل الكتاب وانما هو شامل لجميع الناس بما في ذلك ا هل الـ شرك والألحاد والزندقة؟ و بداية أصرِّح بما أعتقده في هذا المجال و أقول:

أرى ان الناس جميعاً يمكنهم العيش في ظل الدولة الإ سلامية كائـ ناً ما كانت أديانهم وأفكارهم، وان بامكانهم التمتع بحياة كريمة والاستفادة من فرصة الاختبار في ظل الدولة والحكومة الإسلامية، وفي تصوري ان كل رأي غير هذا، هو رأي خاطيء متعارض مع الكتاب والسنة، وفيما يلى طائفة من الأدلة التي تثبت هذا الرأي الذي اخترناه:

1/ يقول تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة–256)
وقد أطلنا الحديث عن هذه الآية في الموا ضع الـ سابقة ولا ارى داعـ ياً للتكرار، وخلاصة ذلك ان الاكراه ممنوع في الإ سلام لـ غرض فـ رض الدين والعقيدة.

والعقيدة لا يمكن فرضها بالأجبار، لأن المُجْبَر سيكون عُرْضَةً للنفاق، ومعلوم ان كفر النفاق والكفر الخفي شر وأضرُّ لأهل الإسلام من الكفر المعلن، لذلك فقد إشتد وعيد الله تعالى للمنافقين، وقد خُصَّصَتْ مساحة واسعة من آيات القرآن للكشف عن مكائد المنافقين، ويكفي ان الله سبحانه قد وضع الدرك الاسفل من النار للمنافقين: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾ (النساء–145) اذاً فلا يجوز حصر الكافر مابين اختيار الإسلام مكرهاً والإضطرار الى النفاق، و ما بين القتل، بل للجميع حق البقاء على معتقداتهم و أفكارهم شريطة دفع الجزية ليكونوا مواطنين مكرمين تحت ظلّ الدولة الإسلامية.

2/ صرح الله تعالى في آيات كثيرة، حرية الاختيار لعباده بين الكفر و الايمان، وصرح كذلك بانه لا يجوز اكراه الناس حتى يكونوا مؤمنين. لنتأمل قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأرض كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ**﴾ (يونس–99) وخاطب الله نبيه الخاتم بقوله: ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ**﴾ (الغاشية21–22) ويقول ايضاً ﴿**وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ**﴾ (ق –45).

اذاً فحتى النبـي ﷺ، لم يُسَلَّطْ على الكافرين ولم يعط سوى حق التذكير والإنذار.

3/ ان الله تعالى اعلن في القرآن ان الناس منقسمون الى مسلمين وكفار: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ**﴾ (التغابن –2).

اذاً فمشيئة الله تعالى اقتضت وجود الكافرين والمسلمين، ثم انه لم يرد في اي نص من النصوص الشرعية ان الكافرين يستأصلون ويبادون بل

حتى عندما امرنا الله تعالى بإعداد القوة ضد الكافرين، كانت الحكمة هي إرعابهم و إخافتهم وليست إفناؤهم كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الانفال– 60).

4/ ومن حقنا ان نتساءل: اذا كانت الدولة الإسلامية تخيِّرُ اهل الكفر بين الإسلام الظاهري والقتل، فمتى واين سيتم ابتلاء الله لعباده والتي ورد في كثير من الآيات القرآنية، ليس كغاية وحكمة من خلق الإنسان، فَحَسْبُ بل لحكمة وغاية للوجود كله، يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَق السَّمَاوَاتِ وَالأَرض فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (هود– 7)، ان اختبار الإنسان بلا تخيير حقيقي له يصبح اسماً بلا مسمى، وهذا لا يليق بدين الله الـمُبـرّءِ من الخلل والزلل، ويتعارض بالتالي مع الحكمة من خلق الإنسان.

5/ والنبي ﷺ كان من عادته اذا أرسل سرية او جيشاً من أصحابه للقتال أن يعظهم وَيوجههم، كما ورد في هذا الحديث: ((واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال(1).. فأنْ أبَواْ فَسَلْهُم الجزية...)) (رواه مسلم عن بريدة).

وكذا الحديث يثبت ان المشركين ايضاً تؤخذ منهم الجزية كما تؤخذ من اهل الكتاب، ولا فرق بينهم في ذلك.

6/ وورد هذا الحديث عن اخذ الجزية من الفرس وهم بلا شك ليسوا من اهل الكتاب: ((قال مغيرة بن شعبة لعامل كسرى بين يدي معركة

(1) وهي كما ورد في أصل النص الإسلام، والجزية، والقتال، فلا يجوز الثاني الاّ عند فقد الأول ولا يجوز الثالث الاّ عند إنعدام الثاني .

نهاوند: امرنا نبينا رسول ربنا ﷺ أن نقتلكم حتى تعبدوا الله وحده او تؤدوا الجزية)) (رواه البخارى)، انظر (فتح البارى) ج/2 ص (258).

7/ وورد هذا الحديث عن اخذ الجزية من مجوس هجر:

((عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ اخذها – أي الجزية – من مجوس هجر)) (رواه البخارى).

وغنـي عن البيان ان المجوس كانوا عبدة النار ولم يكونوا على أي دين من الأديان السماوية، ومع أننّا في غِنىً – بعد كلام الله رسوله ﷺ – عن أي دليل آخر، ولكننا – زيادة في الاطمئنان – سنعرِّجُ على أقوال بعض العلماء ذات الصلة بموضوعنا:

أ– قال الأمام النووي رحمه الله عند شرحه لحديث (بريدة): (هذا مما إستدل به مالك والأوزاعي وموافقوهما في أخذ الجزية من كل كافر عربياً كان او أعجمياً، كتابياً او مجوسياً او غيرهما) انظر شرح صحيح مسلم ج/7 ص (313).

ب– ويقول الصنعاني رحمهُ الله في شرح الحديث نفسه: (في الحديث دليل على ان الجزية تؤخذ من كل كافر كتابي أو غير كتابى عربي أو غير عربي، لقوله (عدوك) وهو عام.. وأما الآية فأفادت أخذ الجزية من اهل الكتاب ولم تَتَعرَّضْ لأخذها من غيرهم أو لعدم أخذها، والحديث يبين أخذها من غيرهم..

واما عدم أخذها من العرب فلأنّها لم تَشْرَع الاّ بعد الفتح وقد دخل العرب في الإسلام ولم يبق منهم محارب. وإستمر هذا الحكم بعد عصره ﷺ ففتحت الصحابة رضي الله عنهم بلاد فارس والروم وفي رعاياهم العرب خصوصاً الشام والعراق ولم يبحثوا عن عربي من عجمي، بل

عمموا حكم السبـي والجزية على جميع من ا ستولوا عل ـيه، وبـ هذا يعرف ان حديث بريدة كان بعد نزول فرض الجزية وفرضها كان بعد الفتح، فكان فرضها في السنة الثامنة عند نزول ـبراءة) انـ ظر سبل السلام، ج/4 ص (47).

ج/ ويعتبر العلاّمة ابن القيم من المناصرين للرأي الذي اخترناه فهو يقول: (وقال طائفة في الأمم كلها اذا بذلوا الجزية قبلت منهم. اهل الكتابَيْن بالقرآن والمجوس بالسنة ومن عداهم ملحق بهم، لان المجوس أهل شرك لاكتاب لهم، فأخذها منهم دليل على اخذها من جميع المشركين، وانما لم يأخذْها ﷺ من عُبّاد الاوثان من العرب لانهم أسلموا كلهم قـ ـبل نزول آية[1] الجزية فأنها نزلت بعد تبوك وكان رسول الله ﷺ ـفرغ من قتال العرب واستوثقت كلها له بالإسلام، ولهذا لم يأ خذها من اليهود الذين حاربوه لانها لم تكن نزلت بعد، فلما نزلت، أخذها من نصارى العرب ومن المجوس، ولو بقي حينئذ احد من عبدة الاو ـثان، بذلها لقبلها منه، كما قبلها من عبدة الصلبان والنيران، وهذا الـ قول أصح في الدليل كما ترى) انظر زاد المعاد ج/5، ص (91-92).

د/ والشوكاني كذلك من المؤيدين لهذا الرأي، يـ قول: (قو ـله (فـ سلم الجزية) ظاهِرُهُ عدم الفرق بين الكافر والعجمي والعربي وغير الكتابي) أنظر (نيل الأوطار) ج/7، ص (45). ويقول ايـ ضاً (ظاهر الأد ـلة يقتضي ان بذل الجزية من أي كافر يوجب الكف من مقاتلته... فـأن قوله (كان رسول الله) يدل على ان هذا كان من شأنه في كل جيش يَبْعَثُهُ..) انظر (الـ سيل ا لجرّار) ج/4، ص (570-571)، ويـ قول

(1) المقصود بها الآية (29) من (التوبة) .

ايضاً: (والحاصل ان من ادعى ان طائفة من طوائف الكفار لا يجوز ضرب الجزية عليه بل يخيّر بين الإسلام والسيف، فعليه الدليل ولا دليل تقوم به الحجة الا ماورد في المرتد) انظر (السيل الجرّار) ج/4، ص (570-571) واشير في نهاية هذا التحقيق الى أن حديثاً للنبيّ ﷺ ، قد يثير قلقاً وتردداً لدى البعض من رجاحة الرأي الذي اخترناه وهذا هو نص ذلك الحديث، ((اُمرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ألاّ اله الا الله وأني رسول الله)) (رواه البخاري).

وظاهر الحديث يشير الى ان الناس مخيَّرون بين الإسلام والبروز الى ساحة القتال! ولكننا نقول بإيجاز: هذا الحديث مجمل، وتفصيله ورد في نصوص أخرى، كما تناولنا ذلك بأطناب في الحلقة الأولى من هذه السلسلة، فالناس دوماً كانوا يوضعون بين خيارات ثلاثة: إمّا الإسلام، أو الجزية، أو القتال، والعلماء مُجْمِعُون على ان النصوص المجملة يجب ان تُفهَمَ في ضوءِ النصوص المُفَصَّلة كي نتجنب الوقوع في الخطأ، ولهذا السبب فقد وضع علماء الأصول هذه القاعدة: (يُحْمَلُ المُجمَل على المُفَصَّل)، ويغلب على ظني في نهاية الفقرات التي سبقت، إنه قد تبين أرجحية الرأي الذي اخترناه، وقد أيده غير مالك وَالأوزاعي وإبن القيم و الشوكاني والصنعاني كثير من العلماء المعاصرين ايضاً[1] .

نعم ايّها الأخـوة !

كل الأقليات الفكرية والدينية بما فيهم الزنادقة والملاحدة و ليس اهل الكتاب وحدهم، بامكانهم العيش بسلام في ظل الدولة الإسلامية، شريطة

---

(1) أنظر (آثار الحرب ..) د. وهبة الزحيلي ص (702،701) و (الجهاد والقتال في السياسة الشرعية) د. محمد خيـر هيكل ، (1464).

ان يدفعوا الجزية، ولهم ان يبقوا على دينهم وتصورهم، ولـ كن عـ ليهم ان يحترموا دستور الدولة وقوانينها وآدابها العامّة.

والله تعالى جلت عظمته يقول: ﴿هُوَ الّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ (التـ غابن –2)، ونرى ان الآية قدمت الكافر هنا، فما الحكـ مة مـ ن ذلك؟ قد يكون هناك من يتصور ان الإسلام اذا اصبح حاكماً فلن يُبقِيَ على كافر في الأرض، وهذا تصور خاطئ، لان الله سبحانه قد حـ سم الأ مر في الآية حيث قال: إن الله خلقكم جميعاً، فمنكم كافر، ومنكم مؤمن. ولم يقل: يجب ان تبيدوا الكافرين! بل اعتبر وجود الصنفين شيئاً طبيعياً.

وعندما تحدث تعالى عن القوة والجهاد قال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ا سْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الانفال–60) ولم يقل: تبيدون به... ولكنه قال ترهبون به... اي تمنعونهم بأعدادكم للـ قوة لئلاّ يتعدوا عليكم ويصبحوا عائقاً يعيقون مسيرة دعوتكم الإ سلامية وإلاّ فلا عليكم منهم، لان الله لم يخلق الدنيا للمسلمين فقط.

ولا بأس ان اروي هذه الطرفة عن المؤرخ والرحالة المشهور (ابن بطوطة) يُقال انه في رحلاته كان اذا وصل الى مكان سأل الناس عن سـ كانه؟ فـ إذا قيل له: سكّانه مسلمون قال، عمَّرها الله، واذا قيل سكانه كـ افرون قـ ال: دمَّرها الله.

وتصور ابن بطوطة (رحمه الله)كان خاطئاً، لان غا ـية الإ سلام أن تُعـ مَّر الأرض جميعاً، سواء كان قاطنوها مسلمين او كفاراً، فالمهم ألاّ يَصُدَّ الكافر الناس عن نظام الحكم الإسلامي ولايناصبه العداء، وان يستطيع المـ سلم اذا كان له السلطة ان يعمم دعوته في أرجاء الأرض.

فأمريكا اليوم تريد فرض أفكارها وقيمها على الدنيا بأسرها، مع ان أفكارها و قيمها نتاج أذهان مجموعة من البشر، أفلا يكون من حق الله ان تسود شريعته الدنيا وتحكمها، والحال انها تحترم جميع الأقليات الفكرية والدينية وتَضْمَن للناس سعادة الدنيا والآخرة.

وإن من مقتضيات الحياة الحرة، أن يكون للإنسان حرية التفكير، وحرية التعبير، وحرية العقيدة والتصور، والحريات السياسية والإجتماعية والشخصية والاقتصادية وسائر الحريات التي سنمرُّ عليها فيما يلي مرور الكرام.

ثانيـاً: ضـمان وحماية الضـروريات السـت:

اصطلح علماء الاصول في الشريعة الإسلامية على استعمال مصطلح يسمونه (الضروريات الست) او (الضروريات الخمس) وهي أشياء ضرورية يتحتم على المجتمع المسلم والدولة المسلمة تضمينهالكل مواطنيها بلا إستثناء[1] وهي عبارة عن: حق الدين، وحق الحياة، وحق النسل، و حق العرض، وحق العقل، وحق المال. وهذه الأشياء الستة يحتاجها كل انسان، وبدونها لا تستقيم الحياة.

1/ حق التديّن: لا ينحصر معنى الدين في الرسالات التي اُبْتُعِثَ الأنبياء بها، فهذا هو الدين الحق، بل ان هذه الكلمة تشمل كل منهج يعمل وفقه الإنسان في حياته، فإذا كان جّما أنزلَهُ الله تعالى فهو الدين الحق، وان كان منسوخاً أو محّرفاً أو مشوهاً كالديانة اليهودية والنصرانية أو اي

---

(1) انظر (نظرية الاسلام وهديه) لابي الاعلى المودودي ص(308)، الذي يقول بهذا الصدد (والاسلام لا يفرق في هذا الباب بين سكان الدولة المسلمين واهل الذمة وهذا يضمن لكل رجل من اهل الذمة كما يضمن لكل رجل من المسلمين بان الدولة لن تحرمه من المأكل والملبس والمسكن).

دين إلهي آخر محرف، فهو دين باطل، إذ هذه الاد ـيان وان كا ـنت في أصلها صحيحة، الا انها نسخت بالإسلام بالإضافة الى كونـ ـها محرَّ ـفة، وان كان من صـنع الإنـ ـسان كالديمقراط ـية، والرأسمال ـية والليبرال ـية والماركسية والسوشيالية... الخ ولاشك بأنَّ هذه ايضاً أديان لكنها ـمن نتاج العقول البشرية انفسهم فنطلق عليها إسم الأديان الوضعية. و(حق الدين) هو أن يكون الإنسان حراً في ظل الدولة الإسلامية يختار ما يـ ـشاء من دين يفضِّله وألاّ يُفْرَض عليه منهج ودين معين بالاكراه، وألاّ يمـ ـنع أحد من ممارسة شعائره الدينية.

2/ **حق الحياة:** وهو ضمان الحياة الآمنة لرعايا الدولة الإسلامية، وحمايتـ ـها من كل أنواع المخاوف والإعتداءات، وحرمة الإعـ ـتداء عـ ـلى ا ـلنفس بالقتل من هذا القبيل.

3/ **حق النسل:** وهو ان لكل مواطن الحق ان تُهَيَّـأَ له الظروف التي يستطيع من خلالها تكوين الأسرة والنسل، ومن قبيل حماية هذا الحق شرع تحريم الزنا وما شابهه.

4/ **حق العرض:** والمقصود به أنّ كل مواطن يجب أن يكون محفوظ العرض والكرامة والشخصية في ظل الدولة الإسلامية، وشرع تـحريم الـ ـقذف والغيبة والنميمة والتنابز بالألقاب، حماية لهذا الحق، سواء اذا مورس ضد مسلم او غير مسلم، فالذي يرضى بالأنضواء تحت الراية الإسلامية فلا تؤثر نوعية منهجه في استفادته من هذا الحق، ومادام الله تعالى قد خيّره بين الايمان والكفر فليس من حق أحد البتّة ان يمنعه او يعتدي على شخصيته وكرامته، فهو في هذا الحق المشترك مع المسلم يداً بيد.

ورد في صحيح البخاري قول الخليفة الراشد علي بن ابي طالب ﵁: ((انما قبلوا عقد الجزية حتى تكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا)) ويلحق بذلك كما يقتضيه سياق قول الخليفة الراشد كافة الحقوق الأخرى.

5/ **حق العَقْل:** لكل مواطن في ظل الدولة الإسلامية تنمية قدراته العقلية، وضمان حمايته من كل ما من شأنه الأضرار به أو الحد من نشاطه، ولهذا حُرِّمت المواد المُسْكِرَة والمُخَدِّرة في الإسلام لبقاء العقل سليماً معافىً ، لأن الإنسان لا يميّز عن ذوات الأربع الاّ بعقله.

6/ **حق المال: ولا بد ان تكون أموال الناس محفوظة في ظل النظام الإسلامي،** فللمواطنين حق الكسب والحصول على المال الحلال، و كذلك يجب حماية اموالهم، ولهذا وضعت العقوبة الشديدة لردع السارق من مد يده الى أموال الناس، والغريب ان البعض يشفق على يد السارق، ولا يشفق على المسروق منه ولا يضع حرمة لأموال الناس التي يكْتَسِبونها بعرق الجبين وشق الأنفس فيأتي السارق ليسرقها ظلماً، ونحن نقول لأمثال هذا، هلاّ أشفقت على أموال الناس من المتعدّي عليها، بدل ان تذرف دموع التماسيح على دنيء تكفيه كلمة (السارق) عاراً وشناراً! وقد أكد النبّي ﷺ أيما تأكيد على هذا في آخر حجة في حياته والتي سميت بحجة الوداع، وقد حضرها اكثر من (100.000) من صحابته الكرام. يقول ﷺ ((فأن دماءكم و أموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركهم هذا في بلدكم هذا فليبلِّغ الشاهِدُ الغائِبَ)) (متفق عليه)

ثـــالثـــاً: الحقــوق الشــخصية والخاصــة:

كل انسان في ظلِّ الإسلام لابدّ و أنْ تضمن له حقوقه الشخصية[1] وهى كثيرة منها: حرية اختيار العقيدة، وحرية التفكير والتعبير، حتى ان كثيراً من العلماء والمفكرين مثل (المودودي[2]، وسيد قطب) وآخرون، يعتقدون ان اهل الكتاب والذميون لهم الحق في الدعوة لمعتقداتهم اذا كانوا يعيشون في ظل الدولة الإسلامية. على ألاّ يتحدثوا عن الإسلام بسوء ولهم ان يدعوا لعقائدهم بصورة موضوعية، وقد جاء وفد نجران في زمن النبّـي ﷺ الى المسجد النبّوي في المدينة وقام خطيبهم يدافع عن عقيدتهم النصرانية، وقرأ عليهم النبّـي ﷺ آيات الله عن الإسلام، وفي مسجد رسول الله ﷺ نفسها هاجم شاعر المشركين الإسلام بشعره، فطلب النبّـي ﷺ من حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة ان يجيبوه وكانوا شعراءً رضي الله عنهم، فأجابوهم شعراً بشعر وخطبة بخطبة، وكلاماً بكلام كما طلب منهم النبّـي ﷺ، وقد حَدَث هذا والإسلام في أوج سلطته! ومن ضمن الحريات الشخصية، حرية اللباس، مع مراعاة الاداب الشرعية العامة في المجتمع المسلم، وحرية المأكل والمشرب، وحرية السفر والتنقل، وحرية السكن، وحرية التنزه والسفرات، فهناك من يشيعون عن الإسلاميين بأنهم إذا استولوا على سدّة الحكم، فسيمنعون حتى البسمات، والسفرات، والملابس الزاهية والطعام الشهي!!

---

(1) أعنـي هنا الإنسان على اطلاقه، مسلماً أو غير مسلم، ذكراً أو انثـى، صغيراً أو كبيـراً.

(2) يقول أبو الأعلى المودودي: (الذي يظهر من هذا بوجه قاطع ان كل طائفة من طوائف البلاد إذا كانت لا توافق آراؤها آراء الأمة الإسلامية، لا تحول الدولة الإسلامية دون إظهار آرائها، واما إذا حاولت نشـر أفكارها وحمل الجمهور عليها بالطرق الإرهابية والعمل على قلب نظام البلاد بالقوة، فهناك تؤاخذها الدولة وتجازيها على أعمالها) أنظر: (نظرية الإسلام وهدية)، ص(307).

ولكن هذا إختلاق لا أساس له من الصحة، لان الله تعالى يقول: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (الاعراف– 32)، مَنْ حرَّمها، ألم يخلق الله تلك المباهج والملذات لعباده؟ ولكنه تعالى يطالبنا أن نحصل عليها بصورة شرعية، وأنْ نستعملها بما يوافق الشرع.

رابعــاً: الحقــوق الاقتصــادية:

لكل انسان في ظل الحكومة الإسلامية حق التملّك، والله تعالى يقول: ﴿فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة– 279).

ولكل انسان كذلك ان يتكسب ويجمع الاموال كما يشاء على ألاّ يخالف الشرع، لذلك فـ(الربا) محرّم في الإسلام، وكذلك الإحتكار والغصب والسرقة، لأنها تضرُّ بالمصلحة العامة للمجتمع.

وللإسلام موازنة عجيبة بين الحرية الشخصية ومصلحة المجتمع، بخلاف الانظمة الرأسمالية والإشتراكية، فالمجتمع في النظام الرأسمالي يداس من قبل الفرد، حيث ان الفرد له تكثير أمواله كيف يشاء وبما تعجبه من وسائل، بالتجارة بالأشياء الممنوعة وَالمحرمة، وَ بالتجارة بالأجساد وأعراض الناس، وبأي شيء يحلو له، فالمهم ان يجمع المال الكثير، فالإنسان كفرد في النظام الرأسمالي، حرٌّ يفعل ما يشاء.

والنظام الاشتراكي على العكس تماماً، فالفرد مسحوق تحت أقدام المجتمع بحجة المصالح العامة، وهكذا تُصادَرُ جميع الحريات، ولكن الإسلام شيء آخر، اذ انَّه يحترم الفرد ويكفل له حرياته، ولكن ليس على حساب مصالح المجتمع، والفرد في الدولة الإسلامية اذا كان عاجزاً على تدبير أمور معاشه، فالدولة في هذه الحالة مكلفة بضمان حاجاته الضرورية، أورد (أبو يوسف)

في كتابه (الخراج) ص (126): ان عمر بن الخطاب رأي ذات يوم يهوديا يَستَجْدي، فقال: ما بالك أيها اليهودي تستجدي؟ فقال اليهودي: اجتمع عليّ الفقر والشيخوخة والجزية، وَورد في رواية مأثورة: ان عمر بن الخطاب بكى حتى بلّت لحيته، ثم قال: والله ليس من الأنصاف ان نَنتفع بك في شبابك ثم ندعك آخر عمرك، فأمسك بيده وذهب به الى عامل بيت المال المسلمين وقال له: أنظروا وأحصوا من هم في حال هذا، وعيّنوا لهم الأعطيات، وضعوا عنهم الجزية، أجَلْ إنّ رعايا الدولة الإسلامية وإن كانوا كفرة، لا يجوز أن تضطرهم الحاجة الى الاستجداء.

خامساً: الحقـوق الإجتماعـية :

من الحقوق الإجتماعية لكل فرد في الدولة الإسلامية، أن يتزوج و يُكوِّن الأسرة، ويحافظ على صحته وسلامته، وأن يتمكّن من تحقيق نشاطاته الإجتماعية، ولا شك ان الضروريات الست شاملة لمثل هذه المسائل أيضاً.

سادساً: الحقوق السياسـية :

للفرد في ظل الكيان الإسلامي حق ممارسة النشاط الإسلامي، واول حق سياسي هو ان ينظر الى الأقوام كأقوام بمنظار واحد، وليس هناك في الشريعة أقليات قومية وإنما هناك أقليات دينية وفكرية، ولكن لماذا لا توجد أقليات قومية؟ لأن الإسلام ينظر الى الاقوام بعين المساواة، فليس العربي افضل من الكردي ولا الكردي أفضل من التركي... لخ.

فاذا كانت الأكثرية في الدولة الإسلامية مسلمين وكانت هناك أقلية يهودية أو مسيحية أو زرادشتية أو زنادقة، فحتى وفق المنهج الديمقراطي فان

الأقلية حسب الدساتير العامة تكون خاضعة للأكثرية[1]، فالحق السياسي الاول اذاً هو الحق القومي، أي إن الأقوام جميعهم ينظر اليهم بعين المساواة، ثم حق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى لأهل الذمة أيضاً فهم اذا ما رأوا مايخالف الحق والعدل فلهم ان يمنعوا من ذلك، ويرى كثيرٌ من علماء الإسلام إن مجلس الشورى في الدولة الإسلامية لابد أن يكون فيها نواباً عن جميع الأقليات الدينية، كاليهود والنصارى والزرادشتين...إلخ، حتى يتمكَّنوا من إيصال اخبار جماعتهم ومطالبهم الى المجلس و يدافعوا عن حقوقهم، وهناك حق سياسي آخر، وهو التعاون مع الحكام، وتقويم أخطائهم، وفي حالة بقائهم على إعوجاجهم، إتخاذ الموقف تجاههم، كعزل الحاكم وابعاده من المؤسسات الحكومية، فالدولة انما نَصَبَتْ ذلك الحاكم كي يقوم بتطبيق الشريعة..

ومن الحقوق السياسية ايضاً أنْ تُسْنَد المسئوليات والوظائف الى الناس بحسب كفاءاتهم، وليس على اساس اللون واللغة والقرابة..الخ ، و من الحقوق السياسة الأخرى، ان الناس سواسية أمام القانون، و ليس لأحد درجة أو إمتياز على غيره، ومن كان مقامه أو منصبه اكبر من غيره، فيستلزم ذلك أن يكون إلتزامه أكثر من غيره بالنظام والقانون.

إذاً: فهذه خلاصة عن الحقوق الاساسية للانسان وواجباته في شريعة الله تعالى، وجدير بالذكر أنَّنا إنتهجنا في إشارتنا الى الواجبات والحقوق وخصوصاً الحقوق السياسية اسلوب الإيجاز والاقتضاب، وإلاّ فالمسألة في حاجة الى تحقيق وايضاح اكثر من هذا، وخصوصاً تأصيل مامرّ بنا بالأصول الشرعية.

---

(1) لاشك ان المنطقة التي تقع تحت سلطة الحكومة الاسلامية تسري عليها أحكام الشريعة دون الاعتبار لأن يكون المسلمون فيها اكثرية او اقلية.

وأختتـــم هـــذه النـــدوة بهـــذه الملاحظـات:

اولاً/ ان مما لا يليق بالإسلام الذي لقب نبيُّـهُ ﷺ (رحمة للعالمين) ألاّ يراعي حقوق الناس كبشر جميعاً! انظر الى قوله تعالى: ﴿**وما ارسناك الاّ رحمة للعالمين**﴾ الأنبياء/ من الآية 107 فالعالمين هو كل العوالم واقل ذلك ان يشمل أهل الأرض جميعاً، واذاً فلو طبقت شريعة محمد المصطفى ، فإن كل أهل الدنيا سيستفيدون منها مسلمهم وكافرهم وسيحترمون وتكفل حقوقهم.

ثـانياً/ اذا كانت المصانع ترفق مع منتجاتها ما تسميه بـ(الكتلوك) فان الله سبحانه وتعالى وله المثل الأعلى قد خلق الإنسان وهو وحده أهل لتحديد الواجبات والحقوق له، وَكما إن أيّة آلة مهما كانت متطورة اذا لم تُراعى التعليمات المرفقة معها من قبل الشركة ستعْطَبُ سريعاً وَستصبح كسقط المتاع بلا نفع، كذلك الإنسان لا يتمتع بالمقام الرفيع الذي وهبهُ الله تعالى له، الا اذا سار وفق المنهج الذي رسمه الله تعالى له.

ثالثـاً/ وختاماً اقول: ان عبودية الإنسان لله تحرره من عبودية العباد، ولا يمكن للانسان العيش دون ان يكون له معبود، سواء كان معبوداً حقيقياً وهو الله تعالى، او معبوداً باطلاً كالاصنام والطواغيت المستبدين! ولا يتسنى للإنسان ان يكون مكرَّماً موقّراً سالماً من الهواجس وهموم الدنيا الاّ بعبوديته لِلهِ تعالى.

ندعوا الله جلّ في عليائه ان يهدي مجتمعنا وَ سائر المجتمعات المسلمة للإنضواء تحت ظلال الشريعة الوارفة، وان نسعى لتنفيذ ما على كواهلنا من واجبات، وضمان الحقوق التي رسمها الله تعالى لنا في شريعة العادلة السَّمحاء.

الحلـقَـة الرابعـة

عـولـمـة الـغـرب و
عـالـميــة الإســلام

هذه الرّسالة

أيهـــا القرّاء الأحبَّـــة !

هذه الرسالة هي الحلقة الرابعة من هذه السلسلة، وهي كأخواتها كانت في الأصل محاضرة للعبد الفقير وألْقَيْتُها في ندوة بقاعة (الثقافة) في مدينة السليمانية بتأريخ (18/رمضان/1423هـ-2002/11/23 م) ثم فرغها أحد إخوتنا من الشريط الصوتي، وراجعتها مكتفياً بتصرف يسير في بعض الفقرات و الّا فهي مثبتـة هنا كما ألقيت هناك.

فجزى الله أخانا، وجعل مادة هذه الرسالة باعثاً على تقشيع الضباب حول هذه المسألة، كي نتمكن من التعامل والتعاطي مع مثل هذه القضايا الحساسة في هذا العصر، وألاّ نقع في الإفراط أو التفريط والحمدلله باطِناً وظاهراً و أولاً وآخراً.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رَب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله وصَحْبه أجمعْين.

عنوان محاضرتنا هو « عولمة الغرب وعالمية الإسلام » وبعد ان يتضح المعنى الذي ينطوي عليه كل من العولمة والعالمية، سيتضح لنا ايضاً سبب تسمية العولمة الغربية بهذا الإسم.

وقد ترجمت كلمة (Globalization) في اللغة العربية بـ(العولمة) وإشتهرت هذه الكلمة و إلاّ كان يمكن ترجمتها بـ((تشكيل العالم شكلاً واحداً)) وكذلك سيتضح لنا معنى (عالمية الإسلام) في ثنايا البحث.

ومن نافلة القول ان نذكر بأن العولمة باتت تحتل مساحة واسعة من الأحاديث السياسية والثقافية والفكرية، ليس على مستوى الدول المصدرة للعولمة، فَحَسْبُ، بل حتى في بلد مثل كردستان الذي لاحظ له في العولمة ولم يتبين بعد حجم منافعها او اضرارها له، وان كان يَلُوح في الافق بعض سلبياتها! وسأتناول باذن الله تعالى هذا الموضوع من خلال ثلاثة فصول رئيسية:

الفصل الاول: تعريف العولمة وتأريخها وأهدافها ونتاجها وآثارها.

الفصل الثاني: تعريف عالمية الإسلام ونقاط الإختلاف بينها وبين العولـمة الغربية.

الفصل الثالث: الموقف الصائب الواجب إتخاذه من العولمة.

الفصـل الأول

العـولـمـة: تعـريفـهـا، تـأريخـهـا، أهـدافـهـا، نتاجـهـا، أثـارهـا.

لاشك إن العولمة ليس موضوعاً يمكن إستيفاء موا ضيعه في محا ضرة كهذه، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، ونحن سنعمل وسعنا في تلخيص هذا الموضوع، و سَنُركِّزُ على ما نراه مُهِمّاً وما ينبغي ان يعرفه ابناء شعبنا، وسأعرض كدأبي حديثي عن العولمة في ضوء القرآن والسنة.

1- تعـريف العـولـمـة :

ومن الاهمية بمكان ان نقدم بادئ ذي بدء تعريفاً للعو لمة، فنـ قول: ان كلمة (Clobalization) انگليزيه الأصل، وقد ترجمت في العربية بـ(العولمة) أي جعل العالم على صورة واحدة، كقالب وقولبة، وقد ظهرت هذه الكلمة لأول مرة واستخدمت في الولايات المتحدة الأمريكية، ولهذا يط لق بـ عض الكتاب والسياسيين (گلوباليزيشن)لفظة (الأمركة) بدل (العولمة) أي جعل كل شيء أمريكياً، وعلى هذا التعريف اللـ غوي إتفـ قت كلـ مة اللـ غويين والمثقفين، وكذلك فإن جميع الباحثين أو أكثرهم متفقون عـ لى أن أ ساس العولمة وعمودها الفقري هو (الإقتصاد) ومع الأهمية البالـ غة للإقتـ صاد في العولمة، الا إنها ليست محصورة فيه، بل إن العولمة فلسفة ودين من الأد يان المعاصرة ومنهج يريد الهيمنة على كل شيء بما في ذلك الهيمنة على الأديان والتصرف فيها، سواء في ذلك ما بقي سالماً من العبث والتغيير وهو الإسلام، او ما طالته يد التحريف وَالتشويه مثل المسيحية واليهودية، فهي تريد وضع اليد على تراث الشعوب وعاداتها وتقاليدها بما في ذ لك طريـ قة الأ كل واللباس، فالعولمة في اصلها ظاهرة اقتصادية ولكنـ ها تـ شعبت فيـ ما بـ عد بجذورها الى باقي مناحي الحياة السياسية والإجتماعية والأخلاقية والفكر ية

والثقافية ووصولاً للعادات والتقاليد. والخبراء متفقون على إن مهد العولمة ومركزها الاول هو الغرب فقد تجسَّدت العولمة بالدرجة الأولى في الغرب وخصوصاً في أمريكا، التي تمسك بزمامها، وهم متفقون أيضاً على أن العولمة هي نفسها التي تُسَمّى أحياناً بالنظام العالمي الجديد، وان جذورها لَتضرب في أطناب الأرض في أمريكا والغرب، وليست بالظاهرة المستجدة حديثاً، ورغم قدم هذه الظاهرة، الا ان طروءها بصورة بادية للعيان لم تكن الا بعد حرب الخليج، وتحديداً بعد إنهيار الأتحاد السوفيتي عام (1990)، وبإمكاننا القول ان العولمة منذ ظهورها باتت الشغل الشاغل للناس والمستأثرة الأولى بإهتماماتهم، سواء من الذين يناصرونها و يشايعونها، او الذين يعارضونها ويعادونها على حد سواء، ويؤكد الخبراء كذلك ان هذه ليست هي المرة الأولى التي تريد فيها دولة كأمريكا او حضارة كالحضارة الغربية أن تُحْكِمَ قبضتها على العالم، بل ان هذه محاولة قديمة موغلة في عمق التأريخ، فقد سعى الأفارقة قديماً للسيطرة على العالم، وخصوصاً في عهد (الأسكندر المقدوني) وتكرر السعي ايضاً من قبل الرومان والفرس والتتار والمغول لأحكام السيطرة على الدنيا، فقد اوشك (جنگيزخان) اتمام السيطرة على معظم أرجاء الأرض، وحاول ذلك كل من الانگليز وهتلر والفكر الشيوعي بالصورة نفسها، ولن أتعّرض لذكر الإسلام ههنا لأن هذه العولمة والسعي لإحتلال الدنيا يختلف تمام الإختلاف مع عالمية الإسلام و سنذكر ذلك لاحقاً، إذ قد برزت جميع المحاولات والمساعي الرامية الى العولمة على أساس لايمت الى الله تعالى بصلة، بل بُنيت على أساس الأهواء والرغبات الإنسانية الجامحة بل المتوحشة الهادفة الى فرض الذات وَالسيطرة على سائر الدنيا، اما ما يرمي اليه الإسلام فمختلف عن هذه النزوات الجامحة الى

الإجرام، أشدَّ الإختلاف، ولكن الأوضاع المواتية التي تشهدها العولمة في هذه الأيام حيث الفرصة السانحة والطريق الممهَّد أمامها لم يسبق أن تكرر ذلك على مرّ التاريخ، وقد يكون السمة الأبرز لذلك هو التقدم الهائل الذي تَشْهَدُهُ التكنولوجيا في الحضارة الغربية سواء في مجال الإعلام، او تكنولوجيا الحرب أو السلم.

لقد بات في امكان هذه الحضارة بما في حوزتها من التقنيات المعقدة والتكنولوجيا المتقدمة ان تطوي المسافات طياً، وان تضع يديها على خيرات الدنيا، شاءت أم أَبَتْ!

2- أهداف العولمة ومقاصدها :

ان مضمون العولمة يبدو واضحاً من التسمية نفسها، فهي توحيد العالم و إخْضاعُهُ لسيطرة واحدة، ولكنني بُغية اخذ الكلام من اهل العولمة انفسهم، وجدت من الضروري ان نستمع الى شخصين من سياسيي أمريكا وهما.
(فرنسيس فوكوياما) وهو من أصل ياباني متجنس بالجنسية الأمريكية، فقد ألَّفَ هذا كتاباً تُرجم الى العربية تحت عنوان (نهاية التأريخ وخاتم البشر) أو (نهاية التأريخ والإنسان الأخير) طبع في سنة (1993)، و قد ذكر (فوكوياما) أموراً وقع فيها تحت تأثير سابقيه، ولكنه إستقى فلسفة جديدة من خلال الأخذ من الآراء المتنوِّعة ولعب بذلك دور المنظِّر لهذه الظاهرة العالمية المسماة بالعولمة، وهو يريد ان يثبت ان هذه الظاهرة تتمتع بالمشروعية وتنشأ من خلال تطور البشرية وسيرها قدماً الى الأمام، وعلى جميع الأطراف إستقبالها والإستسلام لها، لأن حالةً فُضْلى على هذا المستوى من الرقيّ لم ولن تحدث! و هذه خلاصة أقواله.

والواضح ان (فوكوياما) يتحدث تحت تأثير فلسفة (هيگل) التي يشير اليها مراراً في كتابه، كما انه إستفاد بدرجات متفاوتة من كل من (ماركس) و (داروين) و (نيتشه)، أخذ من كل هؤلاء ما يتناسب مع أفكاره وكوّن من كل ذلك فلسفة مستقلة، ويثير اللإنتباه إن (هيگل و ماركس و نيتشه) هم من الألمان، وأنتم تعلمون إن الألمان كانوا المبادرين لأشعال الحرب العالمية الأولى والثانية وخصوصاً الحرب العالمية الثانية حيث إن (هتلر) وإنطلاقا من تصوراته الشوفينية، كان يرى ضرورة خضوع شعوب العالم للنازية، و قد أخذ (فوكويا) تأثير الروح على المادة من (هيگل) وصراع الأشياء وتضادها وتطورها نتيجة ذلك الصراع، وكذلك أخذ من (ماركس) و (نيتشه) بعض التصورات الاستبدادية المجحفة والغريبة. فـ(نيتشه) الألماني يعتقد ان المساواة بين القادر والعاجز أمام القانون، ظلمٌ لا معنى له، و من شأن ذلك ان يتسبب في عدم تطور الحياة وموت القدرات والإستعدادات الخارقة، وكان يعتبر مساواة الفقراء والاغنياء ظلماً وإجحافاً، وكان يقول بأن مقتضى العدالة ان يستخدم صاحب السلطة سلطته فيما يشاء وان يستفيد الثري من أمواله كما يطيب له، وليذهب الفقير الى الجحيم!! هذا هو مضمون نظرية (نيتشه) وأخذ (فوكوياما) من (داروين) نظرية: (البقاء للأقوى او البقاء للأصلح) وهذا من أهم أسس النظرية الداروينية ثم يصل (فوكايا ما) الى نتيجة و يتلخّص فيها كتابه المذكور مفادها: إن الحضارات جميعها ما تت وإنهارت من إثر تطور الحياة او أنها تسير نحو الإضمحلال والفناء، و هذا بالنسبة لحضارات الدنيا عموماً وحضارات الشرق خصوصاً بما في ذلك الإسلام!! ويعتقد كذلك إن خلاصة أفكار البشرية وسياستها وعقولها قد تجمعت في الديمقراطية والليبريالية! ومن قناعات (فوكوياما) انه يقول لا بد لجميع البشرية أن تقتنع بهذا الفكر والمنهج، وان تتجمع قاطبة حول

الرأسمالية، لأن أية فكرة أو منهاج آخر في اعتقاده لا تستحق ان تتمحور حوله الحياة، ويقول ايضاً: ان الإنسان الذي يعيش في ظل العولمة يعتبر الإنسان الأفضل، ولهذا سماه بخاتم البشر، أي انه كما يقولون الرجل (السوبر مان)، ويقول وفي تلك المرحلة سيتوقف التاريخ نهائياً، وقد كان (ماركس) مقتنعاً بتوقف التأريخ، وكذلك (هيگل) الذي كان يعتقد ان للتأريخ خاتمة، ولكن (ماركس) كان يتصور ان الشيوعية هي التي وَسَيَتَوَقَّفُ منذ التأريخ، و (فوكرياما) على العكس من ذلك يقول: كلاّ، بل سيكون توقف التاريخ ووصول الإنسان الى المرحلة الأخيرة من تقدمه، عند ظهور المجتمع الرأسمالي وتصدّر لقمة هرم نظام الحكم في الحضارة الغربية بكلا شِقَّيْهِ الاقتصادي والسياسي.

لكن (فوكرياما) عندما يريد الإستدلال لإثبات صحة تصوراته كما بدا لي من الأطلاع على كتابه يلاحظ ضخامة ادعاءاته وضحالة استدلالاته، فهو كما يقول المثل المشهور: تمخَّض الجبل قَولهُ فئرا! إذ هو تكلم بكلام بالغ الضخامة، حتى اذا استدل لكلامه لوحظ فيه الضآلة والصغر!! فاقوى دليل لفوكرياما هو قوله:

مادام الإتحاد السوفيتي والمعسكر الشرقي والحضارة الاشتراكية قد إنهارت من جهة، ومن جهة أخرى لا يوجد عدو أو منافس قوي أمام الحضارة الغربية، فإن هذا الواقع هو الواقع الأخير، وهذه المرحلة والحضارة هي المرحلة والحضارة الأخيرة، ولن تأتي الى الوجود قوة أو حضارة اُخرى تنافس الرأسمالية أو الفلسفة والنظام الحاكم في الغرب!! وفي نظري ان هذا الكلام ليس الا حالة من الغرور والتكبر وإحتقار الناس، وهذه الروح من الزهو وَالخيلاء واحتقار الناس تلمس في كتب (فوكوياما) لمس اليد، ومعلوم أنّها تُلْمَس في التصريحات والأحاديث التي يُدّلي بها كثير من مفكري

وسياسي أوربا وأمريكا، وهذه الحالة التي ذكرناها لها جذور عميقة في التاريخ الغربي منذ عهود الاغريق واليونان والى يومنا هذا، فمثلاً: كان اليونانيون يطلقون على غيرهم لفظة (البربري) أي القروي او الصحراوي.

أما الشخص الثاني الذي تحدث عن العولمة منظراً ولكن باسلوب آخر، هو (صموئيل هانتيگتون) وهو ايضاً أمريكى وقد طبع في سنة (1996) كتابه الذي ترجم الى العربية بعنوان (صِدام الحضارات) أو (صراع الحضارات) وجدير بالذكر أن المؤلف شخص يهودي وأستاذ العلوم السياسية في جامعة (هارفارد) وهي جامعة مشهورة، وهو الآخر يريد إقناع الناس بالفكرة ذاتها التي ينادي بها (فوكوياما) وهي ضرورة ان تتصدر الحضارة الغربية التي تجد نفسها اليوم في العولمة، لحاكمية الدنيا عن بكرة أبيها!!

ولكن (هانتيگتون) يريد الوصول الى قناعته باسلوب آخر، و آلية أخرى، فهو يقول ليس صحيحاً ان الحضارة هي فقط الحضارة الغربية، بل هناك حضارات أخرى كثيرة و يعدِّدها جميعاً ثم يحدد من بينها حضارتين فقط، وهى الحضارة الصينية، والحضارة الإسلامية، وهو يشير الى قوة هاتين الحضارتين وبانهما لو اتحدتا فستشعلان حرباً ضروساً ضد حضارة الغرب، و (هانتيگتون) يحرض الغرب الرأسمالي بصورة غير مباشرة ضدّ الحضارة الإسلامية والصينية، وان تستجمع قواها قبل ان تتحد هاتان الحضارتان، ويركز الكاتب على صراع الحضارات التي حدث وتحدث بإستمرار، و هو يقول: إن أفضل ما كانت البشرية تحلم به قد تحقق، وهي العولمة والنظام المعمول به في الغرب في الوقت الحاضر، ويقول، ولا بد من أخذ جانب عظيم من الحيطة والحذر بغية حماية هذا النظام، خصوصاً من الحضارتين الإسلامية والصينية، وبالطبع فإن (هانتيگتون) يخالف (فوكوياما) في بعض

الأمور، من ذلك: انه يعترف بثلاث حقائق: ان هناك غير الحضارة الغربية حضارات أخرى، ويقرّ ايضاً أن العالم الشرقي بما فيه العالم الإسلامي لا يمكن بحال من الأحوال أن يستسلم للغرب، لأنَّ خلفيتهم الفكرية وفلسفتهم في الحياة ونظرتهم لها مختلفة عن نظرة الغرب، نعم هم يستفيدون من الحداثة الموجودة، في أوربا والغرب ولكنّهم لا يتغربّون أبداً، أي انهم يطوِّرون أنْفسَهم ويقومون بالتجديد ويستفيدون من تكنولوجيا الغرب، ولكنهم ليسوا على إستعداد ان يستسلموا للفلسفة والسياسة الغربية، وأخيراً فإن (هانتيگتون) يعترف ان الصحوة الإسلامية علامة على انتعاش المسلمين ودبيب الحياة فيهم.

ويقول: ان النهضة الإسلامية والوعي الإسلامي الموجود في العالم الإسلامي عبارة عن الصحوة الإسلامية، اذاً فلو نظرنا الى العولمة بمنظار هذين الكاتبين علماً ان جميع المؤيدين للعولمة يعتبرون هذين الشخصين و كتاباتهما مُمثِّلاً للحضارة الغربية وأبرز مفكرِّيْنِ ومنظِّرين لها نصل الى نتيجة ان العولمة الغربية تريد من العالم طوعاً او كرهاً أن يَسْتَسْلِم لها بالكلية، سواء ما ظهر من كلام (فوكوياما) الذي يقول: ان الجميع سيذوبون ولن يكون في مقدور احد الوقوف على رجليه، او من كلام (هانتيگتون) الذي يقول: كلا، يجب إخضاعهم بالقوة، ومن ابرز رأسه فلا بد من ضربه، لكي تبقى هذه الحضارة! اذاً: فكلاهما يريدان ايصال الناس الى القناعة التي مفادها انه لا مناص من هيمنة الحضارة الغربية على جميع شعوب العالم وملله، ويجدر ان يقال في هذا المقام ان قضية العولمة قد سمعت قبل سنة (1990) من كثير من أعيان السياسة الأمريكية، فقد نقل عن الرئيس الأمريكي (روزفلت) إنه قال بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية: (الآن يجب أمركة العالم).

وكذلك الرئيس الأسبق (ايزنهاور) الذي ينقل (حسن قطامش)[1] كلا القولين، قال: (لقد جاء بنا القدر لنقود الدنيا) اذاً فنظرية سيادة الغرب على العالم له في الفكر الامريكي بل الغربي عموماً جذور متأصلة.

3- مُسَوِّغات العولمة :

والآن دعونا نلقى نظرة الى مسوِّغات العولمة لدى مؤيِّديها، فأي شيء يسوِّغ قولهم: إن العالم يجب أن يخضع لسيطرتنا! نقول في الإجابة: إن أمريكا والغرب عموماً، يتذرعون ببعض الحجج لأضفاء الشرعية على سياساتهم التي يطلقون عليها العولمة تارة والنظام العالمي الجديد تارة أخرى، وهي:

أولاً/ تثبيت الديمقراطية وإلزام الناس بها[2].

ثانيـــاً/ الدفاع عن حقوق الإنسان.

ثالثـــاً/ مكافحة الإرهاب.

رابعـــاً/ حق تقرير المصير للشعوب، و عدم آضطهادها.

خامساً/ إيجاد الرفاهية وضمان الحقوق المدنية للناس و المجتمع. نعم، هذه بعض المبررات الشكلية والشعارات التي يرفعها العالم الغربي لإضفاء الشرعية على ظاهرة العولمة كغطاء لتحقيق أهدافه التي تعد قمة أمنياته، ولكننا لو أمعّنا النظر في تلك الشعارات في دنيا الواقع، لتبين لنا أن أمريكا والطرب ليسوا صادقين معها، وانتم تعلمون بأننا خصصنا

---

(1) أنظر نهاية الجغرافية ، سيادة الدولة أم سيادة العولمة (حسن قطامش).

(2) إن إلزام الناس بالديمقراطية في حد ذاتها شيء غريب، إذ لو كانت الديمقراقية حقاً (حكم الشعب) فينبغي أن يسعى الشعب بنفسه لتثبيتها لا أن يتدخل أحد من خارج إرادتهم و يلزمهم بها.

مجموعة من الندوات لبحث الديمقراطية وحقوق الإنسان والإرهاب وميَّزنا بين غثِّها وسمينها، فنحن بالإضافة عما لدينا من الملاحظات على تلك الشعارات في حدِّ ذاتها، كذلك لنا إنتقاداتنا وملاحظاتنا على إستعجال الغرب لها كمصطلحات برّاقة قلَّما تجِدُ لها مصداقية على أرض الواقع و خاصة في مجال تعامل الغرب مع غيره، أجَلْ فعلاوة على ما في نفوسنا من تلك الشعارات معنىً ومضموناً، فأنها كما نرى تستخدم وفق قاعدة: (الكيل بمكيالين)، فالشعب الشيشاني مثلاً لا يرجعون الى اصول روسية، ولهم دينهم المستقل، وهم شعب مستقل، واعترف بهم ككيان ودولة مستقلة، ومع ذلك فالروس لا يزالون يعملون فيهم تقتيلاً وتذبيحاً ويجعلونهم تحت سلطتهم بالقوة والإكراه، وأمريكا لا تُحرِّك ساكناً وكأن شيئاً لم يكن، وفي المقابل فإن التيمور الشرقية وهم قومية واحدة مع أندونوسيا، نعم ان اكثر سكانها اليوم من النصارى، ولكنهم في الاصل مسلمون قد نُصِّروا، وَفي هذه الحالة على العكس تماماً نجد أمريكا تبادر الى التدخل و تدعوا الى إستقلال التيمور الشرقية، لماذا؟ لان أندونوسيا دولة مسلمة، بل أكبر دولة مسلمة، و(90٪) من سكانها مسلمون، من أصل (200.000.000) مليون نسمه، فهنا تطالب أمريكا بحق تقرير المصير لتيمور، وتخرس هناك لأن روسيا دولة كافرة والشيشان شعب مسلم، ونحن نرى بأمهات أعيننا ما تفعله اليهود بالمسلمين، وماذا تفعل الهند مع الكشمير، و ماذا يَلْقى المسلمون في داخل الهند من الظلم وهضم لحقوقهم، ومع كل ذلك فأمريكا باستثناء ذرّ الرماد في العيون خرساء لا يُسْمَعُ لها صوت،

لكنها اذا كانت لها مصالح في أماكن أخرى، فربما لو أدَّب والد إبْنَهُ، أو خاصم جارَ جارَه، لسارعت أمريكا بالتدخل والاحتجاج!!

4- آثــار العولـمـة و نتـاجـاتهـا:

والآن آن الأوان ان نحيط علماً بآثار العولمة، والمهم ان نعرف هنا قبل كل شيء انه قبل ظهور النظام العالمي الجديد او ما يسمونها العولمة، كان التطور التكنولوجي في اوربا والغرب، و الذي هو مُنْبَ ثِقٌ في الـ تأريخ الـ غابر من الإسلام و حضارته، ومن أوربا في الوقت الحاضر، فان ذلك كان موجوداً في الماضي أيضاً، ولكنه اليوم في ظل العولمة ت قدمت التكنولوج يا والجوا نب التقنية بصورة مدهشة. لماذا؟ لان الدول العظمى لها امكان يات وا موال طائلة، وفي مقدورها تسخير الناس وتوظيف الإختصاصين، ولهذا دور هائل في تنمية التقنية وتطوير العلوم، و الاّ فالتكنولوجيا كان موجوداً في الما ضي ايضاً، ويمكن النظر الى نتاجات العولمة من ناحيتين:

أ من ناحية ايجابية وهي كونها في خدمة البشرية ومصـالح الناس في كثير من جوانب الحياة المتعددة، ولاشك ان تلك نعمة وخير يستدعي شكر الله تعالى.

ب ومن ناحية سلبية وقاتمة وهذا ما خصصنا بحثنا لذكرها، فللعولمة جانب سيء بدأت تظهر سيئاته في حياة البشرية، رغم ان العولمة لم يمكّن لها في العالم تماماً، وان أمريكا لاتزال منهمكة في بسط نفوذها على العالم أجمع، وانتم تعلمون ان العولمة على كل حال لم تصل الى اهدافها جميعاً، ولكن المراحل التي قطعتها لحد الآن تمخَّضت عن آثار شديدة الخطورة، منها:

أولاً: اذا القينا نظرة على العالم من الناحية السياسية، ماذا نرى؟ من البديهيات ان كل شعب يجب أن يعيش في وطنه مستقلاً لا يظلمه أحد، ومعلوم إن حب الوطن مسألة فطرية مغروزة في أعماق الإنسان، بل حتى الحيوانات والطيور تجد هذا الشعور و تدافع عن أماكنها وأعشاشها، لكنه في ظل العولمة يراد ألاّ يبقى لدولة إستقلالها، ومن الناحية السياسية نلاحظ إن أمريكا ومن معها لا تتقبل بحال من الأحوال ان تأبى دولة تدخلها في شؤونها، وأي دولة لا تبادر في الإنقياد لهيمنة أمريكا وسطوتها، فسرعان ما تجد نفسها و قد فرض عليها الحصار بذريعة من الذرائع، وضغوطات عديدة أخرى، و هذا ثمن كلمة «كلاّ» إذا صدرت من أية دولة! ولا شك إن هذه الحالة السياسية تجسدت في أبرز صورها في تصريح الرئيس الأمريكي (جورج W بوش) الذي قال فيه: (كل من ليس معنا فهو ضدنا!) وبوش وإن كان قال هذا الكلام في معرض حديثه عن (الإرهاب) الا انه يعتبر مبدأً عاماً تتعامل به أمريكا مع الدول، وهي لاشك سياسة فرعونية بحتة، وإستبداد مابعده إستبداد، وعلى من يعتبر نفسه حراً أُبيّاً ألاّ يَرْضَخ لهذه المقولة المُجْحِفة والإنقياد لسياسات أمريكا وتصوراتها العوجاء، فنحن علينا قبل كل شيء ان نسأل أمريكا والغرب: ما هو تعريف الإرهاب من فضلكم؟ لأن الإرهاب اذا كان عبارة عن فرض الأفكار على الآخرين بالقوة، أو فرض الدولة نفسها على الشعب وإرعابهم وإرهابهم، فكلّنا يرفض هذا، واما إذا كان الإرهاب عبارة عن كل من يقف بوجه السياسة الأمريكية أو الغربية أو اليهود، أو كل من قال لسياسة العولمة والعالم الرأسمالي،كلاّ!

فهذه تهمة بلهاء، وباطل لا يستسيغه ولا يُسلِّم به أحد، و نحن نقول: استناداً الى التصريح الذي أدلى به (بوش) فالألوان محصورة في الأبيض والأسود، وهذا متعارض أشد التعارض مع الحكمة التي خلق الله من أجلها البشرية، وسنتكلم عن هذا لاحقاً، فشريعة الله تعالى تَقِرُّ بكل الألوان والأطياف واللغات، ولكن العولمة ترمي الى صبغ الناس بصبغة واحدة، وهي الصبغة التي تستحسنها هي، و يجب زوال ما خلاها، اذن فهي حتى لا تقر باللونين ايضاً، وانما تعترف مقدماً باللون الآخر تمهيداً لتصفيته بذريعة من الذرائع التي تختلق بها، وو فق هذه السياسة فأن الدنيا قاطبة يجب أن تتلون بلون واحد، وهذا متناقض مع طبيعة الشعوب، والحكمة التي من أجلها خلق الإنسان، وهي كون الإنسان يُمتحن في هذه الدنيا، وإن الله جلت حكمته قد قسم الناس الى الشعوب والقبائل، والحقيقة إن موقف أمريكا زعيم النظام العالمي الجديد هو ذاته موقف فرعون يتكرر بعد مرور أكثرمن أربعة آلاف عام، فقد قال فرعون كما نقل عنه القرآن الكريم: ﴿**مَا أُرِيكُمْ إِلاّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاّ سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾ (غافر-29).

والغريب إن العلمانيين يتهمون الإسلاميين بأنّهم يقولون إن الحق حِكْرٌ عليهم ومحصور فيهم، ولكن كلاّ فنحن لن نقول هذا، بل نقول الحق فيما يقوله الله تعالى ورسوله ﷺ ، وما من إسلامي يقول: أنا كإنسان كل ما أقوله هو الحق بعينه، لماذا؟: فقد لا أكون آخذاً بكل ما أمر الله تعالى به، أو لا أفهمه فهماً صحيحاً أو أكون مخطئاً بسبب كوني إنساناً، او أخالف الدين في شيء ما ولا أمتثل هديه، لهذا فنحن نقول: الحق ما يقوله الله ورسوله، ولا نقول بحال من الأحوال: الحق

ما نقوله نحن، وإن الله سبحانه قد اعلن بصراحة إن الحق ليس محصوراً في أحد، حتى في الأنبياء عليهم السلام، وإن كانوا أ صحاب ع قول وأفهام متكاملة، ولكنهم أيضاً معرضون للخطأ في الأمور الإجتهاد ية الا إنّهم لا يُقَرّون على الخطأ، وَنستشهد هنا بحديث للنـ ـبّـي ﷺ في (صحيح مسلم) فقد ورد أنّ النبّـي ﷺ رأي ذات يوم بعض أصحابه يؤبِّرون النخل، فقال لهم: لماذا تفعلون هذا، قالوا حتى تث ـمر، ف قال النبّـي ﷺ: ما أحسب إثمارها واقفاً على تأبيرها، فترك الناس التأبير، وعندما حل وقت الثمر لم تثمر النخيل بسبب عدم تأبير ها، ف جاء الأصحاب وأخبروا النبّـي ﷺ عن ذلك، فقال ﷺ ما مع ـناه: إذا أخبرتكم الخبر عن الله فخذو عني، وإن اخبرتكم عن شيء يخص دنياكم (فأنتم أعلم بأمور دنياكم)، نعم فكل ما يرد من الله تعالى فهو الحق المطلق، وكل مايرد عن البشر وإن كان نبّـياً ﷺ، ففيه نظر،ما لم يكن وحياً أوحي اليه من الله تعالى لانه يحت ـمل كلا الإحت ـمالين، ولكن الأنبياء لا يُقَروّن على خطأ بل تصحَّح لهم أخطاؤهم. والخلاصة إن أمريكا بعولمتها خلقت ظروفاً سيئة جداً، وهي ماضية في سيرها نحو الأسوء، وواضح إن أمريكا والنظام العالمي الجديد تنفذان تحركاتهـ ـما السياسة تحت مظلة الأمم المتحدة ومجلس الامن وما شابه ذ ـلك من المؤسسات الدولية، فنسأل الله العافية.

ثانيــاً: وأما من الناحية الاقتصادية فإن أمريكا وباقي الدول التي ت ـتزعَّم النظام العالمي الجديد، ينفذون أعمالهم ومشاريعهم القذرة عن طر ـيق المصرف الدولي والـ ـشركات ذات الجنـ ـسيات المتـ ـعددة، والتـ ـجارة العالمية..الخ، ولهذا تفاصيله وقضاياه الدقيقة، وانا لست مختصاً في هذا

الموضوع، ولكنَّني على كل حال على إلمام بالموضوع، ولات حين تفصيل عن رغبة النظام الرأسمالي والعولمة في وضع الناس في سباق مع تلك الشركات، كما قال رئيس الوزراء الماليزي (مهاتير محمد): النظام العالمي الجديد يريد من الشعوب الضعيفة والدول النامية، أن تبرز الى ميدان الصراع الاقتصادي والتجاري ليتمكن العالم الرأسمالي في النتيجة بالأخذ بزمام العولمة بامكاناتهم الهائلة والمروعة، والدول النامية بإمكاناتها البسيطة التي يصفها (مهاتير محمد) بمصارِعَيْنِ أحدهما من وزن (150) كغم والآخر من وزن (60–70) كغم، والنتيجة وفق هذا المثال واضحة لا تحتاج الى تعليق.

ونحن جميعاً رأينا كيف إنهار الإقتصاد النامي للدول التي تعرف بنمورآسيا[1]، في أعقاب الصراع الخادع الذي خططت لَهُ الدول الغربية الكبرى.

ومن الآثار السيئة للنظام العالمي الجديد، أنَّهم إذا غضبوا من دولة بسبب من الأسباب، يقومون بفرض الحصار الاقتصادي عليها، بمعنى أنّهم في سبيل تأديب تلك الدول ومعاقبتها يقومون بأماتة شعوبها من الجوع!! والمثال على ذلك النوع من التحديات الغربية والأمريكية المعاصرة ذات الآثار المشؤومة ما حدث ويحدث في العراق وايران والسودان وليبيا.

ومن الآثار المأساوية الأخرى للعولمة والفلسفة الرأسمالية ما كان في التجارة المجردة من كل دين او قيم او خلق، فهم ينظرون الى أي شيء

---

(1) وهي : (التايلند، والفلبيين، و كوريا الجنوبية، و تايوان، و أندونوسـيا، و ماليزيا، واليابان)، أنظر (في مواجهة العولمة) ص (125)، زكريا بشـير إمام.

يعود بمنفعة وَأموال كثيرة تملأ جيوبهم وتكون رائجة في السوق، فيعمدون الى انتاج تلك البضائع وَالأشياء، حتى وإن كانت تلك البضائع لا نفع فيها للشعوب أو عادت عليهم بالاضرار الوخيمة.

لماذا كل هذا؟ لأن الفلسفة الرأسمالية والعلمانية والتي خرجت العولمة من أحضانها، قد بُنـيَ على أساس عدم الإعتبار لله واليوم الآخر والضمير،وإعتبار الحياة مادة بحتة و الإنسان حيواناً بهيماً!

لهذا فنحن نرى في اجهزة اعلامهم كمّاً هائلاً من الأفلام الخليعة والماجنة والبرامج القذرة التي لا تخدم البشرية بأيّ مقياس من المقاييس.

لماذا يروَّج لهذه الأفلام والبرامج كل هذا الترويج؟ لأنها تأتي بأموال لا عَدَّ لها ولا حصر، ولا يهم بعد ذلك أن تنهار الأخلاق وتنفصم أواصر الأسرة وتنقطع!

ومن آثار الرأسمالية الخطيرة تحت ظل النظام العالمي الجديد، أنَّ الهَوَّة باتت تتسع بين الأثرياء والفقراء، وهناك احصائيات غريبة بهذا الصدد فمثلاً: أورد (روجيه غارودي) في كتابه الذي ترجم من الفرنسية الى العربية بعنوان (نحو حرب دينية) قائلاً: في السنوات الثلاث الأخيرة، بلغ الفارق بين دخل الفرد في الدول الغنية والفقيرة الى (1/150) أي الدول التي تسمى الآن بالشمالية والجنوبية أي اذا كان المواطن العربى يصل دخله شهرياً في الماضي الى دولار واحد والمواطن الأوربي والغربي الى (30) دولاراً، فإن هذه النسبة إرتفعت الآن الى واحد مقابل مائة وخمسين، وهذه الإحصائية تعود الى سنة (1996) ومن المؤكد إنها إرتفعت الآن أضعاف ذلك.

ويقول روجيه غارودي أيضاً يموت على مستوى العالم سنوياً (15.5) مليون طفل بسبب الجوع والأمراض الناجمة عن سوء التغذية، وبالطبع فان هذا العدد كله من العالم الإسلامي والدول الأفريقية والآسيوية.

ويقول أيضاً: ان موارد العالم لو قسمت الى (100) وحدة لكانت (83٪) منها في الغربيين الذين يشكِّلون (20٪) من سكان العالم والباقي لغيرهم الذين يشكِّلون (80٪) من سكان العالم، إذاً: فإن هناك فارقاً ضخماً وعظيماً.

ويقول أيضاً: يموت (400,000) شخص يومياً من الجوع وسوء التغذية وفق إحصائية سنة (1996).

ثالثــاً: ولو نظرنا الى آثار العولمة من الناحية الإجتماعية وخصوصاً في مجال الأسرة، لرأينا ما تشيب لها نواصي الأطفال وخصوصاً من الناحية الجنسية وتفكك العائلة وإنتشار العهر والإباحية، فمثلاً: الأمم المتحدة التي تُعَدُّ آلة بيد أمريكا والنظام العالمي الجديد، عقدت لحد هذا اليوم سبعة مؤتمرات حول النساء، ولكن عن أي شيء؟

لاشك لم تكن حول المشاكل التي تعاني منها النساء، لم تكن عن مجاعتهن في بعض البلدان، ولا عن عدم مقدرتهن على إرضاع أولادهنَّ، ولاعن عجزهن في تربية أولادهن، كلاّ لم تخصص لأي من هذه المشاكل، بل إن مؤتمرات الأمم المتحدة السبعة التي عقدت منذ عام (1950) والذي أرادوا عقد المؤتمر الاول في القاهرة فرفضت مصر ذلك وعقد في مكان آخر، والمؤتمر الثاني عقد في (المكسيك) عام (1975) والثالث عقد في بيروت عام (1985) والرابع عقد في

القاهرة عام (1994)، وعقد الخامس في (بكين) عام (1995)، والسادس في (أسطنبول) عام (1996) والمؤتمر السابع عقد في (نيويورك) عام (2000).

ولكن ما هي الأهداف التي إجتمع المؤتمرون من أجلها في تلك المؤتمرات؟ كان من أجل أن تُقِرّ الدول المشـاركة في تلك المؤتمرات بما يـــأتي:

اولاً: يحق للفتاة أنْ تَلِدَ دون زواجٍ، وليس لأحد أن يعاقبها! بل على الدولة أن تعيل لها طفلها ايضاً!!

ثانياً: يحق للرجل أن يكوّن أسرةً بالزواج من رجل مثله، وتَحِقَّ للمرأة ان تعاشر إمرأة مثلها!

ثالثاً: يحق للإنسان أن يغيّر جنسه، الرجل بإمكانه أن يتحول الى إمرأةٍ بواسطة العمليات الجراحية، والمرأة أيضاً يحق لها التحول الى رجل بعملية جراحية، وكانت لتلك المؤتمرات أهداف أخرى من هذا القبيل.

وماذا كان دور العولمة من أجل إنجاح هذه القرارات؟ لقد تعَّهدت بمساعدة الدول التي تؤيد مثل هذه الأمور، وتغير قوانينها ودساتيرها بموجب ذلك، عن طريق المصرف الدولي وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة العالمية، أما الدول التي لا تعمل على تحقيق مثل تلك الاهداف، فلا تحظى بأية مساعدة من النظام العالمي الجديد بل على العكس، تتعرض للعقوبات المختلفة وقد تعمق هذا المعنى خصوصاً بعد سنة (2000) فقد أزالوا كل الحواجز والأستار وباتوا يعلنونها سافرة وبتصميم وعزم لايلين، ان يَجْبروا دول العالم على إصدار القوانين بهذا الشأن، وقد يكون هناك من يتعجب من الناس في الغرب وهم

يخرجون في مظاهرات حاشدة مُندَدِّين بالعولمة، هل أصيب هؤلاء في عقولهم حتى يناوئوا العولمة وهم يعيشون في حياة رغيدة في أوروبا، ولكن الحقيقة ان هؤلاء ليسوا بالمجانين، بل هم على علمٍ بما يقومون به، فلا زالت هناك بقية لها ضمير وخُلقٌ وشَهامة، يعرفون خفايا العولمة وما تنطوي عليه، فمثلاً:

يعلن في برلمان دولة اوروبية، ان الرجل يحق له الزواج من رجل مثله، والمرأة يحق لها الزواج من امرأة مثلها، وان الفتاة من حقها أنْ تَلِدَ قبل الزواج، والدولة ملزمة بإعالة مثل هؤلاء الأطفال، وانه لا يحق لأحد أن يعترض طريق الطالبات إذا حَمَلْن في المدارس، لهذا فقد إرتفعت نسبة المواليد التي لا تعرف لهم آباء الى (75٪)، نعم بسبب هذه الطوام يتظاهر الناس معلنين رفضهم للعولمة، و هؤلاء ليسوا مسلمين يقومون بما يقومون به بدافع الإسلام والإيمان، كلا، بل إن ما يشجعهم لمعارضة العولمة هي فطرتهم وعقولهم وتجاربهم وبعد نظرهم، فهم ينظرون الى أحوالهم التي تتجه نحو المجهول! والمآل المخيف، وكيف لايكون مخيفاً والمشرعون يصوتون لصالح قرار يبيح زواج الرجال بالرجال والنساء بالنساء، أليس بهذا الصنيع سينقطع نسل الإنسان على وجه الأرض، والحق إن العولمة من الناحية الأجتماعية والتراثية والثقافية والأخلاقية إحتوت على آثار شديدة الخطوراة، فالموديلات الغربية و الفاضحة من ملابس النساء، ووسائل التجميل المتعدِّدة، او انواع الألبسة الأخرى من الموديلات المتلاحقة في إثر بعضها التي تُنْتِجُها المعامل والشركات والتي لاتتدارك النساءُ اللِّحاقَ بها، ثم تشجيع الناس لأختيار النساء اللواتى يقال عنهن (مَلِكات الجَمال)

والتي تقام الحفلات السنوية والمهرجانات الكبيرة ذات المصاريف الباهظة، لماذا كل ذلك؟ حتى يتسابق الناس في هذا الميدان ويبالغ النساء في إظهار زينتهن وَأجسادهن بالمقاييس التي تحدِّدها العولمة ووفق المُخطّطات التي تحيكها الأيادي الخفية من المعامل والشركات وأكثر هؤلاء من اليهود واصحاب رؤوس الأموال الضخمة الذين يريدون ان يتخذوا النساء عرائس من الشمع، والمرأة المسكينة عليها ان تَتلوَّن وتتبدَّل كل مرة بشكل من الأشكال لأن (الموديل) تغير، وعليها ان تلبس اللباس الفلاني، بل العلاني، لماذا؟

لأن ذلك الموديل تغير هو الآخر، وهكذا تقتضي مطاوعة الموديلات مصاريف ضخمة، ثم ما يُسْفِرُ عنه ذلك من تحطيم شخصية المرأة اذ عليها ان تتحرّى ما من شأنه ان يثير انتباه الرجال لتقوم به، وقد يكون تجميلها لنفسها أحياناً مخالفاً للطبيعة التي فطرت عليها، لأن التجميل لا يكون طبيعياً إلاّ اذا كان إمتداداً للجمال الطبيعى، فمثلاً اذا صبغت المرأة اظافرها بالحمرة او شفاهها بالحمرة أو قامت بأشياء من هذا القبيل فهذا فيه وجهة نظر، ولكنها اذا صبغت أظافرها بالسواد او أطالتها كثيراً أو وضعت خلفية زرقاء لعينها، فهذا مخالف للفطرة والجمال الذي يهبه الله للمرأة.

رابعـــاً: أما من الناحية الفكرية والثقافية فان العولمة ترمي الى ممارسة إستبداد فكري يفرضه على العالم أجمع، فالعولمة تتبنَّى تصورات و توجهات معينة، والذي يعارض تلك التصورات يكون عُرْضَةً للعقوبات المتنوِّعة! إذاً: فأنت عليك ان تتقبل التعريف الذي تقدمه أمريكا للإرهاب وإلاّ تعرَّضت للعقوبة والعراقيل، وعليك أن تتقبل أيضاً إن

إمتلاك إسرائيل للأسلحة الذرية وقيامها بالقتل الجماعي للفلسطينيين أمر مشروع لا غُبار عليه، أما إمتلاك باكستان أو غيرها لمثل تلك الأسلحة فأمر خطير وَمحظور، لماذا؟ لأنَّ إسرائيل تدور في فلك المصالح الأمريكية، ولا يجوز لدولة مسلمة تُشَكِّل خطراً على إسرائيل ودول الغرب أن تمتلك شيئاً من الأسلحة النووية فأنت إذا كنت لا تريد أن تكون مشمولاً بالغَضَب الأمريكي والعولمة، إذاً عليك أن تَبْصِمَ بأصابعك العشرة مؤيداً لكل باطل وتحاول إقناع نفسك بذلك و إلاّ فعليك أن تنتظر المعاناة والعقوبات وَالحصار الإقتصادي، فمثلاً من ضمن المسائل التي تبنّاها الغرب وأمريكا كنظرية واقتناع و هي من المسائل السائدة في أوروبا أن (هتلر) أقدم في الحرب العالمية الثانية على قتل وحرق (6) ملايين يهودي في غرف الغاز؟! واليوم توصل المؤرخون الأوربيون بعد البحث والتحقيق ان كل تلك كانت دعاية قامت بنشرها اليهود أنفسهم لكسب عاطفة العالم نحوهم وإظهار أنفسهم كمظلومين تمهيداً لتأييد الناس لهم في إحتلال دولة يجعلونها لهم وطناً، مما حدا بهم آخر الأمر الى إحتلال فلسطين فعلاً.

ويقول بعض المؤرخين والمفكرين والفلاسفة الفرنسين والانگليز، انهم تبيّن لهم بعد البحث والتحقيق ان ذلك إدّعاء لا أصل له...

ومن هؤلاء (بول راسينيه) وهو رجل فرنسي كتب في سنة (1950) كتاباً ترجم الى العربية تحت عنوان (أُكذوبة أوَ ليس؟) وقد حوكم المؤلف بسبب كتابه هذا ثلاث مرات، ولكن لم يثبت عليه شيء في النتيجة يُدينه، فلقد كان منطقياً إستدلَّ بأدلة صحيحة، ولكن اليهود استطاعوا على كل حال أن يمارسوا ضغطاً على فرنسا واستصدروا بها قانوناً يمنع بموجبه كل

مَنْ يُثير الشكوك حول محرقة (هتلر) لليهود، ومن فعل ذلك يستحق المحاكمة بتلك التهمة، وهذا القانون معمول به حالياً في فرنسا، ولذلك فعندما كتب (روجيه غارودي) كتابه الذي ترجم الى الفرنسية تحت عنوان (الأساطير المؤسِّسة للدولة الأسرائيلية) حيث يتحدثُ انه في كتابه هذا عن المزاعم التي مفادها ان النازيين قتلوا في الحرب العالمية الثانية (6) ستة ملايين يهودي، ويصف تلك المزاعم بأنها أكاذيب ولم يقتل من اليهود أكثر من مائة ألف، وقد حُوكم (غارودي) من أجل كتابه هذا، وأجبر على دفع غرامة باهظة، ومن هؤلاء أيضاً (ديفد إيرفينيج) وهو مؤرخ بريطاني مهم، والذي أجرى معه (أحمد منصور) لقاءً في برنامج (بلا حدود) بثته قناة الجزيرة الفضائية في (2000/5/11)، ونشر (أحمد منصور) عنه ايضاً مقالة في جريدة (الشرق) القطرية بعنوان (من يجرؤ على الكلام) فالفيلسوف البريطاني يقول: انني لست مطمئناً على نفسي حتى الآن، لأن اليهود يهدِّدونني على الدوام، والحصار مفروض عليّ حتى في داخل بلدي ولا أحد يسمعني او ينشر لي شيئاً، لماذا؟ لأنني قلت: ان اليهود الذين قتلوا في الحرب العالمية الثانية هم قرابة مائة الف ولا يبلغون الستة ملايين، كما يدّعي اليهود!

وفي ختـام حديثـنا عن العولـمة أودُّ أنْ أعلــن حقيقتيــن:

الحقيقة الأولى: ان مهارة القائمين على النظام العالمي الجديد، حقيقة يجب علينا نحن المسلمين ان نعترف بها كأمر واقع و ننكرها، فالذين يتزعمون العولمة أناس ماهرون وحاذقون، ولهم المقدرة المالية والعلمية والتخطيطية والمخابراتية والإعلامية، والأسلحة المتنوعة بما في ذلك أسلحة الدمار الشامل، والخلاصة انهم متمكنون من كثير من الجوانب،

هذه حقيقة، ولكن دعونا لا نتصور أن هذا يخالف سنن الله وقوانينه، بل هو موافق لسنن الله تعالى لانه تعالى يقول: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى**﴾ (النجم – 39).

فالغربيون بذلوا ما في وسعهم وطاقتهم وبلغوا الجهد من أنفسهم وتجشموا سهر الليالي ومكابدة المصاعب، واقتحموا في أحيان كثيرة، مواقع المغامرات ومواطن المجازفات، ام تحسبون ان أمريكا وصلت الى ما وصلت اليه اليوم دون عناء! كلاّ، فقد أبادوا أمةً بأكملها، و هم الهنود الحمر قبل أن تقوم لدولة لأمريكا قائِمةٌ، ومعلوم إنني لا أؤيد عملهم، ولكنني أقصد إنهم بذلوا الجهد والوسع، وقدّموا التضحيات بغض النظر عن كون عملهم حلالاً أم حراماً، حسناً أم سيئاً، والحق إن أمريكا كان جُلُّ كفاحها في جانب الشر والطغيان، ولكنهم على كل حال صرفوا جهداً فقطفوا ثماره، والله جلت قدرته يقول: ﴿**وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ**﴾ (الشعراء –183)، ومن الخطأ أن نبادر من هنا بالقول بأن أمريكا لا شيء، والغرب كذلك ليس لهم شيء ينفع البتة، لا فلهم أشياء نافعة كثيرة، وهم ذوو سلطة وقوة بحق، وهم ماهرون، خبراء، مُضَحّون، متجرِّدون،جديون،...الخ.

فلا شك إن عندهم إيجابيات كثيرة بإمكاننا أن نستفيد منها، كما يقول (هانينتگتون): ان العالم الإسلامي وشرق آسيا يستفيدون مما عندنا من التكنولوجيا دون أن يدينوا بالمنهج الذي ننتهجه، وهو يتحسَّر على ذلك قائلاً، إن هذا سيء للغاية، وعلينا ان نقمعهم قبل أن يستفيدوا من تلك التقنية والإمتيازات التي عندنا!

لانه يقول إذا تمكَّن هؤلاء من حيازة ما عندنا من الأسلحة والتقنـية والإمتيازات فسوف لن نقوى عليهم.

الحقيقة الثانيــة: التي أود قولها عن العولمة، هي إن هذا النظام العالمي الجديد منتصب على ثلاثة أسس مشؤومة وهي: المال، والسلطة، والإعلام، وهي بالتعبير القرآني: (المال، القوة، الخداع) و للدكتور (علي شريعتي) كلام حسن حول المدنية الغربية، فهو يقول: ان المدنية الغربية قد أسِّست على أسس ثلاثة وهي: (الأموال، والقوة، والخداع) ونحن إذا تأملنا الـتأريخ يتبـيِّن لنا جلياً ما هو النظام الذي إستفاد من هذه الأسس المشؤومة؟ لا شك إن الأنظمة الطاغوتية هي وحدها المنتفعة منها، لأن تلك الأنظـمة المستبدة تُجيعُ الناس بواسطة أموالها، وتُخيفهم وتُرْهِبُم بواسطة قوَّتِـها وجبروتها، و تَخْدَعهم عن طريق أساليبها المضِلّلة وَ الخادعة.

تأمل الدور الذي يلعبه الإعلام في خداع الناس وخلط الحق بالباطل عليهم، تأمل كيف يمارس النظام العالمي الجديد الإرهاب على الناس!! قلة هم الذين يستطيعون أن يقولوا إن الشيء الفلاني في العولمة غير مُجْدٍ، وأن تكون لديهم إستدراكات كان على بعض البنود في الديمقراطية، بل إن الكثيرين حـتى لا يجرئون أن يقولوا يا أمريكا من فضلكِ قدّمي لنا تعريـفاً للإر هـاب الّـذي تُحاربينه و تقفين بوجهه ما هو؟ فإن كان سيئاً وقفنا معكِ ضِدَّه، ولكن إنْ كان قصدك من الإرهاب هو الدفاع عن النفس من المظلومين! فلماذا تُريدينا أن نتبعك على عماية من أمرنا وأنْ نَنْعَقَ بما لا نسمع الا دعاءً وَنداءً؟!

والقرآن قد أشار الى النظام الذي يستند الى تلك الأسس الثلاثة نـظام سوء مستبد ومسرف، يقول تعالى: ﴿**وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأرض وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ**﴾ (العنكبوت-39).

فهذه الآية كما ترى تتحدث عن قارون وكان صاحب ثروة وأموال، وتتحدث عن فرعون وهو سياسي مُتَسلِّط، وبعد ذلك أتَتْ الى ذكر هامان الّذي كان وزيراً لفرعون ويقف وراءَ القوة الإعلامية، و هؤلاء كانوا يضطهدون الشعب المصري عموماً وبني إسرائيل خصوصاً، والذي أُرسل موسى اليهم لتخليصهم، ولاشك بأن مثل تلك الأنظمة التي تحصر همها في جمع الأموال دون الاهتمام بالحل والحرمة،وحيازة السلطة دون الأعتبار لرضا الناس وسخطهم، والحصول على أكبر قدر ممكن من الوسائل المموِّهة والخادعة للناس، إن تلك الأنظمة في الواقع لا تأتي للشعب الاّ بالمآسي وَتذويقه المرّ والعلقم، وهي من حيث المضمون تكرار لنفس النظام الفرعوني الّذي يَذُقُهُ كتاب الله الحكيم في أكثر من موضع، وإن تغيَّرت أسماؤها وَعناوينها!.

الفصل الثاني

عالميّة الإسلام

تمهـيـد

نحن وانْ كنا قد خصَّصْنا المساحة الأكبر لهذه المحاضرة للعولمة، لكن من واجبنا ولو اختصاراً ان نُعَرِّج الى ذكر عالمية الإسلام أيضاً، وقد أسلفنا فيما مضى من السطور ان العولمة او النظام العالمي الجديد عبارة عن احتلال العالم ووضعه تحت السيطرة المفروضة من قبل ذلك النظام، ولكن هل يتوافق هذه المبادئ مع الإسلام أم لا؟ ابتداءً اقول بإختصار شديد:

إن الإسلام يؤمن بالتعامل مع الدنيا على حقيقتها، دون تغيير او إحداث إضطراب، يتعامل مع الناس على ماهم عليه، بالدعوة والإقناع والإفهام ومحاولة التغيير من الداخل، ولكن كيف يتم ذلك:

الأساس الأول ان الكون في المنظور الإسلامي لم يخلق من دون الله تعالى، ولا يمكن ان يدوم او تدار أموره من غير الله جلت قدرته، والإنسان جزء من هذا الكون وهذه الموجودات، وهو بالتالي كما كان مفتقراً الى الله في وجوده فأنه مفتقر اليه في حياته ومعاشه أيضاً، لذلك ارسل الله إليه الوحي لهدايته، ولهذا عندما سأل فرعون موسى: وكان هذا الطاغية يعتبر نفسه الهاً ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى؟﴾ قال له موسى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ (طه –50) أي إن الله تعالى خلقه وأرسل له منهاجاً يدير على هديه حياته، واذاً فأنت يا فرعون لم تَخْلُقنْا ولا يحق لك بالتالي أن تضع لنا منهجاً ودستوراً لحياتنا، لأن من حق الخالق وحده وفي مكنته أن يحدِّد لمخلوقاته من شمس وقمر وكواكب ونجوم، و ذرات قوانين تسير عليها، و

كذلك هو وحده الذي يحق له ويمكنه وضع منهاج لحياة الإنسان ، ثم ان رسالات الله التي ارسلها لهداية الإنسان وتنظيم حياته، نزلت بما يناسب كل بيئة ومرحلة تأريخية، وبما يناسب حياة الإنسان، فعندما كانت البشرية تعيش حياة بسيطة كان المنهاج المرسل اليها بسيطاً ومع تعقّد الحياة وتطورها شيئاً فشيئاً، أصبحت الرسالات اكثر تفصيلاً ودقة، وعندما ختم الإسلام الشرائع، كانت شريعته رسالة موجهة الى الإنسانية جمعاء، وهنا تحق الإشارة الى أكذوبة شنعاء اقترفها المستشرقون وهي ان محمداً ﷺ عندما كان في مكة لم يكن يخاطب الاّ قومه وعشيرته وانه جاء لهدايتهم فقط، ولكن كما يزعمون عندما حصل على القوة والسلطة في المدينة بدأ يتحدث عن عالمية رسالته، وقد توغلوا في الإفتراء بمقولتهم البلهاء هذه، لأن أكثرية الآيات التي تتحدث عن عالمية الإسلام هي آيات مكية نزلت في زمن استضعاف المسلمين، ومن تلك الآيات قوله تعالى ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾ (سبأ- 28) وقوله تعالى في سورة الأنبياء، الآية 107: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾، ومعلوم ان الأنبياء (عليهم السلام) كل قد بعث لمجتمع محدد ومرحلة محددة، كما يقول عز من قائل: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾ (المائدة- 48)، ولكن الله جلت حكمته المحيط علماً بأن البشرية ستصل الى مرحلة تتمكن فيها بواسطة التطور التقني والفكري أن يبني مجتمعاً موحّداً على الأرض، وأن تقارب بين البلاد المتباعدة وتربطها مع بعضها كقرية كما يقولون- عندما كان كل هذا في علم الله تعالى أرسل شريعة الى الإنسانية تلائمها، ونحن لو تأملنا الشرائع الأُخرى لوجدناها خصصت باقوام بعينهم، فهذا هود وصالح وشعيب ولوط وموسى وعيسى.. الخ (عليهم الصلاة والسلام)، رددوا مراراً وتكراراً (يا قومي)، كل منهم لم

يخاطبْ الاّ قومه الذي أرسل اليهم، ولكن النبّـي الخاتم ﷺ ، كونه أر سِل بآخر رسالة إلهية للبشرية التائهة فإنه خاطبهم قاطبة عن بكرة ابيهم فـ قِال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي﴾ (الأعراف –158).

والآن، دعونا نتعرف الى الأسس والاعمدة ا لِتي ت سِتند علي هِا عالم يِة الإسلام، فنحن لو تأملنا الآية الثالثة عشرة من سورة (الحجرات) لوجدناها تضمنت جميع تلك الأسس، يقول تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْ قَاكُمْ﴾ (الحجرات 13) ، ولْنَعُدْ على ضوء الاية تلك الأسس:

الأســـاس الأول:

ان الله تبارك وتعالى يخاطب البشرية بأسرها: ﴿يا أيها الناس﴾ يخاطبهم جميعاً دون اختلاف (انا خلقناكم) فكلّهم خلقهم الله ت عِالى وأ بِدعهم مِن العدم، ثم هل أجناسهم وطبائعهم واحدة، أم هي مختلفة عن بع ضِها، ك مِا تقول النظريات والأنظمة الجاهلية بما فيها النظام العالمي الجديد!

الأســاس الثــاني :

(من ذكر وأنثى) كلهم خلقوا دون امتياز او اختلاف مِن ذ كِر وانثى، فهم أولاد اب واحد وام واحدة، وليس صحيحاً ما يدعيه (افلاطون) في كتابه (جمهورية أفلاطون) ان الم لِوك كا لِذهب، والفلا سِفة كالف ضِة، والأبطال والعسكريون كالحديد، والآخرون مَعْدِنُهُم كالخزف، فِالله ت عِالى يقول: كلكم من اصل واحد، وام و أب واحد، ثم من الذي قسّم الإنسانية الى شعوب وقبائل مختلفة ومتباينة!؟

الأســاس الثــالـث :

(وجعلناكم شعوباً وقبائل) اذاً فأرادة الله هي التي قضت أن أ كون أ نا كردياً وذلك عربياً والآخر تركياً وه لم جرّاً، هذه إرادة الله الحكي مة ومشيئته، ولذلك فالذي يريد ان يظلم شعباً او قبيلة تحت أية ذريعة او مبرر ويريد ان يضطهدهم ويقضي على ثقافتهم وتراثهم، ويحتل بلادهم ويأ كل خيراتهم، فان هذا في المن ظور الإ سلامي خالف إرادة الله و شريعة الإسلام، لان إرادة الله قضت ان تتوزّع البشرية الى شعوب وقبائل و ليس الى عدة شعب واحد فقط، ثم ما هي الحكمة من ذلك التقسيم؟!

الأســاس الرابــع :

(لتعارفوا) حتى تتعارف تلك الشعوب والقبائل فيما بينها، و ليس ك ما يقول (فوكوياما): (لا بد ان ينصهر الناس جميعاً في الحضارة الغرب ية) او على الأصح ان ينصروا في الحضارة الأمريكية أو كما يقول (هانيتگۆن): (يجب ان يقمع الناس وان يذوبوا تحت وطأة الحضارة وفي ظل الرأسمالية، ولا يحق لاي فرد أو شعب ان يكون صاحب وجود مستقل؟!)

ولكن الإسلام يقول: (لتعارفوا) أي ان الإسلام يقبل الأقوام كما هي، ولكنه يقول: تعالوا وتعارفوا فيما بينكم، ولذلك يلاحظ عبر التاريخ الإسلامي لم يفكر حاكم من حكامه يوماً طالما كان ملتزماً بالإسلام ولو في حدّه الأدنى، أن يقوم بأبادة قوم من الأقوام، أو بصهرهم والقضاء على هويتهم القوم ية وتراثهم، ان احداً في الإسلام لم يُقدِم حتى على التفكير بمثل هذا الع مل، لماذا؟ لانهم أحاطوا علماً إن إرادة الله قضت أن يكون لتلك الأقوام وجودهم، كباقة من الورود، أو حديقة فيها الأزاهير من أنواع مختل فة، لا أن ت كون جميعها لوناً واحدًا، ثم ما هو المقياس والميزان الذي يوزن به الإنسان؟

الأســاس الخــامس :

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ فكلما كان الإنسان متقياً كان ا كرم عند الله، ثم تأملوا قوله تعالى، يقول ان الأكرم عند الله – وليس كما يبدو في الدنيا هو الاكرم، حتى لايقول احد إنني كذا وكذا، نعم نحن مقتنعون ان المسلم يدخل الجنة والكافر يدخل النار، ولكن لايجوز ان تجعل من كونك مسلماً انك اكثر احتراماً من غيرك، لماذا؟ لان الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الاسراء–70).

فالإنسان من جهة انسانيته محترم بغض النظر عن دينه. ويجب عليك ان تحترمه، ورد في صحيح مسلم، ان النبّي ﷺ كان جالساً في مكان فمرت به جنازة يهودي، فقام النبـي ﷺ لها، فقالوا: يا رسول الله انه يهودي، فقال النبـي ﷺ: (أو ليست نفساً؟!).

اذاً حتى اليهودي مادام انساناً فانا احترمه ميتاً او حياً، لأن الله تعالى هو الذي جعل له هذه الحرمة وهذا يخص التعامل الدنيوي، اما احترام الاخرة ودرجتها فمرتبطة بالتقوى، والتقوى يمكن للجميع التحلِّي بها لأنها ليست متعلقة بالذكورة والانوثة، ولا بالفقر والغنى، ولا بالثقافة والأمّية، ليس متعلقاً أبداً بشيء يستعصي على الإنسان اكتسابه من جنس و لون ولغة وأصل... والخ. فبإمكان الجميع ان يكونوا متقين، إن الإسلام دين إلهي لجميع البشرية ويريد ان يكون مظلّة تستظل بظله الإنسانية ولكنه بخلاف الأنظمة الجاهلية والطاغوتية لم يأتي ليجعل بعض الناس خدماً لبعضهم، وأن يسحق بعضهم تحت أقدام بعض، ولم يأت لينظر الى الناس كمعمل او شركة، يحصر همه في زيادة انتاجهم، ولذلك ففي الفتوحات الإسلامية

على خلاف تصور البعض عندما كان المسلمون يحررون بلداً ويو صِلون اليه نور الإسلام، كان الناس هم الّذين يبادرون بـ سؤال المـ سلمين: ماذا تطلبون منا ولماذا جئتم، ثم كيف كان جواب ا لجيش الإ سلامي، يـ قول التاريخ: أجابهم المسلمون بانهم لا يريدون منهم غير قبول الإ سلام، فاذا قبلتم منا ذلك، فلكم مالنا وعليكم ما علينا، واما اذا رفضتم الإسلام، فلا بأس، ولكن لا تُعادوه وأدّوا لنا الجزية وكما سلطنا الـ ضوء عـ لى هذا الموضوع قبلُ فان الكلام الراجح للعلماء، ان كل صاحب فكرة مشركاً كان او ملحداً او مجوسياً او نصرانياً او يهودياً، تؤخذ منه الجزية: اذا رضى أن يكون مواطناً في الدولة الإسلامية، ولات حين تفصيل، فالله خلق الإنسان ليختبره، فكيف يتم الإختبار اذا لم يعط الحق أن يختار مايـ شاء، و لو كان الكفر بعينه، يقول تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ**﴾(الكهف –29).

وحتى لو شاء الكفر وكان مواطناً في الدو لة الإ سلامية، فإ نه يُ كْرَمُ كإنسان، ويحترم دينه و رأيه، ولهذا قال الله جلَّتْ قدرته: ﴿**وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ**﴾ (الانعام–108).

لماذا؟ لأن ذلك مادام هو الذي إختار ذلك وإستحسنه فدعوه وشأنه والله الذي خلقه هو الذي أتاح له حرية الإختيار وليس لأحد أن يـ سلب ذ لك منه، وليس لأحد أن يتعرض له بالسوء بذريعة الكفر، وحسابه على الله يوم القيامة، ذلك ان الدنيا دار إبتلاء وإمتـ حان، و ليس دار ا لجزاء وظـ هور ونتائج، والله تعالى هو يتولى المحاسبة يوم القيامة، أما الآن فيـ جب أن تُـ تاح الفرصة للجميع في اختيار ما يراه حسناً، والإسلام عندما يكون حاكماً فإنه لا يتدخل الاّ في حالتين:

الحالة الأولـى: لإزالة الظلم، كما يخاطب الله تعالى المسلمين بقوله: ﴿**وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ**﴾(النساء– 75).

نعم، اذا كان للإسلام دولة وسلطة، فحين ذلك لايقبل أن يُظلم أحد حتى لو لم يكن مسلماً، فلا يجوز إضطهاده، لأن الإسلام يقول إن الله تبارك وتعالى خلق الناس لعبادته، لذلك يا أيّها الحكام لاتضطهدوا الناس ولا تجعلوهم عبيداً، وليكونوا أحراراً، حتى نعلم هل يعبدون الله أم لا يعبدونه، وهكذا يمكِّنهم الله تعالى مِن أداء إمتحانهم في حياتهم الدنيا.

الحالـة الثانيـة: والإسلام يستعمل القوة لإرساء العدل: كما أمر الله نبيَّه أن يقول: ﴿**وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ**﴾ (الشورى– 15).

وكذلك أمرنا جميعاً بإقامة القسط والعدل حيث قال ﴿**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ**﴾ (النساء –58) .

وقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ**﴾ (النساء –135).

والآن ، دونكُم أيّها الأخوة الفصل الثالث والأخير.

الفصل الثالث

مقارنة بين
عولمة الغرب و
عالمية الإسلام

www.alibapir.net

مقارنة بين
عولـمـة الغـرب و عـالـميـة الإسـلام[1]

أيها الحضور الأعـزاء!

من منطلق ان الإسلام يقول: الله صاحب الكون والإنسان وَالحياة، ويقول: الدنيا دار ابتلاء، ويقول: ليس الإنسان جسداً فحسب، بل هو روح وجسد، ويقول: الناس إخوة فيما بينهم، وهم جميعاً من أب واحد وأُم واحدة وهما آدم وحواء، (عليهم السلام) ويقول: ما دام هناك إله و دين وحساب فلا بد أن تكون الأشياء جميعها مرتبطة بالقيم و الأخلاق، و من منطلق إن الغرب يقولون: ما من إلهٍ!، او يقولون: لو كان هناك إله فلا يحق له التدخل في أمورنا، كما كان المعسكر الشرقي (الاتحاد السوفيتى السابق) يقولون: لا إلهَ، ولكن أوربا والغرب الرأسمالى يقولون: كلا، هناك إله، ولكننا نحن أنفسنا ذاك الإله (سبحان الله عما يصفون)!! وكذلك فان العولمة الغربية والعالمية الإسلامية تختلفان في نظرتهما للإنسان والحياة اشد الإختلاف، فالإنسان في منظور الحضارة الغربية عبارة عن جسد إضافة الى غرائزه المادية والحيوانية، أما اليوم الآخر فهي أما لا تؤمن به أو تؤمن به في الظاهر فقط دون أن تعمل له أدنى حساب، وَعملياً يرى الغربُ أن الناس

(1) و هذه المقارنة إنما هي عبارة عن مراجعة للفصلين الأول والثاني، ومحاولة لمعرفة أكثر و أشمل بالعولمة و العالمية.

ليسوا سواسية(٢)، وبناءً على فلسفة (نيتشه) فان كثيراً من فلاسفة الغرب يقولون: كل من كان ضعيفاً او عاجزاً فانه لا يستحق الحياة، لذلك فلا عجب أن نرى أمريكا خصوصاً والدول الغربية عموماً يرمون في بعض السنوات بملايين الأطنان من الحبوب الى قاع المحيط، وكل ما يزيد عن حاجاتهم من المواد والبضائع يحرقونها أو يُتْلفونها، يفعلون هذا في الوقت الذي يلقى الملايين حتفهم سنوياً من الجوع في افريقيا وشرق آسيا والدول الأخرى في العالم! لانه ليس هناك دافع يشجعهم ليقولوا: هؤلاء إخواننا في الإنسانية فَلْنَنْتَشِلْهم من خطر الجوع المُحدِق بهم، فقد ملأنا الدنيا ضجيجاً عن حقوق الإنسان، لماذا نُتْلِفُ ما يَفْضُلُ عنّا، فإن كنا لا نفعل لهم شيئاً فلنعطهم فُتات موائدنا، وما يفضل عن حاجتنا.

ولكن مناهجم وفلسفاتهم تقول: ما دام الفقراء لا يتمتعون بالقوة والتمكين فهم لا يستحقون الحياة، والأمريكي الّذي يزيد دخله سبعين ضعفاً على غيره، لا تتحرك عاطفته نحو أناس لا يملكون كسرة خبْزٍ يَسُدّون بها رَمَقُهمْ، ولكن مثل هذه التصرفات والتوجهات لا يمكن أن تجدَ لها في الإسلام موطئ قدم قط، وكما أشرنا سابقاً فان العامل الأقوى في ذلك التوجّه هو روح الفردية والإنانية والجشع وعبادة الذات و مصالحها، ومعلوم ان تلك المصالح في ظل النظام الرأسمالي هي الهاجس الاول لأرباب ذلك النظام، أما الإسلام فينظر الى كل شيء بالمنظار الربّاني وَيَحْسِبُ لكل من القيامة وَالعطف

---

(2) مع انه كثيراً ما يجرى الحديث في أوربا وأمريكا عن حقوق الإنسان والمساواة والحرية، ولكن الحقيقة ان الظلم والإصطهاد والموجودين هنالك يعزّ وجوده في العالم اجمع، وكذلك في تكبرهم و زهوهم وادعائهم الامتياز على غيرهم مما لا عهد للعالم بوجود مثله.

والرحمة و الضمير حِساباً، وَالآن بغية التميز بين هاتين النظريتين، دعونا نتأمل كتاب الله تعالى لننظر كيف يحدثنا عن كلا المنهجين.

يحدثنا الله عزوجل عن (فرعون) وعن (ذي القرنين) كنـ ـموذجين، الأول منهما يمثل العالمية، فذوالقرنين الذي هو نموذج للعالمية ا ستولى ع ـلى المغرب، ثم اتبعه بالمشرق، أي ملك الدنيا بأسرها، فمن هو هذا الرجل ـيا ترى؟ يزعم البعض انه (الأسكندر المقدوني) ولكن الأكثرية ع ـلى خـلاف ذلك. لأن الأسكندر المقدوني كان و ثنياً مشركا، واما ذوالقرنين فيبدو انه كان رجلاً صالحاً و عابداً.

وعلى كل حال لننظر في السياسة التي كان ينتهجها (ذو القرنين)، يقول تعالى: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ (الكهف-86)، ويقول ((ذو القرنين)) عن سياسته ومنهج تعامله مع الـ شعوب ا ـلتي تخضع لسيطرته: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّ ـبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ۞ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ (الكهف 8788). فالإسلام كما سبق وان ا شرنا الى ذلك عندما يتسلم السلطة، فإنه يردع الظالمين ويضرب ع ـلى أ ـيديهم! نعم، فهذه حقيقة أكدتها عشرات الآيات القرآنية، وتأمل هذا النـ ـموذج الصالح من حكّام الإسلام، إنه لا يتحدث عن كفر تلك الشعوب الخا ضعة له ولا شك أنه كان من بينهم الكفرة والمارقون، أي أ ـنه لا يتـ ـحدث عن إستيائه ومَقْـته لكفرهم، بل يتحدث عن الظلم والإعـ ـتداء وَالعقو ـبة ا ـلتي يوقف بها تلك الاعتداءات، لأن السلطة الإ سلامية بإمكانـ ـها أن تـ ـعايش الكفر، ولكنها لا تستطيع بحال من الأحوال تقبل الظلم، وبمعنى آخر، فالدولة الإسلامية تسمح للناس أن يكونوا كافرين لأن ا ـلدنيا دار إ ـبتلاء

وإمتحان، ويجب ان يفسح لهم المجال للايمان وعدمه، وَلكنها لا تسمح للظلم طرفة عين، لأن الدُنيا لم تخلق ليعيث فيها الفراعنة والطواغيت ظلماً وعدواناً، ثم ان (ذو القرنين) في ختام فتوحاته وتحريره للبلاد والشعوب المضطهدة وصل الى موضع ناءٍ فيه شعب متخلف لايكادون يفهمون حتى الكلام، ﴿**حَتَّى إِذا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلا**﴾ (الكهف– 93)، ثم ان هذا الشعب المتخلِّف والمغلوب على أمره، قدَّم طلباً الى الحاكم الصالح صاحب السلطة والمكنة، أن يبني سداً بين الجبلين الذين يقعان بينهم وبين قوم (يأجوج و مأجوج) المفسدين في الأرض، كي ينجوا من شرورهم: ﴿**قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأرض فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا**﴾ (الكهف –94).

والغريب ان هؤلاء القوم عرضوا على ذي القرنين الأموال والمؤونة التي يحتاجها لبناء السد، ولكن دعونا نتأمل، هل إن هذا الحاكم الصالح مستعدّ كما تفعل العولمة بذريعة الدفاع عن الناس أن يأخذ حتى الإجرة مقابل عمله، ناهيك ان يأكل كل خيراتهم وعائداتهم؟! كلاّ، فهو يقول: (ما مكَّنِّي فيه ربّي خير فأعيوني بقوة) أي إنه بما أفضل الله عليه من النعم والأموال، فليس في حاجة الى أموالهم، بل يحتاج فقط الى الأيدي العاملة لبناء السد لهم، وقد أكمل بناء السد لهم فعلاً، هذه هي عالمية الإسلام اذاً، يكافح الظلم ويقف بجانب المظلومين المستضعفين، ويدافع بأموالِه عن الشعوب المضطهدة، وليس كأمريكا التي جاءت بذريعة طرد القوات العراقية من الكويت سنة (1991)، ولكنها من فرط ما ألْزَمت الدول الخليجية بالإلتزامات المالية، فإن تلك الدول لا تزال الى اليوم ترزح تحت القروض

الأمريكية عليها، فهي لم تَصْرِفْ عليهم الاّ من أموالهم وأخذت فوق ذ لك الكثير والكثير، فلئن دافعت عنهم بما يقابل دولاراً واحداً، فَلَقَدْ إ ستفادت مقابل ذلك آلاف الدولارات!! فهذه هي سياسة العولمة، وتلك كانت عالمية الإسلام التي ينادى بها، والنظام الفرعوني والسياسة التي إنتهج ها نموذج تاريخي للعولمة، ولنر ما فعله فرعون – وفق الثالثوث الم شؤوم– ب شعبه؟! يقول تعالى: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأرض وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ (القصص –4) نعم هذه هي الآثار التي خلّفها النظام الفرعوني، ولهذا يحق للناس أن يسألوا: لماذا تكرر ذكر فرعون وموسى بهذه الكثرة في القرآن؟

لا ريب ان الله تعالى يريد منّا ان نجعل موسى عليه ال سلام قدوة ل نا، ويريد من الجبابرة والمستبدين ان يأخذوا درساً من فر عون و ما آل ال يه مصيره، فالفراعنة – في كل عصر– مهما تعاظ مت سلطتهم فم صيرهم الإندحار والدفن في مزبلة التأريخ، وموسى– وكل من يسير على منهجه – مهما إستضعفوا، ومهما ألَمَّ بهم الكُرَبُ وأدلهمَّ بهم الخَطْبُ، فإنهم – و فق سنة الله التي لا تتخلّفْ، وماداموا صابرين مستقيمين –هم المنتصرون، لأن إرادة الله جلت قدرته، تشدّ أزرهم وتقف من خلفهم تناصرهم، كما يقول تعالى: ﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأرض وَنَجْعَلَهُمْ أَئِ مَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾ (القصص– 5).

سُبحانَكَ اللهم وَبِحَمدِكَ أشهد الاّ اله إلاّ أنتَ أستَغفِرُكَ وأتوب إليك.

الحلقة الخامسة

الديمقراطية
في ضوء العقل والشّرع

هـذه الرسـالة

أيهـا القارئ العزيز!

هذه الرسالة كسابقاتها كانت في الأصل محاضرة ألقيت في ـندوة عقدت بمدينة السّليمانية بقاعة (الثقافة) في (23/ شعبان 1423) الموا ـفق لـ(2002/10/29) تحت عنوان (الديمقراطية في ضوء العقل والشرع) ثم أفرغها بعض إخوتنا من الشريط الصوتي، وراجعتها بنفسي، وقد اثبتها كما هي، سوى بعض التصرفات اليسيرة التي اقتضاها اسلوب الكتابة، ولحساسية الموضوع والجدال القائم حوله، رأينا من المناسب أن نضم الى هذه الرسالة، الحلقتين اللتين سُجِّلتا في برنامج (التقصيِّ) بعنوان (الديمقراطية والإستبداد، والموقف الإسلامي)، حتى يتم تسليط الضوء عـلى الموا ضـع ا ـلتي لم ـيتح ذكرها في هذه الرسالة، فَتُضاف خلال هاتين الحلقتين.

اللهم أجِزْل المثوبة لذلك الأخ، واجعل ماتضمنَّـتْهُ هذه الر ـسالة ـسبباً لهداية الذين يبحثون ـعن ا ـلحق، وان يثو ـبوا الى ا ـلحق أين ـما و ـجدوه، ويستقبلوه و يُكْرِموا وفادته.

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله رب العالمين وَالصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آ ـله وصحبه اجمعين:

أيها الحضور الأكارم !

محاضرتنا في هذه الأمسية، كما قدم لها الأ سِتاذ، مكرَّ سِة للديمقراط ـية والمواضيع المتعلقة بها، فنحن كما يظهر من عنوان المحاضرة، نريد ان نسلّط ضوء العقل والشرع على الديمقراطية، وأنْ نَعْرِفها كما هي في موا ـقِع، وان نقيّمها بميزان الشرع، ونحن كالجماهير الكردية في هذا القسم من كردستان التابعة للعراق، نسير نحو تغيرّات كبيرة، لذلك فمن المناسب في م ـثِل هِذه الظروف الحرجة ان نبذل جهودنا جمي ـعاً، وان ن ـسعى جا هِدين لتوح ـيد تصوراتنا ومواقفنا حول المسائل والقضايا السائدة التي تؤثر على مصير شعبنا.

ونحن كإسلاميين، بعد التحقيق ا ـلدقيق والب ـحِث العم ـيق في د ـين الله ومنهاجه القويم من كل النواحي، تبيّ ـنت ل ـنا حقي ـقة الإ سِلام و شرِيعته المعصومة، ونقول واثقين بملء أفواهنا:

ليس في الإسلام – البتة شيء يَتناقض مع العقل والفطرة، او يت ـصادم مع المصالح الحقيقية للفرد والمجتمع.

وعلى أساس نصحنا لقومنا و شفقتنا على مستقبله، نعلن موقفنا وتصورنا بصراحة وبلا مواربة، حَولْ اي موضوع اوْ مسألة ذات شأن يرتبط به مصير الناس.

ومن القضايا التي تثار بشدة في هذه الايام هي قضية (الديمقراطية) وهناك حول هذا الموضوع عموماً، ثلاثة اتجاهات ومواقف:

1/ قبول الديمقراطية بعُجَرها وبُجَرها، وخيرها وشرها، وهي تمثل عندأرباب هذا الاتجاه، النور الذي لاظلمة فيه، والحل الذي لايرتضون غيره.

2/ وأناس على النقيض تماماً مع الموقف الاول يقولون: ان الديمقراطية شر لاخير فيه، وهي ظلمات بعضها فوق بعض، وسراب لايروي ظامئاً.

3/ واما الموقف الثالث فيجنح الى التفصيل قائلاً:

الديمقراطية نظرية وتجربة بشرية في مجال الحكم، فيها ايجابـيات و سلبيات، ولايصح قبولها ورفضها مطلقاً! ونحن نميل الى هذا الرأي.

وسنقيِّم الديمقراطية خلال بحثنا هذا ونضعها في الغربال، لنميّز قَضَّهُ من قضيضه.

وسنناقش الموضوع من من خلال هذه البنود:

الاول: تعريف الديمقراطية وأصولها العامة.

الثاني: تأريخها، ومتى وكيف وأين ظهرت؟!

الثالث: مشاهدة الديقراطية بمنظار العقل.

الرابع: تقييمها بميزان الشرع.

الخامس: الحصيلة.

وعليَّ أن أقول ابتداءً:

نحن لو اردنا ايفاء هذه البنود حقها لطال بنا المقام، لذا و جَبَ ان نُعْ لِمَ الجميع بأننا نتناول المسألة بتلخيص وإختصار، ونكتفي بقول ما نراه ضرورياً تمس الحاجة اليه، ويليق بالمقام قوله.

اولاً: تعريف الديمقراطية وأصــولها :

قيل الكثير عن تعريف الديمقراطية، ووردت لها تعاريف عديدة في الكتب والمصادر التي تناولتها، ولكننا نقول هنا اختصاراً:

لفظة (Democracy) كلمة مركبة، وهي اغريقية في الأصل، تتكون من مقطعين (Demos) ومعناه الشعب، و(Kratos) ومعناه الحكم.

وكمصطلح سياسي هي عبارة عن:

حكم الشعب بالشعب من أجل الشعب، اذاً: فالديمقراطية هي الا سِلوب ونظام الحكم الذي يكون الشعْبُ فيه صاحب السلطة، سواء مِن الناحـية التشريعية أو من ناحية اختيار الحكام وَالم سِؤولين، أو ال سِلطة الق ضِائية والمؤسسات التي تقوم بالرقابة و المساءلة لأولئك الحكام والمسؤولين.

وعن اصول الديمقراطية ايضاً قيل الكثير، وقد عدَّد بعض المحق قِين (7-10) أصول، ولكنني اعتقد ان الأصول الأربعة التي سنذكرها تشمل سائر أصولها الأخرى وتتفق حولها كلمة الديمقراطيين جميعاً.

1/ حاكميـة الشـعـب:

ويُعَد هذا الأصل العمود الفقري للديمقراطية والأصل الذي تستند الـيه وتتشعب منه سائر الأصول الأخرى.

2/ ســيادة القـانـون:

ويقصد بها، خضوع الجميع حكاماً ومح كِومين للد سِتور وال قِانون الأساسي، الذي يأتي الى الوجود عن طريق الإ سِتفتاء ال عِام، وتو ضِع في ضوئه القوانين وتُقنَّن من قبل المجلس التشريعي.

3/ حقـوق الإنسان والحريات العامة:

والمقصود من هذا، أن يكون المواطنون أحراراً متساوين، والحرية وإن كانت تشمل أشياء عديدة، ولكن االديمقراطيين أيضاً متفقون على حصر معناها في هذه المجالات الأربعة:

الحرية الشخصية، والحرية الإجتماعية، والحرية الإقتصادية، والحرية السياسية. والمساواة بدورها أيضاً تشتمل على مواضيع متعددة، ولكن هذه النواحي الأربع مما اتفقوا عليها ايضاً:

المساواة امام القانون، والقضاء، والحقوق، والواجبات.

4/ الفصل بين السلطات:

ويقصدون بذلك السلطات الثلاث: التشريعية والتنفيذية والقضائية.

وكما قلنا آنفاً: فإنه يمكن الإطالة فيما يخص أصول الديمقراطية أو تعريفها، ولكن ما سردناها هنا هي خلاصة القول الذي اتفقت وجهات نظرهم حولها.

وبهذا القدر نكتفي بالبند الأول في موضوعنا، ونتحول الى البند الثاني وهو عبارة عن تاريخ ظهور الديمقراطية، ولا يَخفْى أنَّنا نَعْرِضُ الموضوع هنا من منظار اصحابه، وَ نرجيء حديثنا وتقييمنا للديمقراطية الى ختام البحث.

ثانياً: تـأريخ الديمقراطيـة متى وكيف و أين ظـهرت؟

هل الديمقراطية الموجودة اليوم كنظام للحكم، كانت على هذه الصورة في بداية نشأتها، أم كانت بصورة أخرى ثم طرأت علي ـها ا ـلتغيرات رو ـيداً رويداً، وتطورت حتى وصلت الى ما وصلت اليه اليوم؟ هناك من ي ـظن أن الديمقراطية لم تزل على هذه الحال منذ نشأتها! لكن الحقيقة إنها كانت كأية نظرية وتصور وتجربة أخرى، ساذجة في بدايتها وَمختلفة عما هي عليه اليوم، ثم بمرور الأيام نَمَتْ وزيد فيها ونقص منها، حتى وصلت الى هيئتها الحالية، ولا شك انها لا تزال في تبدل دائم، بل إنها في الوقت الحاضر تتخذ لها أشكالاً وَأنواعا متعددة حسب اختلاف البيئات والمجتمعات. وانما اشرت الى هذا، حتى لا يظن احد ان الديمقراطية كما هي الحال في نظام الحكم الإسلامي تتكون من بعض الأصول الراسخة والثابتة غير القابلة للز ـيادة والنقص، أو التغيّرات الإيجابية والسلبية نتيجة لأ ـهواء وم ـصالح الج ـماهير والحكام حتى تُودِيَ بجوهرها وتغدو ألعوبة شرِّيرة ومشؤمة تتقاذفها أياديهم!

نسأل التاريخ عن الديمقراطية، فإذا بالمصادر والكتب التي تـحدثت ـعن جذور الديمقراطية تقول: الأغريق هم أول من أداروا بلاد ـهم و ـفق ـهذا النظام، فقد جرى تطبيق هذا النظام في صورتها البدائية في اليونان في مدينتي: (أثينا و سبارطة) حيث كل مدينة كا ـنت تم ـثل دو ـلة آ ـنذاك، وكا ـنت ديمقراطيتهما ديمقراطيةً مباشرة، أي إن الناس أنفسهم ـكانوا يحت ـشدون في ساحة ويقررون في القضايا المهمة والمصيرية وليس ـعن طر ـيق البر ـلمان او المجالس التي ينتخبها الشعب ويفوِّضون أخْذ حقوقهم اليهم، ولكن يجب أن يُعْلَم ان ديمقراطية اليونان لم تكن تشمل النساء والعبيد، ولم يكن لهؤلاء حق

الإنتخاب او ابداء الرأي، علماً ان النساء كانوا نصف المجتمع، والعبيد كانوا أحياناً اكثر من الأحرار!!

هكذا كانت الديمقراطية في بداية عهدها، وليست كما يحلم بها البعض أحلاماً وردية، على إن هذا النظام قد زال عن الوجود بزوال تَيْنِكَ المدينتين وانقطع ذكره في تلك المهلة الزمنية. وبعد انتهاء التجربة الديمقراطية الاولى في اليونان، فإن جميع الدول الغربية وبضمنها اليونان، سواء قبيل مبعث عيسى (عليه السلام) أو بعده، إنتشرت فيها الإقطاعية كنظام للحكم، وبعد مدة وجيزة من إتشار دين المسيح (عليه السلام)، وتحت ضغوط القياصرة والملوك، والتنازل الذي أبْدَتْهُ الأجيال التي جاءت بعد جيل الحواريين، عَمِلَتْ يد التغير والتشويه في دين عيسى (عليه السلام) حتى أُفْرِغ من محتواه ومعناه، وسُلِّم هذا الدين الى إرادة الطواغيت والمُضْطَهِدِين، ورفعوا شعار (دع مالله لله وما لقيصر لقيصر) على لسان عيسى نفسه، والمقصود من هذا الشعار كان إعلان الفصل بين الدين و الدنيا رسمياً، لذلك فإن كثيراً من المؤرِّخين والمحقِّقين يعتبرون هذه المقولة أكذوبة سافرة لَفَّقَهَا النصارى على لسان عيسى (عليه السلام) فليس من المعقول أبداً، أن يَصْدُرَ هذا من عيسى الذي جاء ليُعَلِّم الناس عبادة ربهم، ويُنَظِّم حياتَهُمْ و فق منهج الله القويم، كمال قال الله تعالى على لِسانه: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ (آل عمران-51). فكيف يتنازل عيسى عن هذه الحقيقة التي تُمثِّل جوهر دينه وفحواه، نعم أيّها الأعزاء: فلقد تنازلت النصرانية منذ زمن مبكر جداً، للأنظمة الطاغوتية والإقطاعية والملوك والقياصرة، و بدل أن تُحْدِث التغيير فيهم، وتُصحِّحَ مسارهم، إنْحَرَفَتْ هي وحادَتْ عن الصراط

المستقيم. ومع إن هذا الإنحراف شكّل مصيبة كبرى حلّت بالدين المسيحي عن طريق إقصاء الدين عن واقع الحياة، لكن الأدْهى من ذلك والأمرّ، إن حكماءهم وكبراءهم قاموا بإحداث طبقة رجال الدين، كتعويض لإبعاد دينهم عن ميدان الحياة، وكان ذلك ابتداعاً خطيراً ومشؤوماً، نجمت عنه عواقبُ وخيمة، وقد أشرنا الى شيء من ذلك في محاضرتنا عن العلمانية، فأغنانا عن الإعادة هنا.

نعم أيّها الأكارم !

فلقد أساء رجال الدين- كما يسمون أنفسهم- إستغلال تقدير الناس وإحترامهم لهم، لصالح منافعهم الخاصة وإنعزلوا عن الجماهير كطبقة متميزة، وظّلوا يوسعون سلطاتهم وامكانياتهم عبر تأريخ الدول الغربية شيئاً فشيئاً، حتى وصل الأمر الى أنهم كانوا ليس فقط ينافسون الملوك والقياصرة! بل إستطاعوا أن يُخْضِعوهم لسيطرتهم وسطوتهم. ولكن مع الأسف لم يستغل أولئك سلطتهم لنصرة دينهم، بل لضمان مصالحهم غير الشرعية، حتى بات الناس ختاماً واقعين تحت نير الثالوث المشؤوهم (الإمبراطور+ پاپا + الإقطاع). الإمبراطور كسلطة سياسية، وَالپاپا كسلطة روحية ودينية، والإقطاع كسلطة اقتصادية، وكانت كل سلطة من هذه السلطات الثلاث، تستطيل لتصل الى كل نواحي الحياة، فالپاپا - مثلاً- اضافة الى سلطته الروحية كان يتمتع بسلطة سياسية واقتصادية فظيعة، والإقطاعي وصاحب الأملاك والعقارات أيضاً كان له اليد الطولـى في السياسة، أما القياصرة والملوك، فليس خافياً انهم اضافة لسلطاتهم السياسية، كانوا يتمتعون بالنفوذ الإقتصادي والفكري كذلك.

وقد اصبح هذا الثالوث المشؤم كابوساً يجثم على صدور الناس في الغرب، يضيق عليهم الخِناق ويكتم على أنفاسهم، وقد إستمرت هذه الحال والظروف الصعبة على الناس في اوربا والغرب اكثر من الف عام، اي كانت الظروف هكذا طوال القرون الوسطى، والمقصود من القرون الوسطى، الزمن الواقع مابين القرن الخامس الى القرن الخامس عشر للميلاد، فطوال هذه العصور المتطاولة، لم يُحسب للجماهير أي حسابْ، بما فيهم العلماء والفلاسفة!

ومعلوم إن كلاً من الإمبراطور وَالپاپا والإقطاع، كانوا قد اتفقوا فيما بينهم تماماً كعصابة للسطو على إقتسام الثروات والخيرات وإقتسام الأمر والنهي، والإمبراطور وان كان هو صاحب السلطة، ألا إنه كان يطالب الإقطاعي بدفع الضرائب للجنود وخصوصاً زمن الحروب الصليبية، والإقطاعي بدوره كان يطالب الفلاحين والفقراء بدفع الضرائب وَزيادتها، وتجنيدهم قسراً بلا مقابل! وعندما طالت معاناة الناس مع ذلك الثالوث المشؤم و بلغ السيل الزّبى ثار الناس، إذ لكل شيء حد يقف عنده، ويقول مثل الكردي: حبل ينقطع من دقته لكن حبل الظلم ينقطع من غلظته، وهكذا قام الناس بالثورة، وقد فصلنا في هذا بما يغني عن إعادته ههُنا، وبذلك حل البرلمان مكان الإمبراطور، والرأسماليون مكان الإقطاعيين، والمكتشفون والمخترعون مكان الكنيسة وَالپاپا، اي اذا كان الإمبراطور في الماضي هو الآمر والناهي والحاكم المطلق، وواضع السياسات، فقد وكلت تلك الحقوق هذه المرة الى (البرلمان).

والإقطاعي الذي كان يقوم بأعمال ومهام كثيرة، جاء الرأسماليون هذه المرة من اصحاب الشركات وحلّوا محلهم، ولئن كانت الپاپوات يوجهون

الناس، فقد إنتقل التوجيه بـ عدهم الى الفلا سفة والمف كرين والمكتـ شفين، وخصوصاً العلماء ذوي الإختـ صاص في العـ لوم الطبيعـ ية و ـيات هؤلاء يشكلون المراكز الفكرية، وفي تلك الظروف التي ثار فيـ ها الـ شعب، وزال فيها الثالوث المشؤم، ولم يبق من يدّعى انه ظل الله على الأرض!!

فالإمبراطور كان يزعم انه ظل الله على الأرض، و الپاپا كان يقول بأ ـنه وكيل الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وفي هذه الايام وقع بصري على مقالة في جريدة لكاتب علماني يزعم بانه وجد في الإسلام مـ ـثل هذا أيضاً فقد نقل عن الخليفة الفلاني إنّه قال بإنّه ظل الله وإن خليفة آخر قال: ما أقوله هو الشرع! ويبدو إنه تجاهل وتغافل عن حقيقة يعلمها الجميع وهي إن مقياس نظام الحكم في الإسلام محصور في القرآن والـ سنة، والأ سلوب الذي إنتهجه النبـي ﷺ والخلفاء الراشدون في إدارة الدولة الإسلامية-، ومعلوم أنّه إعتباراً من العهد الأموي إنتهى الحكم الشُّوريُّ ـبين المـ سلمين وغدا الحكم ملكاً عاضاً ثم ملكاً جبرّياً كما قال النبّي ﷺ ((خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله مُلكَهُ مَن يَشاءً))[1] وقال قي حديث آخر: ((تكون النبُوَّة فيكم ما شاءَ الله أن تكون، ثم تكون خلا ـفة عـ ـلى من هـاج النـ ـبُوَّة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاءَ أن يَرفَها، ثم تكون مُلْكاً عاضّاً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها الله إذا شاءَ أن يَرفَـ ـها، ـثم تكون مُلْكاً جَبـريَّةً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاءَ أن يَرفَها، ثم تكون خلافةً على منهاج النبوَّة))[2]، ومما هو واضح ومشهور بين جميع علماء الإسلام إن معاوية بن ابي سفيان لم يكن خليفة را شداً ضمن

---

(1) (رواه احمد والترمذي والنسائي وابوداود)

(2) رواه أحمد في المسند (4 /273) وهو صحيح الأسناد و صحَّحه الألباني، أنظر (سلسلة الأحاديث الصحيحة) رقم (5).

الخلفاء الراشدين، بل كان مَلِكاً، ناهيك عن إبنه يزيد الذي أخَذَ له البيعة وعيَّنه خليفة من بعده، وعلى هذا فلا يحق لأحدٍ أبداً أن يُحمِّل الإسلام مسؤولية قول قاله يزيد أو أبو جعفر المنصور، أو هارون الرشيد.. لماذا؟

لأن الإسلام لا يتحمل الا مسؤولية من أسْنِدَ إليه الحُكْمُ بالإسلام نفسه، وأما الذي وصل الى الحكم بالقوة، او تسلَّم السلطة بالتوارث، فالإسلام ليس مسؤلاً عن مثل هذا، وما دام الإسلام لم يُصْعِدْهُ سُلَّمَ الحكم، فهو بالتالي ليس مسؤولاً عن مخالفته، نعم، ففي مثل تلك الظروف التي سردنا جانباً منها آنفاً حيث زالت سلطة الپاپا من جهة، ولم يعد بإمكانه خداع الناس باسم الدين، وزالت سلطة الإقطاعيين، ولم يعد في وسعهم أن يُحيلوا الناس الى عبيد يعملون أبد الدَّهر في مزارعهم، وَ أُطيح بعرش الإمبراطور وَغدا الناس يعيشون في فراغ فكري وسياسي، فلاذوا مضطرين بالعلمانية التي أوضحنا ان معناها الحقيقي هو اللادينية، وبذلك رُفِضَ الدين النصراني رفضاً نهائياً، فلقد كانوا تجرعوا من الدين الأمَرَّين، وهم لم يكونوا يُحيطون علماً بتحريف دينهم وزيفه، ولم يكن متاحاً لهم ان يتثبتوا ويستفيدوا من التأريخ كما هو متاح لنا نحن المسلمين، ننظر الى التأريخ والإسلام كله شاخص في متناول أيدينا، بل إنّهم كانوا يتصورون أن الدين هو فقط ما يعرفونه بإسم النصرانية ولايوجد دين لله تعالى غيره! ثم من منطلق تجرعهم المر والعلقم من ذلك الدين، وعدم معرفتهم بالدين الحقيقي كي يتوجهوا إليه، فقد توجهوا إسراباً و أفواجاً الى اللادينية، ثم انهم تصفحوا تاريخهم وتراثهم وثقافتهم فرأوا ان خلاصهم من الإستبداد وحكم الإقطاع ومآسيهم الأخرى يكمن في الديمقراطية، والديمقراطية كما اشرنا الى ذلك سابقاً مرّت كنظام للحكم بعدّة مراحل:

أ تمثل الإقتراح الأول الذي طرحه دعاة الديمقراطية في حق التنقل (أيْ نقل السكن من الريف الى المدنية ومن مدينة الى أخرى) و كان الناس محرومين من هذا الحق قبل ذلك، فالفلاّح لم يكن يحق له دون إذن سيّده أو إذن صاحب الأرض أن يترك المكان الذي يكدح فيه كالعبد ويكون نصف شقائه وتعبه لصاحب الأرض!

وبعد محاولات جادة تقرر في البرلمان اعطاء الحق لكل من يريد التنقل من الريف الى المدينة خصوصاً بعد أن كثُرت معامل أصحاب رؤوس الأموال في المدن، وباتت الحاجة ملحّة للطبقة العاملة، فأصبح بذلك ضرورياً أن يبدأ الناس بالهجرة من الأرياف الى المدن.

ب وأما ما يخص حق العمل، فلم يكن الناس يتمتعون بحرية إختيار المهنة، بل كانت جميعها محددة، فالفلاح عليه ان يمارس الفلاحة، وغيره يجب ان يمارس مهنته الأصلية، وقد تقرر هذا الحق رويداً رويداً فأصبح الشخص قادراً على إختيار ما يرغب فيه من العمل، وما يجب أن يتقاضاه من أجر مقابل عمله، كذلك لم يتقررْ إلاّ بعد إضرابات ومظاهرات كثيرة قام بها العمال مما أدى ختاماً الى إقرار هذا الحق، فأصحاب رؤوس الأموال كانوا قبل ذلك يمتصون دماء العمال ويعطونهم أجوراً زهيدة مقابل أعمال كثيرة وشاقة، وكلنا يعلم، إن المعسكر الشرقي والمجتمع الإشتراكي إنّما نشأ كردّ فعل للإستبداد والظلم الذي كان يصدر من النظام الرأسمالي إزاء العمال، لذلك فكما وجدت هناك دكتاتورية رأسمالية، فقد وجدت هنا دكتاتورية البروليتاريا، تماماً كالقانون الفيزيائي القائل: لكل فعل ردفعل، يساويه في المقدار وَ يعاكسه في الإتجاه، فكما كان كل شيء في الدكتاتورية الرأسمالية بيد أصحاب رؤوس الأموال، فذلك في

الجانب الآخر كانت دكتاتورية البروليتاريا، حيث كان من المفروض ان يكون كل شيء بيد الطبقة الكادحة، و بـ سبب الـ ضغوط الـ تي كان يشكلها العمال على أصحاب كالقيام بالإضراب عن العمل والمضاهرات، إضطر أصحاب رؤوس الأموال والمصانع ان يتنازلوا شيئاً فشيئاً، فزادوا من أجور العمال وحسّنوا أحوالهم المعيشية، هذا من جهة، و من جـ هة أخرى كان هناك تهديد المعسكر الشيوعي الاشتراكي، والحق إن للمعسكر الإشتراكي فضلٌ على العمال والكادحين بأنهم إضطروا النظام الرأسمالي على مراجعة الذات ومراجعة حقوق العمال مرات و مرات.

ج واما حق التعليم، فلا تذهبن بك الظنون ان الديمقراطية أقرت هذا الحق منذ بداية ظهورها، بل كان تعلّم العلوم و إكتسابها حِكْراً عـ لى طبـ قة الأشراف الأرستقراطيين من الأثرياء وذوي المراكز المرموقة في المجتـ مع، أجل التعليم كان خاصاً بأولئك دون غيرهم، ذلك لأن الفقراء لم يكونوا يستطيعون حمل تكاليفه، حتى ان مجادلات ومناو شات كلامـ ية عد يدة جرت في البرلمانات الاوربية والغربية عموماً حول هذه المسألة، إذ انـ هم كانوا يقولون: ان المستوى الدراسي يتدنّى اذا شارك في الدراسة أبـ ناء الفقراء والفلاحين! أو كانوا يقولون: لا نقوى على تحمل تكاليفهم، أو يقولون: اذا درس الجميع فمن الذي سيعمل! ولكـ نه بـ عد جدالات ونقاشات محتدمة اقرّت البرلمانات بحق الدراسة لابناء الفقراء والفلاحين ايضاً وذهابهم الى المدارس، وقد اقروا آخر الأ مر ونها ية المـ طاف ان يكون التعليم مجّاناً.

د وكذلك الحقوق السياسة، لم تكن رفيقة الديمقراطية منذ بداية ظهورها، ومن ذلك حق الإنتخاب، وحق الترشيح لدخول البرلمان، وحق الإجتماع

وتأسيس المنظمات السياسية، وحق الصحافة وحق المظاهرات، فهذه جميعها جاءت الى الوجود شيئاً فشيئاً، بعد مساع حثيثة ومعاناة شديدة، وبعد دماء ودُموع، أقرت البرلمانات والأنظمة الديمقراطية هذه الحقوق للجماهير.

هـ- وهكذا بالنسبة للضمانات القضائية، فالناس في الماضي في ظل سلطة الثالوث المشؤم (الإمبراطور والبابا والإقطاع) لم يكونوا اصحاب أي شيء، ولكن من ضمن التغيرات التي حدثت بعد المحاولات المضنية، إعطاء المواطن ضمانة ألاّ يتهم جُزافاً، وان البريء لا يجوز اتهامه، وايضاً فقد مُنح المواطن ضمانة ألاّ يحكم عليه أثناء التحقيق دون أدلة واضحة، وكذلك ألاّ تُشَدّد العقوبة فوق ما يستحق المتهم، و زُبْدَةُ القول: ان الديمقراطية مرت في طريقها قبل أن تصل الى وضعها الحالي، بأودية و مرتفعات ومنحدرات كثيرة! و إنما وضَّحنا هذا الأمر، حتى لا يذهب الظن بأحد إن الديمقراطية جاءت بتلك الحقوق والإمتيازات هدية معها للناس باديء ذي بدء، بل إن الديمقراطية -وأي نظام وضعي آخر- تطورت عبر مراحل، وكلما أوغلوا في إعمال العقل والتفكير أضافوا شيئاً الى ذلك، وكلما مارس الناس الضغوط كلما راجع الحكام أنفسهم أكثر وغيروا من نظمهم ومناهجهم، ولكن الإسلام على خلاف ذلك كله، ذلك ان الله سبحانه هو الذي أرسل هذا الدين، و هو الأعلم بمصالح عباده، وقبل أن يطالب أحد بحق له، حَدَّد الله تعالى له كل حقوقه، للعمال، والمزارعين، وللنساء، والأطفال، وأية شريحة أخرى، حدد لكل أولئك الحقوق، ورُسمت لهم الخطوط والحدود دون أن يطالب أحد بشيء!! او يُضْرِب عن العمل أحد! او يقوم الناس بالمظاهرات!

ثالثاً: الديمقراطية في ميزان العقل والواقع

في هذا المبحث إن شاء الله، سنضع الديمقراطية على المحك، من خلال تقييمها وفق أصولها الأربعة التي سبق وان تحدثنا عنها، و ذلك كي نَزِنَ ها بميزان العقل والواقع بداية، وقبل أن نأتي الى بيت القصيد، نعلنها ثانية ان الديمقراطية لُجأ اليها اضطراراً وليس اختياراً، واكثر ما نراه اليوم في هذا النظام إنما هي اضافات اضيفت اليها لاحقاً، واذاً:

فلا تطرأ التغيرات على الديمقراطية الابممارسة الضغوط عليها، ايجابياً إذا نحا الخيِّرون هذا المَنْحى، وسلبياً إذا رغبوا في السير بها نحو الشرور والسلبيات، وكما أشار الأخ المقدم للمحاضرة، فهناك الآن من يمار سون الدكتاتورية متسترين بحجاب الديمقراطية في المجتمع الاشتراكي وكانوا يعدون أنفسهم ديمقراطيين، ولكنهم في الوقت ذاته كانوا يؤمنون بدكتاتورية البروليتاريا، فالديمقراطية اذاً حالة إضطرارية من جهة إن الناس لاذوا بها، وهي من جهة أخرى كوعاء يحتوي ما يوضع فيه، وهي قابلة الى حد بعيد لتغيير الاتجاه هكذا وهكذا، إذ ليس لها إطار محدَّدً يمنع بِمُوجِبه الإنحراف عنه.

الأصـل الأول:

وأهم أصول الديمقراطية عبارة عن (حاكمية الشعب) وقد اسلفنا ذكر المعاني التي يَنطوي عليها هذا الأصل، وخلاصته حصر السلطة بيد الشعب.

ونحن نسمع هذا الأصل كشعار فقط، ولم نره مجسِّداً بصورة عملية لا في عهد اليونانيين ولا بعدهم ولا في عصرنا الحاضر، أي ان الشعب حقيقة ليس صاحب سلطة، - مع أننا لنا ملاحظاتنا الشرعية حول هذا الاصل

وسنذكرها لاحقاً ولكن من ناحية العقل والواقع أيضاً لايعدو هذا الأصل أن يكون شعاراً براقاً غير مُتَجَسِّد عملياً، لماذا؟ لأن دون ذلك الكثير من العراقيل والموانع، من ذلك:

أولاً: إن كثيراً من الناس من معارضي الديمقراطية ومنتقديها، والذين يتحدثون عنها في ضوء الواقع الذي تعيشه الدول الرأسمالية تتمخَّض نظرتهم اليها عن هذه النتيجة:

ان الجماهير والشعب عموماً مشغولون بحياتهم الخاصة، ومنهم يكون باللهو واللعب وقضاء الأوقات، وليس لهم متسع من الوقت اصلاً للإنشغال بالسياسة وأمور الحكم، أو مراجعة السياسيين وتقويم أخطائهم، والتركيز على من ينتخبون ومن لا ينتخبون.

ثانياً: ثم عندما يرى الناس واقعاً ونظاماً ضرب بجذوره في أطناب الأرض، مثلاً: نظام الحكم في أمريكا منحصر في الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري، وفي بريطانيا في حزب العمال والمحافظين، فهؤلاء مسيطرون على كل شيء، فأمّا هذا الحزب وإمّا ذاك، كما يُحكى إن إمرأة كان إبنها مريضاً، ولم يكن في بيتها سوى البلوط، فقالت لإبنِهِ، ماذا تشتهي ياولدي؟ قال لا أشتهي شيئاً يا أمّاه، فقالت، ألا تُحِبُّ البلّوط نيِّئاً؟ قال: لا، قالت: فمطبوخاً، قال: أيضاً لا أحِبَّهُ، قالت، فأشويه لك؟!، قال: انَّني لا أحب البلوط أصلاً يا أمي.

والحق ان حال الدول الديمقراطية اصبحت هكذا، لان هذا الحزب مع الحزب الآخر قد حدّدوا إطاراً للحكم والسياسة، اما هل الصهيونية وراءه أم غيرها، فليس هذا مهماً، وانما المهم أنَّها تحدد اطاراً معيّناً لايُزال بأحد،

والمواطن يائس من تغيير ذلك الواقع، ولذلك فهم في أحيا نا كثيرة لا يشاركون في الإنتخابات أساساً.

ثالثــاً: ثم ان المرشَّحين تنتخبهم أحزابهم، وهذه أيضاً كم مسألة البلوط! الخيار فيها محدّد، فأنت مضطر إما أن تصوّت لهذا أو لذلك، فالمواطن حتى لو لم يرغب في التصويت لأحدهما، فإنّه مضطر اما لعدم التصويت أو التصويت لمن لايرغب فيه ربما.

رابعــاً: ثم ان المصاريف الباهظة للدعاية الإنتخابية ليس بالامر ألَهيِّن، ولا يستطيع تحمل تلك المصاريف الباهظة للدعاية الإنتخابية الا من هو صاحب رأس مال ضخم من أصحاب النفوذ والسلطة.

خامساً: ان التزوير في الانتخابات، امر مألوف وسائد في جميع الدول.

سادساً: ونسبة المشاركين قليلة، وسأكتفي بذكر مثال واحد:

عندما انتخب (كلنتون) قالت راديو صوت أمريكا في 1996/11/6):

إن (50٪) فقط من الذين يحق لهم المشاركة في الإنتخاب قد شاركوا فعلاً، وقد كسب (49٪) من الأصوات. أي يبقى (25٪) بل أقل من ذلك، أي لم يصوِّت له غير ربع الذين يحق لهم المشاركة في الإنتخاب! فأين حكومة الشعب إذاً أليس من الأصح أن نقول: حكم ربع الشعب بل لو دقّقنا جيداً لتبيّن إنه أقل من الربع أيضاً، لأن كثيراً من المشاركين واقعون تحت الدعاية الإعلامية التي تقوم بها تلك الأحزاب!

سابعاً: وتُعطى الوعود بلا حساب، وتطلق الأعِنَّةُ للكَذِب، فهذا سيفعل كذا، وذاك يُزيِدُ أجور العمّال، والآخر سَيُتيح فرص السعادة...الخ ولكنهم عندما يتسلّمون الحكم يتصرفون بخلاف تعهداتهم وَوُعودهم،

هذه هي حاكمية الشعب وسلطته، وبالتعمق وتدقيق النظر يتبين ان هذا الأصل بعيدٌ عن معناه كل البعد.

الأصـل الـثـاني :

وهو عبارة عن سيادة القانون، أي أن يكون القانون فوق الجميع ولا يخرقه أحد، وهذا لاشك بأنه شيء حسن، ولكنه بات كالمطّاط بيد أصحاب المصالح والسلطة، وفي ظل الديمقراطية التي هي نتاج ذلك البرلمان الذي تحدثنا عنه بما فيه من الإشكالات السبعة التي تحوم حوله، إضافةً الى الضغوط التي تُشَكِّلها اللوبيات الصهيونية وغيرها على تلك البرلمانات، والحكومات والمؤسسات بما في ذلك السلطة القضائية نفسها.

الأصـل الثالـث :

حقوق الإنسان والحريات العامة، وقد تحدثنا عن هذا في مبحث حقوق الإنسان وقلنا إن هذا شيء حسن في ذاته، وليس هناك أفضل من أن يكون للإنسان حقوق، وأن يكون الناس أحراراً لا يظلمهم أحَدٌ، ولكنّنا عندما نعاين الواقع المشاهد، نرى أن حقوق الإنسان والحريات العامة ليس إلاّ كلاماً جميلاً مُفَرَّغاً من معناه، فإذا كان صاحب السلطة والمواطن العادي، والغني والفقير، يُخْلَطون ببعضهم ويقال لهم: انتم أحرار إفعلوا ما بدا لكم! فالرابح هو الأُسود والنمور، والخاسر هو الغزلان والأبقار الوحشية والحيوانات الصعيفة!! وعندما يطلق عنان الحرية لشعب ويترك حبله فوق غاربه، فالرابح دوماً هم أصحاب الأنياب والمخالب لأنهم الأقوى، الآن، ما هي الأشياء الرائجة في الأسواق الأوربية؟ طبعاً ما يرغب فيه أصحاب

رؤوس الأموال، وما يرغب فيه هؤلاء هو ما يُرجْى منه الربح الوفير، وليس ما من شأنه أن يُقَدِّم الشعب الى الأمام وما يُطوِّرُ القيم والآداب والأخلاق و يُنمِّيها! بل أي شيء يملا الجيب وَيُرّغدُ العيش، وهذا النوع من الحقوق الموهومة للناس، دون تعيين حدود لها، دَوْماً ينتهى بضرر الفقراء والمعدومين، وهذا النوع من المساواة لا شك انه منته بخسارة الضعفاء، كما لو قيل لِوَعْلٍ وَ ضأن أنتما حرّان فيما تفعلان، ونتيجة ذلك معلوم.

الأصـل الرابـع:

والأصل الرابع للديمقراطية الذي هو عبارة عن فصل السلطات، هو أيضاً شيءٌ حسن إذا كانت السلطة القضائية مستقلّة، وألاّ يمارَسَ الضَّغْطُ على السلطة القانونية، بل يجب أنْ تُقَنَّن القوانين حيث ترى مصلحة الشعب فهذا شيء حسن، ولكن هناك مشاكل وعراقيل في المؤسسات الحكومية نفسها والسلطة القانونية والتنفيذية والقضائية ذاتها، ثم إن هذه السلطات كثيراً ما تُفَرَّغ من معانيها تحت الضغوط التي تشكلها اللوبيات المختلفة، وهكذا يصبح شعار فصل السلطات شعاراً بلا مضمون.

رابعــاً: تقييــم الديمقراطيــة في ضـوء الشـريعة

سبق أن قلنا أنَّ الغربيين كانوا في حيرة من أمرهم، وإضطروا – من منطلق عدم وجود دين حقيقي في متناول أيديهم وطلباً للنجاة من إستبداد البابا وَ الإمبراطور والإقطاع – أن يتوجهوا الى الديمقراطية، والإنسان إذا إضطر أن يختار ما بين الدكتاتورية و الديمقراطية فانه حتماً سيختار الثانية على الأولى، لأنها خير منها سبعة أضعاف وبعض الشرّ أهون كما يقولون، بيد إننا نتحدث عن الديمقراطية من الوجهة الشرعية، ونحن كشعب مسلم لم ولن – نضطر يوماً للإختيار بين ذينك الإختيارين، والسبب إن أمامنا منهاجاً لم يأت الى الوجود بضغط من أحد ولا بمطالبة أحد، وفيه كل الحقوق والواجبات، يقول تعالى: **﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾** (الجاثية– 18).

والآن هلُمّ نتحوَّلْ الى ذكر الأصول التي بُنيت عليها الديمقراطية، وتقييمها واحداً في إثر آخر، في ميزان شرع الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه:

الأصـل الأول: حاكميـة الشـعـب

وهذا الأصل منطوٍ – من منظور الشرع – على معنييـن إثنين:

أ– أن يكون للشعب حق التشريع.

ب– أن يكون للشعب حق اختيار حُكّامِه وَمسؤوليه، وتفويض السلطة الى من ينتخبهم، والحاكمية بمعناها الأول حق لله وحده، لأن الحاكمية من

أخصِّ خصائص الله وصفاته تعالى، وقد وردت هذه الحقيقة في كثير من الآيات القرآنية فمنها:

1/﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف-40)، يتبيين من هذه الاية الكريمة ان الله تعالى عرض فيها حقائق عديدة ومن ذلك:

اولاً/ ان الحاكمية المطلقة هي حق لله الواحد الأحد (**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ**) ومنها حق وضع منهاج وَ دستور لحياة الإنسان، وتحديد الحلال والحرام.

ثانياً/ أمر الله تعالى الناس ألاّ يعبدوا من دونه أحداً قال تعالى: (**أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ**) اذاً: العبودية لله وحده، وعبادته وحده، والإقرار بأن الله هو الحَكَمُ الواضعُ للبشر منهاجاً يسيرون عليه، وجهان لحقيقة واحدة، ولا يُثْبِتُ الإنسانُ حقيقة أنه لا يعبد سوى الله تعالى، الاّ برفض كل منهج للحياة من غيره جل وعلا.

ثالثاً/ ويقول عزَّ مِنْ قائل: ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾، ان منهاج الله القويم عبارة عن اعتبار الله تعالى هو الحاكم المطلق وصاحب الدين الأوحد، وتخصيصه بالعبادة.

2/ ويقول جل ذكره أيضاً: ﴿**وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ**﴾ (المائدة-49).

إن الناس (أفراداً وجماعات) لا حل امامهم سوى أن يختاروا أحد هذين الطريقين، إمّا عبادة الله واتّباع هَدْيه، أو عبادة غيره وأن يصبح أسيراً لأهوائه، ولا توجد الهداية الاّ في الدين المُنَزَّه عن الخطأ

والتحريف الذي أنزله جبريل (عليه السلام) على قلب خاتم الأنبياء محمد ﷺ وعندما لايتبع الإنسان الدين المنزل، يتبع بالضرورة الهوى، فأمّا هواه: **﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾** (الجاثية– 33) أو هوى غيره: **﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾** (الجاثية– 18)، وَأهواء الجاهلين أنواع وطرائق قدداً، فمرة الپاپا وأخرى الأمبراطور والإقطاع وَصاحب رأس المال، وأحياناً الدكتاتور البعيد عن الله سواء كان فرداً او طبقة، كالطبقة البرجوازية وطبقة البروليتاريا.

3/ ويقول تبارك وتعالى أيضاً ويعلنها صريحة ان حق وضع الدين وتحديد الحلال والحرام والحسنة والسيئة، لا يليق الاّ بجلال الله تعالى، والذي يقوم بمثل ذلك فقد أدعى الألوهية والذي يقر بشيء من ذلك لذلك المدّعي فهو مشرك ايضاً، يقول تعالى: **﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذن بِهِ اللَّهُ﴾** (الشورى– 21). فالمنهاج الوحيد الذي يُرضي الله تعالى ويرضاه لعباده إن يتبعوه هو الإسلام وحده: **﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** (آل عمران–116).

4/ ومرة أخرى يجعل الحق تبارك وتعالى صفتي الخلق والحكم راجعتين اليه وخاصَّتين به، كصفتين جليتَّين لا تقبلان النقاش، حيث يقول تعالى: **﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾**(الاعراف– 54).

5/ ثم ان الله سبحانه وتعالى تحدث عن اليهود والنصارى بأنهم: **﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾**(التوبة– 30)،

ويستعين المفسِّرون في تفاسيرهم على شرح هذه الآية بحديثين يوضحان معناها:

أ عن عدي بن حاتم قال: (أتيت النبّي ﷺ وهو يقرأ في سورة براءة: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله.. فقال أما أانهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا أحلّوا شيئاً إستحلّوه، وإذا حرَّموا عليهم شيئاً حرَّموه أخرجه ابن سعد والترمذي و حسَّنه و إبن المنذر و إبن أبي حاتم و إبن مردويه والبيهقي و أحمد و أبن جرير (فتح القدير) للشوكانى، ج (2) ص (430).

ومقصود النبي ﷺ من قوله ((أما أنّهم لم يكونوا يعبدونهم)) أي بمفهوم الناس، وليس في واقع الامر، لأن التحليل والتحريم والأمر والنهي هو جوهر العبادة التي تشمل في مجال الشرائع مساحة واسعة جداً تتضمن أيضاً الشعائر التعبدية، من منطلق إن تلك الشعائر تعتبر تشريعاً أيضاً، والحديث الثاني دليل على كلامنا هذا، وهو:

ب ((عن عدي بن حاتم انه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فَرَّ الى الشام وكان قد تنصّر في الجاهلية فَأُسِرَتْ أخته وَجماعة من قومه ثم منّ رسول الله على أخته وأعطاها، فرجعت الى أخيها وَرغّبته في الإسلام، فدخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عَدي صليب من فضة وهو يقرأ هذه الآية: ﴿إتخذوا أحبارهم﴾ قال: فقلت إنّهم لم يعبدوهم، فقال، بلى إنّهم حرَّموا عليهم الحلال وأحلّوا لهم الحرام فإتّبعوهم فذلك عبادتهم اياهم)) (رواه احمد والترمذي). انظر مختصر تفسير ابن كثير ج/2 ص140.

وعلى ضوء هذه الآيات والأحاديث، تبيّن جلياً ان المفهوم والمعنى الذي تنطوي عليه حاكمية الشعب، ليس فقط خطيئة ومخالفاً للشرع،

بل يعتبر شركاً بالله تعالى وهو من أكبر الكبائر إطلاقاً، وأيّ كبيرةٌ أكبر من أن يُقْرَن مخلوق بخالقه ويجعل منه معبوداً يُعبد من دون الله! لاشك إن ذلك إثم وظلم عظيم يتناقض ويتصادم مباشرة مع جوهر الإ سلام والايمان و توحيد الله.

وقبل ان نتحول الى المعنى الثاني لحاكمية الشعب، يجب ان نبيّن حقيقة ان استنباط العلماء للأحكام الشرعية وان كان نوعاً من التشريع، ولكنَّه أ مر مختلف كل الاختلاف مع التشريع الممنوع، فعلماء الإسلام عندما يستنبطون حكماً، او يُفْتُون فتوىً، فإنَّما يقومون بذلك في ضوء القرآن والسنة وفي دائرة الشريعة، وليس كحالة مستقلة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن علماء الإسلام وأئمته لا يتكلمون في مسألة أبداً اذا كانت حسمت بآية أو حديث، وقد وضع العلماء بهذا الصدد قاعدة شرعية وهي:(لا إجتهاد في مورد النص) او (لا إجتهاد في مقابل النص) ثم يجب أن يُعلم: أن نِتاجَ إجتهاد العلماء واستنباطهم يعتبر فهماً للدين من عندهم ولا يجوز خلطه بأصل الدين.

أما المفهوم الثاني لحاكمية الشعب فيعني إختصاراً إرجاع السلطة السياسية للشعب، وقد أمرت الشريعة بهذا وعملت به قبل أن يكون للديمقراطية ذكر ولا خبر، وهناك آيات قرآنية وأحاديث نبوية تؤكد على إن الشعب يجب أن يختار بنفسه حكامه ومسؤليه، وبعد ذلك يقوم بمراقبتهم ومساءلتهم اذا حادوا عن جادة الصواب والحق، وإذا أصرّوا على إنحرافهم، عَزَلَهُم، فهذا المفهوم لحاكمية الشعب إذاً مفهوم لايخالف الشرع، ولكن المجتمع المسلم لا يحق له البتة ان يختار حكامه ومسؤوليه من غير المسلمين[1]،

---

(1) وهناك إستثناء من هذا الحكم و ذلك في مجال الإدارة والأعمال الفنية التي لا تمسّ العقيدة ولا تتصادم مع الأحكام الشرعية القطعية.

أو من يعتبرون أنفسهم مسلمين ولكن ليسوا على إستعداد أن يطبقوا شريعة الله تعالى لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ (النساء-141).

وهذه بعض النصوص التي تثبت إن الحاكمية والسيادة المطلقة وإنْ كانت من حق الله وحده، الا أن الشعب بيده السلطة السياسية أي أن الحاكمية لله والسلطة للشعب.

1/ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء-59). وطبعاً لاتكون طاعة اولى الامر الا في المعروف كما يقول الرسول ﷺ ((انما الطاعة في المعروف)) (رواه البخاري).

2/ ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (الشورى-28) وكما هو واضح، فان الله تعالى يصف مجتمع المسلمين بأربع سمات بارزة، وقد وضع تعالى الشورى بين اقامة الصلاة وايتاء الزكاة، لان الصلاة عبادة معنوية وروحية، والزكاة عبادة اجتماعية واقتصادية، والشورى عبادة سياسية، ذلك ليُعلم أن على المجتمع المسلم أن يسير وفق أمر الله تعالى من الناحية المعنوية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فكما ان الصلاة وَالزكاة فرض عليك، فكذلك الشورى فرضٌ على المجتمع المسلم و لِزامٌ عليهم أن يسيّروا أمورهم بموجبها، والإنتخابات التي تجري في هذا العصر كتطبيق للشورى والذي ينتخب بموجبها مجلس يبحث في أمهات المسائل ثم تأتي مرحلة التصويت، وهذا هو تنفيذ الشورى الذي يشكل أصلاً كبيراً وبالغ الأهمية، و قد اختير الخلفاء الراشدون بالشورى، وها هو (عبدالرحمن بن عوف) رضي الله عنه، بعد مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقول بأنه إستفتى كلَّ الناس حتى

النساء والفتيات من خلف الحجب، عن رأيهن في إختيار الخليفة الثالث، فالجميع له الحق أن يؤخذ رأيهُ في سائر القضايا ذات الإهتمام.

يقول إبن حجر العسقلاني (رحمه الله) في كتابه فتح الباري ج/15، ص (144-145): ان عمر بن الخطاب ﷺ قال: (من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تَغِرَّة ان يقتلا).

إذاً فلا يجوز إغتصاب السلطة من المسلمين، إما ما قام به الأمويون والعباسيون من إنحراف بالحكم الإسلامي وجعله وراثياً، ولا يزال ذلك الإنحراف قائماً الى يوم الناس هذا، حيث يموت الملك والرئيس فينصب ابنه مكانه، فهذا في الحقيقة لايمت الى الإسلام بأدنى صلة، وهذا ظلم محسوب على الإسلام في نظر البعض مع أنه منه براء.

الأصـل الثـاني: سـيـادة القـانون

والآن هَلُمَّ نتعرَّفْ الى سيادة القانون من منظار الإسلام، فقد أسلفنا ان الذي يستحق التشريع المطلق وتحديد الحلال والحرام هو الله تعالى ﴿**أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ**﴾، والحكم كما بين تعالى نوعان لا ثالث لهما:

حكم الله وحكم الجاهلية: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ (المائدة -5).

إذاً:هل الأفضل أن يحكم الله لعباده ويكونوا أمام حكم الله سواسية، أم أن يشرع لهم بشر أو طبقة، أو قوم؟! ولا شَكّ إن أحداً من هؤلاء لن يهمل مصلحته الشخصية أو مصلحة قومه وطبقته و أسرته على حساب مصالح الآخرين، لكن الله سبحانه وتعالى لا يَظلم أحداً لأجل أحد وحاشاه.

لذلك نقول: إذا كان المقصود من القانون هو الشريعة او القوانين التي تستنبط من الشريعة من قبل علماء المسلمين، فهذا أمر لا غُبار عليه ولاشك بأن القانون بهذا المعنى يجب ان يكون فوق الجميع، حتى الخليفة نفسه يجب أن يكون أول من يخضع له، وأما إذا كان المقصود من القانون ما يضعه شخص أو دكتاتور أو جماعة أو حزب، فهذا يُعبّر عنه بالقوانين الوضعية، ومعلوم إن واضعي مثل هذه القوانين لايلتفتون الى الشرع ولا الى كلام الله ورسوله ﷺ، فلاشك ان تلك القوانين تفتقر الى الشرعية التي تجعلها مُلْزِمةً للمسلمين، وليس هذا وحسب، بل إن الذي يعتبر تلك القوانين منهاجاً يجب إتباعه يُعَدُّ كافراً، أما إذا لم يعتبره قانوناً مُلْزِماً يجب أن يعمل به فلا يعد كافراً، مادام عاجزاً امام حكم ذلك القانون، ولكن إذا إعتبر العمل به فرضاً، وبَجّلهُ من أعماق نفسه، فقد أعطى حق التشريع لغير الله تعالى. وهذا يعتبر كفراً مُخْرِجاً من المِلّة ولكن ههْنا أمر يجب التنبّه لَهُ وهو: إن هذا الأمر مرتبط بقضايا التشريع والدين عموماً، ولايشمل المجالات الإدارية والفنية والعلمية البحتة، والتي قلّما تتناولها النصوص القرآنية وأحاديث الرسول ﷺ، فقد ترك الله تعالى هذا المجال لعقل الإنسان وتجربته والتغيرات والتطورات الحاصلة في سير الحياة، فَهذا له حكم آخر، إذ الأصل في مجال المعاملات هو الإباحة، إلاّ إذا خالف أصلاً من أصول الشريعة، وقد يصبح فرضاً على المسلم أن يأخذ كل ما من شأنه أن يفيد المجتمع، من أي مصدر جاء.

الأصل الثالث: حقوق الإنسان والحريات العامة

وهذا الأصل فضلاً عن أنه لا يتصادم مع شريعة الله، بل تعتبره الشريعة واجباً على الحكام في الدولة الإسلامية ان يعملوا على أساسه، تفرض عليهم

ضمان الحقوق والحرية والكرامة ليس فقط للمسلمين بل لجميع المواطنين، على أن شريعة الإسلام تمتاز على الديمقراطية بإمتيازات ثلاثة:

الاول/ تحديد الآلية المناسبة لكيفية ضمان الحقوق والحريات، حتى لا تكون حقوق الإنسان وحرياته شعاراً بلا معنى، ونظرية مجردة من التطبيق، فليس المهم هو الكلام المنمَّق بل تجسيده في ميدان الواقع ليكون شيئاً نافعاً، فقد حدّد الإسلام الحقوق والواجبات بين الراعي والرعية، والجار مع الجار، والآباء مع الأبناء... الخ

الثاني/ وضع الضمانات المختلفة لحمايتها وتنفيذها، إن شريعة الإسلام إضافة الى تحديد الآلية والكيفية التي تَضْمَنُ تلك الحقوق والحريات، فأنه وضع الضمانة والسند القوي لتنفيذها ونستطيع تلخيص تلك الضمانات في عاملين مهمَّين:

أ- الضمانة المعنوية: وهي -بعد الإيمان والعقيدة الإسلامية- تتمثّل في تربية مستقيمة وصحيحة، يفهم المجتمع من خلالها الحقيقة العظيمة التي مفادها أن الإنسان يتمتع بحرمة وكرامة لا تُضاهى، لأنّها نابعة من تقدير الله تعالى له ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾ (الاسراء- 70) وَجعله الله خليفته في الأرض ﴿**وَإِذ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرض خَلِيفَةً**﴾ (البقرة-30).

ولاشك ان الإنسان إذا لم ينظر إليه كمخلوق نادر الوجود، مسجود له من قبل الملائكة، وموكولة إليه عمارة الأرض: ﴿ **هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأرض وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾ (هود- 6) .

وإذا لم يُعامَلْ وفق هذا الأساس ولم تُضْمَن له جميع احتياجاته الضرورية بإحترام وتقدير حقيقي، فأنه ولا شك لا يستطيع القيام

بحمل أعباء الخلافة على الأرض وواجبات الإبتلاء العسيرة التي تُمَثِّل الحكمة من إيجاده في الأرض.

ب الضمانة المادية: وتتمثل في العقوبات والحدود الشرعية التي تترتب على نصّرفات الإنسان دنيوياً وأخروياً عندما يخرق حداً من حدود الله تعالى ويدوس على حق من حقوق الناس، وقد وضعت الشريعة ستة أنواع من العقوبات الصارمة، لمن يتعدّى حدود الضروريات الست المتمثلة في: حفظ الدين والحياة والنسل والعرض والعقل والمال.

ففي ظل الدولة الإسلامية يجب ان تكون كلاً من هذه الضروريات الست مكفولةً للمواطنين، و لهذا أوجبت الشريعة على الدولة الإسلامية تطبيق العقوبات المتعلقة بالإرتداد والقصاص، والزنا والقذف، وشرب الخمر، والسرقة، وقطع الطريق، حتى لا تتعرض للخطر كرامة الناس وحرياتهم.

الثالث/ تحديد إطار للحقوق والحريات: إن الحريات كما قدّمنا إذا كانت بصورة مطلقة دون قيد أو شرط فهذا أشبه بخلط الحيوانات الأليفة والمتوحشة مع بعضها وإطلاق الحرية لها جميعاً، ومعلوم إن مصير مثل هذه الحرية لا تُحمد عقباها، ولهذا السبب رسم الإسلام دائرة واضحة لكل من الحقوق والحريات الخاصة بالناس.

وسنستشهد بغية توضيح هذا المعنى بمثالين في مجالَيْن:

أ من الناحية التجارية والمالية: يقول تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ**﴾ (النساء– 29) ويقول تعالى ايضاً ﴿**وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**﴾ (البقرة– 275) ويقول تعالى: ﴿**فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ**

تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾ (بقرة –279) وكما هو واضح من هذه الآيات الكريمة، فان شريعة الله العادلة قد رسمت الحدود ما بين الأموال المشروعة وغير المشروعة، والمعاملات الشرعية وغير الشرعية، فقد عدت التجارة حلالاً والربا حراماً، وأقرت في الوقت ذاته بأن الإنسان مالك لرأسماله، وَمنعت كذلك من أن يجعل ماله وسيلة للظلم والتعدي الإقتصادى وإضطهاد الناس إقتصادياً، لأن الربا لاشك بأنّه أفظع ظلم وإضطهاد يمارس ضد الناس، و الإقتصاديون يقولون: أن الأموال تتكدس لدى الأثرياء يوماً بعد يوم بسبب الربا، وبذلك يزداد الأثرياء ثراءً و تَتَضخَّم رؤس أموالهم، وُيسيطر الآن (20٪) من سكان الأرض ومعظمهم من الغرب على (80٪) من أموال و ثروات العالم، وأكثرهم من آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية، أي عكس ما يقول تعالى: **﴿كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ ﴾** (الحشر– 7).

والخلاصة: ان الشريعة إذ أحلت المعاملات التجارية بأنواعها، والأعمال والحرف الشرعية لإكتساب الأموال بأشكالها، فإنّها حرَّمت الأساليب المُضِرَّة والسيئة في المقابل: كالربا والقمار والسرقه وقطع الطريق والإغتصاب... الخ، لذلك فإن الإسلام بخلاف الديمقراطية وإن كان قد كفّل الحقوق والحريات لإكتساب الأموال للإنسان، الاّ إنه حدَّد إطاراً ورسم حدوداً لذلك كي لا يؤدّي غنى الأغنياء الى الأضرار بالناس.

ب ومثال آخر حول حرية التعبير وابداء الرأي: فالشريعة وان كانت أعطت الحرية والحق للأفراد في حرية التعبير عن التصورات والمواقف والمشاعر، ولكنها – على عكس الديمقراطية – لم تفسح المجال

للإنسان بذريعة الحقوق والحريات، أن يسبَّ الآخرين ويقول ما يحلو له! أو أن يتكلم على الناس في غيبتهم بغير وجه حق، لأن الإ سلام يقرِّر: إنه لا حق ولا حرية على حساب مصلحة وكرامة الآ خرين، من منطلق أن للآخرين حق المحافظة على كرامتهم كما تتم تَّع أ نت بحرية التعبير، لهذا فسبّ عقائد الناس ومقدّساتهم يعتبر هضماً لأعظم حقوقهم، ولتلك العلة حرمت الشريعة ذلك ح تى بحق الم شركين ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ﴾ (الانعام–108).

الأصـل الرابـع/ فصــل الســلطات

وهذا أيضاً مما لا يتنافى مع الشريعة الإسلامية و قد فُ صِلَت ال سلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية عن بعضها طوال التأريخ الإسلامي.

فالتشريع – كما أشرنا الى ذلك مراراَ – هو حق مختص بالله تعالى وحده، ثم النبّـي ﷺ ايضاً له حق التشريع عن طريق ما يوحى اليه والإجتـهادات التي يقوم بها ولكن ليس ذلك تشريعاً مطلقاً، ثم إن علماء الإ سلام ع لى ضوء كلام الله تعالى وأحاديث الرسول ﷺ لهم أن يجتـهدوا وي ستنبطوا الاحكام الجزئية وفق شرائطها وعلى هذا فالتشريع او ال سلطة الت شريعية مستقلة بصورة طبيعية وتلقائية عن السلطات التنفيذية والقضائية.

ويجب أن يعلم ان المقصود بإجتهاد العلماء ليس محصوراً في الفقهاء، بل ان ذلك حق لجميع العارفين والمختصين في سائر نواحي الحياة، وربما كان واجباً عليهم، أن يجتهد كل في مجال تخصُّصه بما يعود نفعه على الإنسان والحياة وان يستخدموا عقولهم وأفهامهم ليتوصلوا الى الآراء والتصورات النافعة.

كما ان السلطة التنفيذية بدورها مستقلة عن السلطة التشريعية والقضائية علماً إن في السُّلطة التنفيذ ـية إعتـ ـباراً ـمن الخليـ ـفة و و ـصولاً إلى أد ـنى المستويات، لايَحِقُّ لأحد أن يحيد عن الشريعة قيد شعرة.

والسلطة القضائية أيضاً حافظت على استقلاليتها عبر التأريخ الإ ـسلامي ولم تقع تحت ضغط السلطة التنفيذية أبداً، بل على العكس من ذلك، فـ ـقد أخضعت المحاكم في الإسلام جميع الحكام وَالمسؤولين تحت ـسلطتها ـبما في ذلك الخليفة نفسه، الذي كان أحياناً يُستجوب في المحكمة أمام القاضي.

فمن فرط الحرمة التي أحيطت بالسلطة القضائية في الإسلام لم يجرؤ حاكم ولا حدَّث نفسه أن يتدخل في شؤونها، ولا نحسب هذه الحالة و ـجدت في ظل أي نظام آخر غير الإسلام، و أودّ أن أستشهد ههنا بمثالين فقط:

- أراد الخليفة عمر بن الخطاب ﵁ أن يشتري فرساً من أعرابي، فأخذه حيناً لإختبار صولته، ثم بدا له أن في الفرس عيـباً، فقال للأعرابي: إن في فرسك عيباً ولا أريده، فردّ الأعرابي بأنه سلّمه اليه سالماً من العـ ـيوب! فتجادلا ساعة ثم بلغ بهما الأمر الى الذهاب للقاضي (شُرَيح) لحـ ـسم القضية، وكان شُرَيْح رجلاً فطناً وعالماً عادلاً، وعـ ـندما رو ـيا للقا ـضي قصتهما، قال شُرَيْح لعمر: أمامك خياران تختار أيهـ ـما شئت: إ ـما أن تشتري منه الفرس بثمن مثله، وإمّا أن ترجع له الفرس سالِماً كما سلّمه لك، وهكذا حكم شُرَيْح للأعرابي على عمر ﵁ الذي خـ ـضع للحـ ـكم دون أن ينبس ببنت شَفَةٍ.

- المثال الثاني من حياة الخليفة الرابع علي بن ابي طالب ﵁ عندما رجع ﵁ من معركة صفين و وصل الكوفة، وقعت منه دِرْعٌ فأخذها يهودي من ساعته، وعندما قال علي بأنه صاحب تلك الدِرْع، أنـ ـكر اليـ ـهودى

عليه ذلك وادعى ملكيتها، فتحاكما الى القاضي وكان هو نفسه شريحاً فطلب من الخليفة شاهداً يشهد له، فلم يجد علي ﵁، سوى إبنه الحسن ﵁ شاهداً فلم يقبله شُرَيح لأن شهادة الأبناء لا تقبل للآباء، فقال علي سبحان الله، الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، فقال شُرَيح هذه منزلة للقيامة وليست للدنيا، ولما لم يجد الخليفة له شاهداً، قضى عليه شُرَيح لصالح اليهودي، فشهد اليهودي الشهادتين من فوره، وقال والله هذا حكم الأنبياء! خليفة المسلمين يقف مع يهودي لا يؤمن بشريعة الإسلام أمام القاضي والقاضي يحكم لليهودي على الخليفة وهو يعلم إنّه صادق، ولكنه لا يَملُك دليلاً وفق الشريعة فيصدر الحكم عليه!!

خـامسـاً: الاســتنـتـاج

آن الأوان أن نستطلع النتيجة التي توصلنا اليها في أعقاب بحثـنا حول الديمقراطية.. وهي ملخصة في النقاط التالية:

أولاً: إنني أرغب من إخوتي وأخواتي الإسلاميين، أن يكونوا منصفين دائماً وهم يقيّمون نظرية أو كلاماً.

رغم إن هناك من يظلموننا نحن الإسلاميين ويقولون بأنّنا علـى خَطَأ دَوْماً وأنّنا كذا وكذا وإنه لا خير فينا أبداً!! وهذا تصور غير منصف، فلا أريد أن نكون نحن أيضاً مثلهم نحاكيهم في أخطائهم، والأنصاف صفة حسنة في الإنسان، وفيما يخص الديمقراطية فإنّني أقول: الديمقراطية أهون الشرين، لأننا إذا قارنا الديمقراطية مع الدكتاتوريـة سواء دكتاتوريـة البروليتاريا أو غيرها، أو إذا قارناها مع الثيوقراطـية، وللأسف فإن الكثيرين يُخْطِئون عندما يخلطون بين الحكم الإسلامي والثيوقراطية لأن الثيوقراطية عبارة عن الحكم الذي كان سائداً في أوربا حيث كان البابـا والإمبراطور يحكمان باسم الله في الأرض وكانوا يقولون بأنّهم خلفاء الله وظِلّه على الأرض، وهذا غير موجود في الإسلام أصلاً، فالحكومة في الإسلام حكومة مدنية والناس هم الذين يختارون حكامهم ولا يختار الله تعالى أحداً من عنده، بل الله يرسل الأنبياء برسالات الهداية الى البشرية، والأنبياء عليهم السلام لا يعلنون الحكم الإسلامي حتى يوقنوا بكون الناس معهم، والاّ فكل مَن دون الأنبياء من الحكام والخلفاء الشرعيين فأنما تصدَروا مناصبهم بتفويض النـاس لهم، وإن الحكّام لا يعتبرون

شرعيين الاّ إذا تمّ إنتخابهم من قبل الناس أنفسهم، أقول: إذا كان بديل الديمقراطية هو الدكتاتورية والثيوقراطية، و ما هو من هذا القبيل، فالديمقراطية أقلُّ شرّاً من ذلك بـ كثير، و نحن في تقييمنا للديمقراطية وغيرها من المناهج والنظريات الأخرى يجب أن نكون حذرين والاّ نخلط الحق بالباطل، وأن نقوم بغربلتها بما يتواءم مع مقتضى العدالة لِنُمِّيز صالحها من فاسدها، فَنُنْزِل الصدق والحق منزله، ونُنْزِل الخطأ والباطل منزله، ولنعتبر كيف إن الله جل جلاله يوجه خطابه الى أهل الكتاب بأن لا يخلطوا الحق بالباطل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران –71).

أو قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ (البقرة– 42).

إن مشكلة المناهج الوضعية انها تخلط بين الحسن والسيء، والحق والباطل، لكننا يجب أن ننظر الى حقهم بمعزل عن رؤيتنا لباطلهم، والله تعالى يقول: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (المائدة– 8).

علينا ان نقول: نقر لكم بكلامكم هذا وقولكم ذاك لانه حق، ولكن هذا وذاك لايُجْدي نفعاً، والإسلام لايأمر إتباعه بمثل هذا، لا أن نقول، يا فلان كل ما عندك من سِقَطِ المتاع لايُجْدي فتيلاً!! هذا حكم عاطفي، فليس هناك أحد ليس لديه شيء نافِعٌ، وليست هناك من فكرة تخلو من أية فائدة، الإشتراكية – مثلاً – التي ظهرت كردٍّ فعل للرأسمالية وإظطهادها للطبقة العاملة، كيف يستقيم أن نقول إنّها مجردة من كل نفع؟ بل فيها – بلا ريب – أشياء نافعة، ولكن التي لا خير فيها هي

فلسفتها والأساس الذي بنيت عليه، وهكذا الديقراطية، وسآتي بنموذج لبيان المصير الذي تؤول اليه مثل تلك الحالة:

مما لم يعد الحديث عنه عَيْباً ولاعاراً، بل غَدَتْ تلفزيونات العالم تتحدَّث عنه ويُناقش في أرْوِقة البرلمانات، هو زواج الرَجُلِ من رجُلٍ مثله، أو امرأة بامرأة مثلها!! تصوّروا إن مثل هذا العار والشنار يتم بموافقة البرلمان والبرلمانيين!! لأن قضية الحلال والحرام إذا اُسند الى الشعب فلا ينتظر منه إلاّ الوصول الى هذا الحضيض.

(كلنتون) كما تعلمون جميعاً، وفي سبيل الدعاية الإنتخابية، إعتبر اللواطة أمراً مشروعاً ليكسب أصوات الشذاذ الّذين تغصّ بهم الولايات المتحدة!

تأملوا في الإنسان عندما لايعرف ربه، ولا يلتزم بالحلال والحرام الذي حدده الله سبحانه وتعالى، فانه يفعل ما بدا له، فاذا قيل له إن إباحة اللواطة ضرورية لزيادة الأصوات، أسرع الى إباحة ذلك، وإذا قيل له إن اشاعة الربا من شأنه أن يُحبب اليك أصحاب رؤوس الأموال، سارع الى نشر هذا الداء في طول البلاد وعرضها، وإذا قيل إنه من الأفضل أن تكون القدس عاصمة لإسرائيل (ولا أدري ما دخل الكونغرس الأمريكي ببلد مثل فلسطين) سارع الكونغرس الى إقرار القدس عاصمة لإسرائيل إرضاءً لِلوّبي اليهودي.

ثانيـاً: علينا أن نكون موقنين إن الشورى في الإسلام ليست مرادفة للديمقراطية في الغرب، وللأسف فهناك من الإسلاميين من فهموا هذا الفهم المعوجّ فيقولون: الإسلام ديمقراطي أيضاً.

ولو قلت له كيف؟ قال: أليس في الإسلام شورى؟! والشورى تعني إن المسلمين يستشيرون فيما بينهم، ويناقشون الأمور بمعاونة بعضهم بعضاً،

ولكن هذا كله في إطار الشريعة وفي ضوء القرآن والسنة وَليس في حال إقصاء الشريعة جانباً والقيام بالتحليل والتحريم بعيداً عن منهج الله وهناك من يقول: إن المسلمين إذا طبقوا الديمقراطية فانما يطبقونها بما يوافق الإسلام!!!

ونحن نقول: وأنىّ يقال لها حينذاك ديمقراطية؟

ومن هؤلاء: الدكتور يوسف القرضاوي، وأنا شخصياً أحترمه، الحق إنّه كاتب مبدع، وعالم قدير، جزاه الله خيراً، فله كتب مفيدة جداً، ولكنه في مسألة الديمقراطية قد أخطأ في نظري فهو يقول في كتابه (من فقه الدولة في الإسلام) ص (37)، ما فحواه:

الإسلام ليس مختلفاً مع جوهر الديمقراطية يعني تحديد الحقوق للناس وأن تكون السلطة بيد الشعب وإجراء الإنتخابات وحرية الرأي والتعبير...، لكننا نقول له في الإجابة:

نعم إ ما ذكرته هي بعض آليات الديمقراطية وهي في ذواتها أمور حسنة ولكن شريطة رَبطها بأساس صحيح، وضمان عدم سوء الإستفادة منها، إن جوهر الديمقراطية وأصلها المتأصِّل هو حاكمية الشعب، أي أن يشرع الشعب لنفسه ما يراه حسناً وما تسوّل له نفسه، دون أدنى إلتفاتة الى قول الله و رسوله والدين، فيما يقوم بإختياره ورفضه، هذا هو جوهرها لعمر الحق، ثم ان الديمقراطية لا يقال لها ديمقراطية اذا جُعلت لا تخالف الشريعة في قليل أو كثير، ولايصح ان يطلق عليها هذا الإسم حينذاك، لأن الحكم بمنهج الله هو حكم الله وليس حكم الشعب، وكذلك تغيير إسم الديمقراطية كما يحلو لبعض الغافلين من الإسلاميين تسميتها بـ(شوراقراطي) فهذا أيضاً خطأ فاحش لامبِّرر له، لأن ما يُمارس بإسم

الديمقراطية من ناحية تحديد الحلال والحرام والحدود المرتبطة بالشريعة الإسلامية مع الإلتزام بالشرع، فهذا لا يصح تسميتها بالديمقراطية، وأما إذا كانت لا تحفل برأي الشريعة بل ترجع في كل شيء الى رأي الجماهير فهذه هي الديمقراطية بعينها ولا ينبغي أن تُسمّى بغير إسمها.

ثالثاً: وفي هذه الوقفة الأخيرة مع الموضوع أرى من الضروري ان نعرض لذكر هذه الحقائق الثلاث:

* ان الإسلام بديل عن الديمقراطية وعن كل منهج وطريقة أخرى، لأن في الإسلام – قطعاً – كل ما في تلك المناهج من الأيجابيات و ليس فيه شيء من الأخطاء والأباطيل التي فيها، والحديث عن النظام السياسي في الإسلام، وإن كان يقتضي مكاناً و وقتاً آخر– وسنقوم بذلك لاحقاً إن شاء الله –، ولكننا سنشير هنا الى أصوله العامة، وهي سبعة أصول:

1/ الحاكمية العليا لله وحده.

2/ السيادة لشريعة الله تعالى.

3/ السلطة للشعب.

4/ الشورى أساس إدارة الأمور.

5/ مساواة الناس في الكرامة والحقوق والحرية.

6/ الطاعة في حدود الشرع فقط.

7/ الجميع مسؤولون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقول الحق ومراقبة المسؤولين، ومساءلتهم وتقويمهم وإذا توجب الأمر إزالتهم وتنحيتهم، فهذه كلها من الحقوق الشرعية بل هي واجبات تقع على كاهل كل مواطن.

* ان الإسلام يحتوى على جميع الجوانب الإيجابية في الديمقراطية ولكن بشكل أفضل وبعيداً عن أخطائها وقصورها، وهو بريء من سلبياتها وَنقاط الضعف فيها، وخصوصاً جوهرها ومضمونها الذي هو عبارة عن تأليه الإنسان مُمثَّلاً في البرلمانات او المجالس النيابية التي تُشَرِّع للناس بغير إذن من الله تعالى، والحقيقة ان النواحي الإيجابية في الديمقراطية والتي هي عبارةً عن الآليات التطبيقية، تصبح من منطلق جوهرها الشركي – كمجموعة من الجنود الشجعان لكنهم أسرى لدى طاغوت مستبد! ولذلك لا يصدر عنهم الاّ الشر، ولكن الإسلام بحكم ربطه لتلك الآليات باصول محكمة وصَلْبة، والتي تمنعها من التغير والفساد، فأنه بمأمن من تلك العقبى السيئة.

* لا ينكر إن نظام الحكم الإسلامي، بعد العهد الذهبي للنبيّ ﷺ وخلفائه الراشدين (رضي الله عنهم)، ومن منطلق زوال الشورى بسبب نظام السلطة الفردية التي سماه النبيّ ﷺ ملكاً جبرياً وملكاً عضوضاً، حيث بدأ منذ عهد معاوية بن أبي سفيان فإن الآليات الإدارية لم تتطور كما ينبغي، بخلاف الديمقراطية، ولكن بما أنَّ:

أ المسلمون عليهم ان يبحثوا وراء كل شيء حسن ((الحكمة ضالة المؤمن فَحَيْثُما وجدها فهو أحق بها)) (رواه الترمذي).

ب ان النبي ﷺ وخلفاءَه الراشدين من بعده وخصوصاً عمر بن الخطاب (رضي الله عنهم)، إستفادوا من الناحية الإدارية من دولة فارس والروم وتعلموا منهم كثيراً، دون أن يشعروا بضيق أو حرج.

ج إن كثيراً من التطور الحاصل في النواحي السياسية والإدارية والعلمية في الغرب، كان إبتداءً نتاجاً وحصيلة للتأثيرات التي أوقعتها عليهم الحضارة

الإسلامية، هذا بإعتراف كثير من منصفيهم، لِذا: فالإ ستفادة منهم ليست مباحة وحسب، بل واجبٌ متعيِّن!

كانت هذه خلاصة عن الديمقراطية في ضوء العقل والشرع، آمل أنّي تمكنت من ايفاء الموضوع حقه على قدر الفرصة التي أتيحت لي.

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم ومن سار بسيرته وإهتدى بهديه الأقوم.

الحلقة الأولى و الثانية

من برنامج: التقصِّي

الديمقراطية والإستبداد...

و موقف الإسلاميين إزاء هما

لقاء أجراه برنامج (التقصِّي)

في تلفزيون الجماعة الإسلامية

مع فضيلة الأستاذ (علي باپير)

تمهيـد

قارئي الكريــــم!

هذه الصفحات التي تتناول موضوع الديمقراطية، نص لقاء من حلقتين في تلفزيون الجماعة الإسلامية من قبل الأخ (توفيق كريم) مع العبد الفقير، وذلك في الحادي عشر من رمضان عام (1423) الموافق لـ(2002/11/16) في قرية أحمد آوا.

وقد رأينا تقوية وإغناءً لتحقيقنا عن الديمقراطية ان نضمَّهُما الى هذه السلسلة، وجدير بالذكر أنهما فرغتا من الشريط من قبل بعض إخوتنا جزاهم الله خيراً، وقد راجعتهما بنفسي.

الحلقـة الأولـى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله ومن تبعه باحسان الى يوم الدين.

مشاهدينا الكرام !

يسرنا ان نلتقي معكم كرة أخرى في الحلقة أخرى من برنامج (التقصِّي) والذي مسنضيف فيه هذه المرة الشـيخ (على بابير) أمير الجماعة الإسلامية.

أعــزائي:

كثيراً ما تُثار أسئلة مفادها أن الإسلاميين ليست لديهم مواقف وا ضحة من القضايا ذات الأهمية في الساحة السياسية، مثلاً: ماهي نظرة الإسلاميين للديمقراطية؟ وللعلمانية؟ وتُجاه القضية الكردية؟ وقضية المرأة ؟...
هذه الاسئلة وغيرها يواجه بها العلمانيون الإسلاميين بأنهم لا يملكون موقفاً إزاءها! ولكن يمكننا القول إن هذه مسألة نسبية، فلا يستقيم الا قول ان جميع الإسلاميين ساكتون عن هذه القضايا، وأحسب أن أحد أبرز الذين أبْدَوا تصوراتهم ومواقفهم من المنظور الإسلامي وفهموا تلك القضايا على حقيقتها هو الأستاذ (على بابيـر)، إذ هو منذ بداية الثمانينات، أعلن آراءه الخاصة حول تلك القضايا، سواء في المجالس او المحاضرات والاجتماعات او الكتب التي نشرت له، ثم إنّه بعد الإنتفاضة (سنة 1991) حيث بات المجال رحباً وفسيحاً، أبدى تصوراته وقناعاته بأوضح وأبين من ذى قبل، ولكنه

بعد إعلان (الجماعة الإسلامية) أضحى يَعْلِنُ عن تـ ـلك التـ ـصورات والآراء بصورة أكثر صراحة وإنتظاماً، ـفبحكم ـكون فـ ـضيلته أ ـميراً للجما ـعة الإسلامية، أصبح من قناعته ان يماط اللثام عن كل القناعات والتـ ـصورات التي عليها (الجماعة الإسلامية) والشخص الأول فيها، وقد عقد فضيلته عدة ندوات في الآونة الأخيرة في السليمانية عن الإر ـهاب وحـ ـقوق الإنـ ـسان، والعلمانية، وَالديمقراطية وَكل القضايا التي تمثل قضايا الساعة، وَالسائدة في الساحة العالمية عامة، وساحة العراق كردستان خاصتاً، وأكثر تلك القضايا إثارة للجدل هي الديمقراطية، ونحن بغية تسليط الضوء على هذه القـ ـضية، ومن أجل معرفة رأي فضيلته، رأينا من الضروري أن نكرس حلقتين من هذا البرنامج لمـ ـسألة (الديمقراطـ ـية والاـ ـستبداد ومو ـقف الإ ـسلاميين منهـ ـما) وسنعرض أسـئلتنا على الأستاذ بكل صراحة...

بداية نرحب أجمل ترحيب بالأستاذ على بابيــر فأهلاً بك وسهلاً:

+ اشكركم، وإنَّني سعيدٌ بهذا اللقاء معكم.

– إذا أمكن أن تعّرفوا لنا بإختصار المصطلحين الّذين وردا في عنوان ـهذه الحلقة (الديمقراطية والدكتاتورية وموقف الإسلاميين إزاءهـ ـما) ليـ ـكون ذلك بداية الولوج الى مناقشة الموضوع.

+ نعم، بسم الله الرّحمن الرّحيم: الحمد لله والصلاة وَالسلام على رسول الله محمد واله وصحبه ومن إهتدى بهداه (ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً) ابتداءً أحييكم وأشدُّ على أيديكم لإختيار هذا الموضوع، لأنه –كما أشرت في المقدمة– فان للإسلام جواباً على كل سؤال، وَلَديه حَلٌ لكل معضلة، أما هل يستطيع المسلمون أن يستنبطوا ما في الإ ـسلام

ويَعْرِضوه، ويُحِلّوا به مشكلات مجتمعاتهم و يجيبوا به على الأسئلة ا ـلتي يثيرها المثيرون، أم لا؟ فهذا أمر يخص المسلمين أنفسهم، أما الإسلام الّذي هو منهج إلهي متكامل لتنظيم حياة البشر على طِول الز ـمان و عُرْض المكان، فان ذلك لاشك أنّهُ في مقدوره.

فيما يخص الديمقراطية، فقد سبق لنا عقد ندوة حولها، وما أراه منا سِباً للقول هنا عن تعريف الديمقراطية فهو التعريف السائد الذي م ـفاده: إن الديمقراطية عبارة عن حكم الشعب للشعب من أجل الشعب. ومعلوم إن الكلمة نفسها مكونة مِن مقط ـعين: د ـيموس، و كرا ـتوس، أي حـ ـكم الشعب، ولكن إذا أردنا لها تعريفاً أوضح وجب أن نقول: إنّها عبارة عن نظام في الحكم ومنهج فلسفي دون التفات الى الله والدين ا ـلّذي بعـ ـثه، ودون إعتـ ـبار لهدا ـية النـ ـبّي ﷺ و هو يُ ستَقى مِن إرادة الـ ـشعب والديمقراطية، ولها عدة اصول (حاكمية الشعب) من أهمها، ومنها (سيادة القانون) و(فصل السلطات)، و(حكم الاغلبية على الأقليته) و (الحريات العامة وحقوق الإنسان)، و(حرية التـ ـعبير وا ـبداء ا ـلرأي)، و(الحر ـية الشخصية)، و(الحريات السياسية والاقتصادية والاجتماعية)...الخ هذا هو تعريف الديمقراطية إختصاراً.

- هل الإستبداد نقيض الديمقراطية؟

+ الإستبداد، أو الدكتاتورية التي هي كلمة أجنبية تترجم في العربية بالفردانية، والحكم الفردي، وقبل أكثر من (100) عام ألّف (عبدالرحمن الكواكبي) كتابه (طبائع الإستبداد ومصارع الإستعباد) والذي يتحدث فيه بأسهاب عن ذلك الاسلوب من الحكم، ويذكر أضراره وآثاره المشؤومة.

حكم الدكتاتورية هو حكم الفرد، حكم حاكم واحد، يضع الـ قوانين وينفذها أيضاً، ويضع تحت إمرته وطوعه الـ سلطات القـ ضائية كذلك وإختصاراً فهو يستولي على السلطات الثلاث جميعها.

- تفضلتم في تعريف الديمقراطية بأنها لاتَحْسِبِ لله ولا للدين حساباً، وأنا أقول: مع إن الإسلام منهج إلهي مستقل، لكن لاشك إن المناهج الأخرى سماوية كانت او أرضية هناك بينها و بين الإسلام نقاط مشتركة.

سؤالي هو: هل الإسلام أقرب الى الديمقراطية أم الى الدكتاتورية؟

+ للجواب على سؤالك هذا، أرى أن ننظر الى هذه المسألة نظرتين:

نظرة من الناحية التأريخية وأخرى من منـ ظور النـ صوص الـ شرعية، ومعلوم أن التأريخ الإسلامي لم تنقطع صلته بالنصوص الـ شرعية وإن ضَعُفَتْ في بعض الفترات ، إما عندما يكون المسلمون قد حادوا عن الطريق فهناك يصح أن نقول إن ذلك كان تأريخ المسلمين وليس تأريخ الإسلام، أي إن المسلمين قاموا بكذا وكذا، أما كم كان مقدار تمسكهم بدينهم، فهذه مسألة اخرى، ولكن ليس من الانصاف ان نَحْسِبْ أخطاء المسلمين على الإسلام.

وقد اسلفت إن الديمقراطية تتلخص في حصر كل شيء وجعـ له بـ يد الشعب، هذا هو المرتكز الأهم في الديمقراطية، والتي تستند عليها سائر الاصول، وَالديمقراطية - لاشك - إن لها نقاط مشتركة كثيرة مع نـ ظام الحكم الإسلامي، لأن المجتمع في النظام الديمقراطي يحدد بنفـ سه قوانين حياته بواسطة الّذين ينتخبهم الناس في البرلمان، والّذين يتمتعون بالسلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وفي نظام الحكم الإسلامي، عدا إن الله تعالى حدد لعباده مجموعة من الأصول والـ ضوابط تتمـ ثل في الـ شريعة،

وليس لأحد مخالفة ذلك ولا العبث بها إعتباراً من النبـيّ ﷺ وو صولاً الى أي مسلم ضمن سائر المسلمين، كما يقول تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية– 18).

وواضح ان هذا الخطاب موجه للنبّي ﷺ ، وعليه فإن الرسول ﷺ أيضاً ليس له الحق في الإختيار أو الحياد ولا يسعه الاّ الإتباع، وما خلا هذا الّذي قاله تعالى و نصَّ عليه في شريعته المتجسِّدة في الكتاب و السنة، فإن الأصل فيه هو الإباحة وإطلاق اليد شريعة عدم التصادم مع نص شرعي، فمثلاً كيفية العمل بتلك الشريعة، وكيفية إختيار المسؤولين، ثم مراقبة المسؤولين للتأكد من مدى إلتزامهم بالشرع، ثم كيفية إدارة البلاد وضمان المصالح وإبعاد المخاطر، وكيفية تطوير البلاد وتنميتها، و ضمان الحياة الرغيدة للناس، سواء للفرد أو المجتمع... الخ، فهذا كله مو كول الناس الّذين ينضوون تحت رآية شريعة الله تعالى، أجَلْ! ف قد أر سل الله تعالى شريعة، يجب على الجميع الإلتزام بها إعتباراً من الن بيّي ﷺ، أو خلفيته، سواء سـمّي خليفة أو أميراً للمؤمنين، أو رئيساً للجمهورية، أو ملكاً، أو سلطاناً، او أي لقب آخر، فليست العبرة بالأسماء وإنّما ال عبرة بالمسميات، ووصولاً الى المجتمع فرداً فرداً، فليس من أحد ي كون فوق الشريعة البتة، واذاً فأكثر المسائل الموجودة في الديمقراطية نحن ننظر إليها كآلية والإسلام لا يتصادم معها، ولكن الإسلام يرفض جوهر الديمقراطية الكامن في وضع التشريع المطلق بيد الشعب، الإسلام يقول كلاّ، ف هذا من حق الله تعالى وحده كما يقول تعالى:

﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ لِلّهِ﴾(يوسف –40). .

وقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ (الشورى-21).

فالتشريع من حق الله وحده، اما ما يقوم به العلماء من الإستنباط والإجتهاد خصوصاً في النواحي السياسية والإدارية والإقتصادية فهذا تشريع جزئي مرتبط بالإطار الذي تضعه الشريعة لهم.

- فضيلة الأستاذ تفضلتم بأن للإسلام نقاط مشتركة مع الديمقراطية من الناحية الآلية.

+ نعم.

- لكن لا يحق لأحد في الديمقراطية أن يكون حاكماً مدى الحياة.

+ نعم .

- الشخص الاول في الدولة، حسب قوانين الدول، يحق له البقاء في الحكم لسنتين أو اربع أو خمس أو أكثر.

+ هذا صحيح.

- ولكن ليس الأمر في الإسلام على هذا النحو، فالخلفاء الأربعة حكموا حتى نهاية حياتهم.

+ هذا صحيح، فقد بقوا في الحكم الى أن توفوا أو استشهدوا، و سأجيبك على هذا، الديمقراطية لها بعض الآليات والمفردات، ومعلوم إن جوهرها لا يتفق مع روح الشريعة كما ذكرنا، لأنه يفوض الحق للبرلمان في التشريع، والأصح أن نقول: إن الديمقراطية تفوض الحق للناس في إنتخاب البرلمان، والبرلمان يُعْطى الحرية كامِلةً لإختيار ما يبدو له و رفض ما لايحلو له، وإختصاراً فهو طليق يفعل ما يشاء، وهذا يصطدم كما هو معلوم مع كون الحاكم المطلق والشارع الأوحد في الإسلام هو الله

تعالى، أما مسألة تداول الحكم، ومسألة الإنتخاب، ومسألة الأغلبية وحكمها على الأقلية، وسائر المسائل الإجتهادية التي تحتمل الجدال والنقاش وأهل الإختصاص مختلفون حولها، وكذلك مسألة الحقوق والحريات وكلها مفردات ديمقراطية، فهذه كلها مقرَّرة في النظام الإسلامي، والآن لنرجع الى المسألة التي أثرتها وهي (مدة الحكم) هذا الأمر لم يحدِّدْ في الإسلام، لا الحد الأعلى له ولا الحد الأدنى، فلم يرد أن الخليفة يجب أن يكون حاكماً الى آخر عمره، ولم يحدد له وقت أصلاً، وهذه من المسائل التي تقبل النقاش والإجتهاد وهي متروكة لعلماء الأمة وَرأي الناس.

– لكن أليس النبـّي ﷺ يقول: عليكم بسنتي و سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، أليس هذا صحيحاً؟

+ نعم هذا صحيح.

– ألا تصبح سيرة هؤلاء نهجاً لحياتنا؟

+ كلاّ، إن سيرة أولئك الخلفاء (رضي الله عنهم) لا تصبح نهجاً مُلْزِماً لنا لأنهم أيضاً إجتهدوا عند عدم وجود النص الصريح، فنحن نرى أبابكر رضي الله عنه فعل شيئاً لم يفعله عمر رضي الله عنه بل إنتقده، وعندما تسلّم عمر الحكم عمل بما رآه حسناً، والنبـّي ﷺ يقول ((عليكم بسنتي و سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي) فمنهج الخلفاء بالنسبة لنا عموماً موضع إقْتداء، ولكن ليس ذلك في آحاد المسائل، فمثلاً إذا إختلف أبوبكر وعمر (رضي الله عنهما) في مسألة، فأيّ الرأيين نختار؟ أو إذا إختلف أربعتهم حول مسألة كيف سيكون إختيارنا؟ أيعقل أن نطبق الآراء الأربعة في آن معاً؟! إذاً فنحن مرتبطون بالنصوص الشرعية، وننظر الى إجتهاد العلماء وآرائهم، حتى إجتهاد الخلفاء الراشدين أنفسهم كآراء بشرية وفقه و

إجتهاد، سنة الخلفاء عموماً تشكل لنا قدوة، ولكن ليس بالضرورة في كل مفردة منها بعينها، والنبـي ﷺ يقول: ((ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضّوا عليها بالنواجج))(رواه أحمد و أبو داود وابن ماجة وغيرهما) وهو صحيح.

نفهم من سياق الحديث ان مقصود النبـي ﷺ ان سنة الخلفاء حال إختلاف الأمة – هي المرجع والمقياس الصادق، فهم المختارون من قبل الأمة بالشورى والبيعة، وهم الملتزمون بالشرع إلتزاماً ممتازاً، يستشيرون الناس ويقبلون إنتقاداتهم ويعاملونهم بالعدل، ولا يمدون أيديهم الى أموال المسلمين... الخ، أما مسألة مدة الحكم التي تنص الديمقراطية على وجوب كونها اربع سنوات أو خمس او ست أو غير ذلك، فليس ذلك آية لا ينبغي تغييرها، ومدة خلافة أبى بكر كانت سنتين وثلاثة أشهر وكان الناس يتمنون لو طالت عشر سنوات، ثم كما يحق للنظام الديمقراطي الغربي أن يحدد مدة للحكم من أربع سنوات أو أكثر، فكذلك يحق لنظام الحكم الإسلامي أن يحدد دورة من عشرة سنوات، ويجيز الإنتخاب لثلاثة دورات، فالمهم أن يكون الإنتخاب من قبل الشعب، فإذا شاء الناس أن يولوه السلطة لخمس سنوات أو لعشر... أو يكون من حق الرئيس أن يُنتخب لدورة أو دورتين أو ثلاث، ليس من حق أحد أن يُلزم الآخرين بهيئة واحدة لذلك، لأن الديمقراطية بما تحملها من مفردات هي تجربة الناس في الغرب في مجال الحكم، ولو إستمر نظام الحكم الإسلامي على الأساس الذي بُنيت عليه الخلافة الراشدة، فمن المؤكـد أن يكون هناك الآن بدل التجارب الخمس (أبوبكر وعمر وعثمان و على) و (عمر بن عبدالعزيز) الّذي يعتبر الخليفة الراشد الخامس (رضي الله عنهم) جميعاً، كان هناك

عشرات الصور للحكم كلها في إطار الشرع ووفق آلية الشورى، وذلك لأن قضايا الإنتخاب وحكم الأكثرية وتداول الحكم...الخ، كلها تعود الى أصل الشورى: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾ (الشورى –38).

– في مجال الآليات، تأتي مسألة الإنتخابات:

فنحن إذا نظرنا الى التأريخ الإسلامي وجدنا أنّه قلما تجرى الإنتخابات، فهل الإنتخاب أصل من الأصول، أم إن ذلك من حق الخليفة أن يوصي بالخليفة من بعده، هل الأمر هكذا، أم إن الناس هم الذين يختارون الخليفة؟!

+ يقول تعالى: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾ (الشورى –38)، و قد ورد هذا التوجيه القرآني في سياق آية من (سورة الشورى) هذا نصّها: ﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ (الشورى –38).

حددت الآية أربعة أوصاف للمسلمين: الإستجابة لله تعالى، وهذه صفة عامة، ثم تذكر الآية الخصال الأخرى: (وأقاموا الصلاة) لأن الصلاة أساس الناحية المعنوية، والفرد المسلم أو المجتمع المسلم يجب أن تكون لديهم صلة روحية مع خالقهم، فيسجدون له ويركعون، ومعلوم ان الصلاة تعد أكبر شعيرة من شعائر الإسلام سواء للفرد او المجتمع، ثم نقول: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾ وهذا أساس الأمور الاجتماعية والنشاطات السياسية، ووردت في الآية بعد ذلك ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ (الشورى –38). وهذا شعار الناحية الاقتصادية، إذاً: فتلك النواحي الروحية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، يجب ان تكون بالهيئة التي تُرضي الله تعالى وَعلى أساس تلك الأسس الثلاثة، وقد نفذت مسألة الشورى في

زمن النبـّي ﷺ على أحسن ما يرام، يروي أحد اصحاب النـبـّي ﷺ (ما كان أحد أكثر مشورة بأصحابه من رسول الله ﷺ) (رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه).

ونحن لو تأملنا سيرة النبـّي عليه الصلاة والسلام، لوجدناه ﷺ كلما لم يرد نص حول مسألة من المسائل سارع عليه الصلاة والسلام في إستشارة أصحابه رضى الله عنهم وكان يأخذ برأي الأكثرية في القضايا العا مة و برأي أهل الإختصاص في القضايا الفنية التي يتحَكّم فيها الإختصاس.

– تفضلتم بانه كانت هناك شورى، ولكن كيف كا نت م سألة الإل تزام بالاكثرية، أي هل المشورة أخذ الاراء فقط؟ ام الالتزام بها ايضاً؟.

+ هناك أشكال بهذا الصدد بين العلماء، وهو هل الشورى مُلزمة أم مُعْلمة؟

وَلكن الإنسان إذا تملّى في الآيات القرآنية بدت له الم سـألة وا ضحة جداً لأن الله تعالى جعل الشورى بين الصلاة والزكاة، فهل الصلاة فرض أم لا؟

– فرض طبعاً.

+ والزكاة هي أعظم أنواع الواجبات وبعد الصلاة؟

– فرض أيضاً.

+ فالله سبحانه وتعالى وسّط الشورى بين هذين الفر ضين لنعلم با نه إذا كانت الصلاة ركناً عبادياً والزكاة ركناً إقتصادياً، فالشورى ركن سياسي أيضاً، والله سبحانه يخاطب الرسول ﷺ قائلاً: (و شاورهم في الأ مر) فالخطب هنا جاء بصيغة الأمر (شاورهم) ولا يعقل أن يؤكد الله تعالى عل الشورى والمشاورة كل هذا التأكيد ثم لا تكون النتيجة ا لتي تتمخَّض عنها مُلزِمةً!

– ولكن يا فضيلة الأستاذ، نحن نعلم بأن حول هذا الموضوع خلافاً.

+ نعم، كيف؟!

– فكل آية من تلك الآيات التي فيها ذكر الشورى فَسَّرت بحيث تكون الشورى مُلزمةً آناً و مُعْلِمةً آناً آخر حسب الاختلاف الوارد، فمثلاً في عهد ابى بكر رضي الله عنه وهو خير الامة بعد نبيها ﷺ نراه في حروب الردة أصر على حرب اهل الردة ومانعي الزكاة، رغم مخالفة اكثر الأصحاب لفكرة دخول الحرب، ولكن أبابكر رضي الله عنه قرر أن يخوض الحرب ولو لوحده.

+ للعلماء على هذا جوابان: الاول ان ابابكر كان يسير في تصميمه وفق نص قرآني وهو قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة –11)، ويقول تعالى في الآية الاخرى: ﴿فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ (البقرة –5)، لأن الصلاة المفروضة حق الله تعالى، والزكاة حق الناس! فأبوبكر إذاً – على هذا – كان النص في يده وكان يقول رضي الله عنه بأن الله تعالى ذكر الصلاة والزكاة مقترنتين، ولأُقاتلن من يفرق بين الصلاة والزكاة، وهنا رضي الأصحاب بعد أن رأوا ما إستدل به الخليفة من آية، وكذلك بالحديث الذي (رواه البخاري) ((اُمرت أن اقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأني رسول الله فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الاّ بحقها وحسابهم على الله)) (ولم تكن الجزية قد شرعت وقت قول النبـّي ﷺ لهذا الحديث، أو إنه ﷺ إكتفى بذكرها في أحاديث اخرى).

وهناك روايات تشير الى إن الذين إستشهدوا بهذا الحديث هم الأصحاب (رضي الله عنهم)، ثم أجابهم ابوبكر رضي الله عنه بقوله! (إلا بحقها.. والزكاة من حقها) ومعلوم إن كثيراً من الّذين قاتلهم خليفة رسول الله

ﷺ في حروب الردة كانوا من المسلمين سوى إنهم كانوا إمتنعوا عن إخراج الزكاة من أموالهم! ولذلك فقد سمى بعض المؤرخين تلك المعارك بـ(قتال مانعي الزكاة).

– إذاً أنت تقول إن الخليفة كان بيده نص من القرآن.

+ هذا أحد الجوابين، أما الجواب الثاني فمفاده إن أبابكر ﵁ أقنع الأصحاب رضي الله عنهم برأيه، أي إن الّذين يقولون بأن أبابكر لم يكن بيده نص، يقولون أقنع باديء الأمر عمر، وذلك أن عمر ﵁ قال: فلما رأيت إصرار أبى بكر على رأيه شرح الله صدري له، والأصحاب بطبيعة الحال كانوا يثقون بما يراه أبوبكر وعمر ﵄، ولذلك إقتنعوا ومالوا الى رأيهما، ولذلك فإنني أرى إن الرأي الراجح هو أن نتيجة الشورى ملزمة، فبالنظر الى نصوص القرآن والسنة، وسيرة النبـي ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، نرى إنه لم يحدث ان جعل المسلمون أمراً ما شورى بينهم، ثم أعرضوا عن رأي الأكثرية.

– تفضلتم انه لم يحدث في تأريخ الإسلام أن أُهمل رأي الأكثرية، ولكن ألم يكن رأي الأكثرية على إطلاق سراح الأسرى في بدر؟!

+ نعم هكذا يبدو.

– ولكن كان هناك من خالفوا رأي الأكثرية.

+ نعم هذا صحيح، وكان أبرزهم عمر بن خطاب ﵁.

– فهل التزم رسول الله ﷺ برأي الأكثرية ام لم يلتزم؟!

+ لايوجد دليلٌ واحد على أن رسول الله ﷺ جعل أمراً شورى بين المسلمين، ثم لم يلتَزِمْ برأي الأكثرية، ولكن في مسألة أسرى بدر نقطة لابّد من التنبّه لها وهي: أن مشاورة النبّي ﷺ بأصحابه في شأن أسرى

بدر كانت من نوعِ مشاورة أهل الإختصاص وليست المشاورة العامة، ولهذا لم يستشرْ سوى عددٍ قليل من الصحابة وفي مُقَدِّمتهم أبوبكر وعمر رضي الله عنهما وَنتيجة هذا النوع من المشاورة- كما أرى- إنّما يحْسِمُها الدليل الواضح وليست الأكثرية.

ثم أقول: طالماً لم تكن هناك آية نزلت بذلك الشأن، كان الإجتهاد مفتوحاً، وهذه مسألة مهمة جداً، إذ لِماذا نحن نقُول بأن الديمقراطية – في أحيان كثيرة – تُعَرِّض الناسَ لمساوىء جمّة؟ لأنها لا تُبقي للخالق شيئاً! ولكن العلماء وضعوا قاعدة شرعية مهمة وهي: (لا إجتهاد في معرض النص) أو (لا إجتهاد في مقابل النص) نعم فما دام الناس يعدون أنفسهم مسلمين، وقد قال الله وقال الرسول ﷺ، فلم يعد هناك متسع لأحد ليقول شيئاً: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إذا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُّبِينًا**﴾ (الاحزاب- 36).

- سأعيد السؤال يا أستاذ: طيب، اذا كانت النصوص بهذا الوضوح لديك، فنحن لسنا نشك إن العلماء كلما كانوا أقرب الى عهد رسول الله ﷺ كلما كانوا أحسن فهماً للنصوص، أليس كذلك؟

+ بلى.

- ولهذا كثيراً ما يثار القول باننا يجب أن ننظر الى النصوص الشرعية بمنظار السلف الصالح، فلماذا كانت هذه الحقيقة التي تعتبرها واضحة، كانت عبر التأريخ الإسلامي أو التأريخ السياسى للاسلام غائبةً عن الناس؟! فالعمل برأي الاكثرية، والشورى في عهد الأمويين والعباسين ليس واضحاً!

+ أخي توفيق، سأجيبك على هذا السؤال: أما الأعتبار لرأي الأكثرية فعندما لا يكون حول المسألة نص.

– عندما لا يكون حول الموضوع نص؟!

+ نعم فعندما يقول تعالى شيئاً، فلا تُفيدُ هناك أكثرية وأقلية، مادام الفرد أو المجتمع يَعُدُّ نفسه مسلماً وعَبْداً لله، إذ من بديهيات الإيمان إن الله تعالى أعلم من الجميع، وأقدر من الجميع، وأحكم وأرحم من الجميع، فاذاً حين يقول الله تعالى شيئاً يجب علينا جميعاً أن نستسلم له، وإذا لم نفهم شيئاً على وجهه، فيجب أن ندقق فيه، وأن نتهم عقولنا بأنّها لم تُحط بالشيء فهماً، لا أن نشك في النصوص ما دمنا نؤمن إنها من عند الله، أو من عند رسوله ﷺ، أما فيما يخص ما تفضلتم به فأقول: إن الله قد أعطى الإختيار بيد الناس فيما يخص خضوعهم للشريعة من عدمه، ولم يبعث الله تعالى ملائكة يوجهون الناس بالإكراه نحو الشرع سواء الّذين لايؤمنون بالشرع أصلاً أو الّذين يقومون بمقتضى إسلامهم بصورة معوجّة، لأن الله تعالى جعل هذه الدنيا داراً للإتبلاء وليست للجزاء: ﴿الّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ (الملك –2)، أو قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾(البلد –10).

هذا من جهة، ثم عندما يصبحون مسلمين فأنّهم يتمتعون ايضاً بالإرادة الحرة، دون إكراه أو جبر، ليُعلم مدى تمسكهم بشرع الله تعالى ومع العلوم أن إلتزام المسلمين يكون حسب إيمانهم، إذا كان إيمانهم قوياً كان إلتزامهم جيداً، و عندما يكون إيمانهم ضعيفاً يكون إلتزامهم ضعيفاً، وخصوصاً أهل السلطة منهم، وكان إلتزام ولاة أمورا لمسلمين بالإسلام

ممتازاً عموماً- في زمن النبـّي ﷺ وَ زمن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، أما النبـيّ ﷺ فكان مرسلاً من الله جل وعلا.

وأما الخلفاء الأربعة فكانوا منتخبين من قبل الناس، ولكن من الناس من لايستوعب إستخلاف أبى بكر و لعمر من بعده، ولكن علماء الإ سلام يقولون بان ذلك انما كان ترشيحاً، إذ لو إن المسلمين لم ينتخبوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من تلقاء أنفسهم ولم يبايعوه فهل كان ترشيح أبى بكر كافياً ليصبح خليفة؟! طبعاً لا، لان ترشيحه لم يعدو أن يكون إستحساناً من أبى بكر لعمر (رضي الله عنهما)، وعندما صوّت له المسلمين إنعقدت له بيعة الخلافة، وكذلك عثمان وعلي (ر ضي الله عنه ما)، لأن عل ياً رضي الله عنه في إحدى خطبه في نهج البلاغة يستشهد لشرعية حكمه وخلافته أمام معاوية ويقول ما معناه، إن الّذين إختاروني للخلافة هم الّذين إختاروا أبى ب كر وعمر وعثمان، أي ما يسمى في الإصطلاح الفقهي بأهل الحل والع قد، وبالإصطلاح المعاصر بـ(مَجْلس الشورى)، إذاً فالخلفاء الأربعة إنتخ بوا جميعاً على أساس الشورى من قبل ممثلي الشعب.

ولكن بعد إنقضاء عصر الخلفاء الراشدين، وفي عهود الح كم ا لوراثي حصل الإنحراف في هذا المسار رغم وجود النصوص!! ولذلك عندما أراد معاوية أخذ البيعة لإبنه يزيد قسراً وهو لم يزل حياً، ونحن لانُسيءُ ال ظّن بمعاوية ولاندّعي إنه كان يبيّت السوء من صنيعه ذاك، فقد يكون إجتهاده أدى به الى ذلك طلباً لوحدة صف المسلمين وبُغية ألاّ يتفرقوا من ب عده، ولكن الذي لاشَك فيه إنه أخطأ في اجتهاده، وشكل بعمله ذاك حيدة عن منهج الإسلام، وسيرة النبـّي ﷺ والخلفاء الراشدين، و لذلك خا طب

عبدالرحمن بن أبى بكر بن معاوية بقوله: أهرقلية كهرقلية الروم كلما هلك هرقل جاء هرقل؟!!

ومعلوم أن قول عبدالرحمن هذا كان يعبر عن مشاعر جميع المسلمين، لأنّهم جميعاً كانوا على يقين إن هذا التصرف غريب عن روح الإسلام مخالف للشرع ولأحاديث النبيّ ﷺ، كما يقول النبيّ ﷺ في حديث له بهذا الصدد:

((خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله ملكه من يشاء)) (رواه احمد والترمذي والنسائي وابوداود)، ومصداق ذلك ان خلافة ابي بكر استغرقت سنتان وثلاثة أشهر، ثم خلافة عمر إستغرقت عشر سنوات وستة أشهر، وخلافة عثمان إستغرقت إثنتا عشر سنة، يضاف الى ذلك مدة خلافة علي – وهي أربع سنوات وتسعة أشهر، وبالأشهر الستة التي كان فيها الحسن خليفة يكمل ثلاثين سنة بالتمام. أما كيف تكون الخلافة من بعدهم؟ يقول الرسول ﷺ ((ثم يؤتي الله ملكه من يشاء)) وفي حديث آخر: ((ثم يكون ملكاً عضوضاً)) و ((ثم يكون ملكاً جبرياً)) إذاً: فهذه النصوص هي نصوص في محل النزاع، ولكن هل النصوص تعمل من تلقاء ذاتها، أليس الواجب أن يطبقها الناس؟ واسمح لى أن أسرد في هذا الصدد هذه القصة: عندما أوشك جيش معاوية في معركة صفين على الإنكسار رفعوا المصاحف وطلبوا تحكيم القرآن، فطلب الخوارج من علي رضي الله عنه إيقاف القتال لأن الجيش المقابل يطلبون تحكيم القرآن، فقال علي: أنتم قوم لا تفقهون، هذه كلمة حق يراد بها باطل، و هل يأت الله بنفسه ليحكم بيننا، القرآن هو الحكم، لكن الناس هم الذين يحكمون به ويطبقون، يجب ان يختار المسلمون بأيديهم حكم الله تعالى.

– طيب يا أستاذي العزيز، وماذا عن تداول السلطة في النظام الديمقراطي؟ مثل الإنتخابات والعمل بالشورى وَرأي الاغلبية وتحقيق الحريات أليس كل ذلك موجوداً في الإسلام، وفي الديمقراطية ايضاً، إذاً ألا يصح أن يقال: أن نظام الحكم في الإسلام عبارة عن الديمقراطية؟! لماذا لا نستطيع أن نقول هذا؟

+ نعم، أنا سأتحدث عن قولك الأخير، لماذا لا نستطيع قول هذا؟ ولكنّني أريد الإشارة هنا الى مسألة فأقول: للأسف، هناك عندنا إسلاميون (إنّني أكنّ لهم الإحترام ولكن ذلك لا يُثْني عزمي عن الحديث عن أخطائهم ونقاط التقصير فيهم) أصيبوا بالهزيمة والإنكسار الداخلي تحت ضغط الحملات الإعلامية والسياسية والإقتصادية والعسكرية التي يشنها الغرب بقيادة أمريكا على العالم الإسلامي، فهم يشعرون بهيبة وحياء بالغَيْن تجاه المصطلحات وَالانظمة التي تلقى رواجاً في الساحة العالمية الآن.

– لو أوضحتم لنا قليلاً.

+ مثلاً: عندما يجرى الحديث عن حقوق الإنسان او العلمانية او الديمقراطية او العولمة، يقوم هؤلاء بليِّ رقاب النصوص لتلائم تلك المصطلحات والنظريات الجاهلية فهم يسارعون الى التأويل والترقيع، فيقولون: الإسلام أيضاً هكذا والإسلام أيضاً يقول ذلك، فترى الإسلام – في رأي هؤلاء ووهمهم – مكتظاً باصول الديمقراطية والعولمة والعلمانية أيضاً، وهذه لاشك هزيمة نكراء قد حلَّتْ بهم، إن الديمقراطية لم يمر على العمل بها في الغرب اكثر من (300) عام ولكن الإسلام منذ أكثر من (1400) عاماً كان نِظاماً فعالاً للحكم على الأرض، ولئن كانت الديمقراطية معمولاً بها على مستوى دول أو بعض دول، فإن نظام الحكم

الإسلامي في عهد النبـّي ﷺ وفي عهد الخلفاء الراشدين كان يعمل به على مستوى الأمة الإسلامية بجميع شعوبها ومللها ونحلها، إذاً فالإسلام سابق على الديمقراطية من الناحية الزمنية، لذلك يجب أن نقول: إن في الديمقراطية الشيء الفلاني شبيه بما في الإسلام، وليس الشيء الفلاني في الإسلام يُشْبِه ما في الديمقراطية!! أي اننا يجب ان نقيّم الديمقراطية بالإسلام لنتبيّن حالتها ومستواها، هذا اولاً.

وثانياً: لماذا لانستطيع القول إن نظام الحكم في الإسلام نظامٌ ديمقراطي؟ لأن الله تعالى سمى دينه (الإسلام) ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا﴾(المائدة –3)، والحق ان الديمقراطية ايضاً دين ومنهج متبع، لكن اسم دين الله هو (الإسلام) والله تعالى يقول: وَرضيت لكم الإسلام ديناً، ويقول ايضاً ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (آل عمران–116).

وثالثاً: ان نقاط الإلتقاء بين الإسلام والديمقراطية نقاط آلية، ولكن الذي يتعارض مع الإسلام جوهراً وأساساً هو تفويض الديمقراطية حق التشريع للبشر يشرّعون لأنفسهم ما يشاؤون، وذلك كما أسلفنا مراراً حق محض لله تعالى، وهو أمر جذريٌّ متعلق بالتوحيد بصورة مباشرة.

– أستاذي العزيز، يبدو انك تعتقد ان في الديمقراطية نقاط ايجابية.

+ نعم، ولكنني اعتقد ان تلك النقاط موجودة بصورة أفضل في الإسلام.

– فما هي النواحي السلبية في الديمقراطية في نظركم، هل هي إعطاء حق التشريع وتحديد الحلال والحرام الى الشعب؟!

+ إن هذه النقطة التي تشكل مضمون الديمقراطية وجوهرها، هي أسوء ما في هذا النظام من مكونات، لأنها تتصادم – كما قلت آنفاً – مع الإيمان والعقيدة، لأن جوهر العقيدة في الإسلام هو التوحيد وحاكمية الله تعالى

مرتبطة بتوحيد الله في ربوبيته وَ ألوهيته، ولذلك عد الله الأقرار بالتشريع لغيره إشراكاً به تعالى كما يقول سبحانه: ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذن بِهِ اللَّهُ**﴾ (الشورى-21). وبعد هذا الإيضـاح، أجِدُ من المناسب ان آتي بكلام للعالم المشهور الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، وأنا أحترم هذا الرجل كثيراً، وأعتبره من العلماء الأعلام، ومع ذلك فان موقفه من الديمقراطية موقف خـاطئ، ولكن لكل جواد – كما يقولون – كبوة.

يقول في كتابه (من فقه الدولة في الإسلام) ص (132): (الواقع ان الذي يتأمل جوهر الديمقراطية، يجد انه من صميم الإسلام...).

– اذاً انت مع الدكتور القرضاوي على طرفي نقيض!

+ نعم أنا أخالفه في هذا وسبق أن أوضحت هذا، ولكنني سَأَنْقُضُ كلام الشيخ القرضاوي بكلامه هو، ولكن اسمح لي الآن أن أذكر ما يستدل به لدعم موقفه فهو يقول: ((إن جوهر الديمقراطية بعيداً عن التعريفات والمصطلحات الأكاديمية هو أن يختار الناس من يحكمهم ويسوس أمرهم وأن لا يفرض عليهم حاكم يكرهونه أو نظام يكرهونه وإن يكون لهم حق محاسبة الحاكم إذا أخطأ وحق عزله وتغييره إذا إنحرف وأن لا يُساقَ النّاسُ رغم أُنوفهم الى اتجاهات أو مناهج إقتصادية أو إجتماعية أو ثقافية أو سياسية لا يعرفونها ولا يرضون عنها)) (ص 32)، نعم إن فضيلة الدكتور يعتبر تلك المسائل جوهر الديمقراطية، والحق أنّها ليست جوهر الديمقراطية ولا تعدو أن تكون آليات ليس إلاّ، ولكن صحيح إن تلك المسائل إذا كانت مرتبطة بالشرع فإنّها غير مخالفة مع نظام الحكم الإسلامي.

لكن الغريب إن الدكتور القرضاوي نفسه في ص(36) من كتابه المذكور ينقض كلامه بنفسه قائلاً: ((كما إن الديمقراطية على ما لها من محاسن لا تحكمها أصولٌ تقيّدها ولا تَضبِط سَيْرها فتستطيع بإسم ممثلي الشعب أن تلغي الفضائل وأن تقرر الرذائل وأن تُقنِّن المظالم وان تحلل الحرّام وان تحرِّم الحلال، حتى قيل في البرلمان الانجليزي: إنه يستطيع أن يقرر أي شيء الا أن يحول الرجل الى إمرأة او المرأة الى رجل)).

وأنا حقيقة أعجب من فضيلة الدكتور، اذا كان يعلم إن الديمقراطية تستطيع إلغاء الفضائل وإقرار الرذائل، إذاً كيف يسمح لنفسه أن يقول بان جوهر الديمقراطية لا يتصادم مع الإسلام!!

ويستمر الشيخ القرضاوي في نقده للديمقراطية فيقول:

((ولهذا رأينا الديمقراطية الأمريكية تبيح الخمر شرباً و صناعة وا تجاراً برغم ما ثبت من أضرارها المادية والمعنوية على الأفراد والأُسر والمجتمعات وعلى الاقتصاد والاخلاق ووجدنا بعض الديمقراطيات الغربية يبيح زواج الرجال بالرجال والنساء بالنساء)).

((إن الديمقراطية الغربية تستطيع أن تتحلل من أي شيء حتى من الديمقراطية نفسها بأغلبية خاصة أو بإستفتاء شعبي أو بغير ذلك من الحيَل، حتى قال أحد حكام العرب يوماً: إن للديمقراطية أنياباً ومخالب وإنّها يمكن أن تكون أشرس من الدكتاتورية!!)).

إذاً فالدكتور القرضاوي يميل الى قولنا في النهاية و هو إن الآليات الجيدة الموجودة في الديمقراطية ليس للإسلام إشكال معها، نعم إنّها بسبب الجوهر الشركي للديمقراطية وهو إسناد حق التشريع لغير الله، تصبح كوسيلة حسنة بيد شخص مُسيء، لأنّها في الختام تصبح في خدمة

المسيئين ومصالح الظلمة والمستبدّين وأصحاب رؤوس الأ موال لقضاء مآربهم النجسة.

ومن هنا يتبين لنا بوضوح، سذاجة الذين يعتبرون الديمقراطية والشورى في الإسلام شيئاً واحداً!! والحال إن الفرق بينهما كالفرق بين الثّرى والثريّا، لأن الديمقراطية تطلق الحرية للبرلمان وممثلي الشعب في تقرير ما ترغب فيه نفوسهم دون مراعاة لله ولرسوله ﷺ او لليدين والشرع والقيامة والاخلاق والقيم والضمير!

ولكن الشورى والإجتهاد، مرتبطان ومقيَّدان بالشرع فليس بأمكانهما ولا في وسعهم! مخالفة الشرع قيد أنملة، بل إن رسول الله ﷺ نفسه ليس له إزاء الشريعة الا تطبيقها، كما يقول تعالى: ﴿**أَيُّهَا النَّبِـيُّ اتَّقِ اللهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ (الاحزاب 1-2).

ويقول تعالى ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾ (الجاثية- 18)، ويقول تعالى ايضاً ﴿**فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ**﴾ (المائدة -49).

وختـــاماً أقـول:

لا شك إن نظام الحكم في الإسلام يحتوى على جميع الآليات والجوانب الإيجابية الموجودة في الديمقراطية هذا من جهة، ومن جهة أخرى، و من منطلق إن نظام الحكم الإسلامي مقيّد بحدود الشريعة كما هي الحال مع سائر قوانينه ونظمه، فهو بريء من المآسي والمصائب التي حلت و تحل بالنظام الديمقراطي، إن النظام الإسلامي بفضل الأسس والأعمدة التي

حددتها الشريعة وأهمها وأعظمها كون الله هو ا لحاكم المط لق، وحـ صر السيادة المطلقة في القرآن والسنة، نعم، إن نظام الحكم الإ سلامي بفـ ضل الشريعة وإجتناب تأليه غير الله تعالى، فأنه بخلاف الديمقراطية لن يصبح اُلعوبة بيد أصحاب رؤوس الأموال لتأمين مصالحهم اللامشروعة، فيجعلوها متأرجحة تذهب هكذا وهكذا.

- فضيلة الأستاذ، ختاماً نقول لك: جزاك الله خيراً، أسئلتـي لم تَنْـ تَه، بـ عد وسأدخرها للحلقة القادمة.

+ على الرحب والسعة، وجزاكم الله خيراً.

الحلقة الثانية

بسم الله والصلاة والسلام على قائدنا محمد وعلى آله و صحبه و من تبعهم باحسان الى يوم الدين.

أعزائي... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

إنّنا سعداء أن نلتقي بكم في هذه الحلقة من برنامجنا (التقصي) على أمل أن نجعل هذه الحلقة تكملة للحلقة السابقة، حول الموضوع الذي أثرناه مع فضيلة الأستاذ (علي باپير) أمير الجماعة الإسلامية، حول الديمقراطية والإستبداد وموقف الإسلاميين إزاءهما.

– فضيلة الأستاذ علي باپير، بعد الترحيب بكم، أود أن نبدأ من قول الدكتور يوسف القرضاوي الذي لمتموه بسبب تناقضه في أحاديثه عن الديمقراطية.

+ نعم.

– إن الشيخ القرضاوي ظن أنّ جوهر الديمقراطية هو آلياتُها، وقد قلتم: إنه في الصفحة (37) من كتابه المذكور يتحدث عن الديمقراطية بانها تحلل الحرام وتحرم الحلال، ولكني قرأت فيه بأنه يقصد الديمقراطية الغربية.

وقد فهمت من الدكتور القرضاوي، بأن بالإمكان أن تكون لدينا ديمقراطية شرقية أو ديمقراطية إسلامية، ولكن الديمقراطية التي يجب أن ننتهجها في الحكم لايحق لها تحريم الحلال وتحليل الحرام، ومع العلوم أن المسائل التي يوجد حولها نص فلا كلام فيها بعد ذلك، بل نستفيد من الآليات فقط، ولهذا نقول: ديمقراطية إسلامية!

+ بسم الله الرّحمن الرّحيم وبه نستعين، فيما يخص مسألة إننا إذا لم نخالف الشرع هل يجوز لنا القول: نحن و ديمقراطيّون إن مضمون سؤالك هو نفسه ما تحدثت عنه فلاشك إنّنا بغية تقييم أي شيء لابد لنا إبتداء من أن نعرفه على وجهه وهل إن ذلك الشيء قد طبق في مكان ما، فننظر فيه من خلال الواقع الذي تجسَّد فيه. وأنا أقولها بكل صراحة، – وي قول ذلك كل من تحدث عن الديمقراطية بأنصاف – إن الديمقراطية لا وجود لها بالمرة في الشرق الأوسط، ولكن لا أحد ينكر بأن الديمقراطية موجودة في أمريكا وفرنسا وبريطانيا والدول الغربية عموماً، فالديمقراطية إذاً هي تلك الموجودة في المنشأ الاصلي لها، لا ما أدَّعيه أنا بأنَّني لن أدَعَها تحيدُ عن الشرع! ولا أن يكون فيها ما يخالف القرآن والسنة ورغم ذلك أسميها ديمقراطية؟! الحق إنك تَبْهَتُ الديمقراطية وتظلمها بهذا الصنيع، بل إن ما تعنيه هو الإسلام وليس الديمقراطية، فإذا قال قائل: أليس قد أستُخدِمَت آليات الديمقراطية؟ نقول في الاجابة الحقيقة إن آلية نظام الحكم الديمقراطي ليس مُلكاً لأحد، لأن آليات الحكم مثلها مثل المسائل الإدارية لا تعود ملكيتها لأحد، بل هي تراث للبشرية وقع الآن بيد الغرب، وكان ذات يوم بيد المسلمين في الشرق.

وهناك من يقول إن الشورى في الإسلام بمعنى الديمقراطية!! وهما مختلفتان لاريب في ذلك، بل الى أبعد حدود الإختلاف، بالرغم من وجود بعض نقاط الإشتراك وذلك لأن الشورى في الإسلام مرتبطة بالشريعة، والديمقراطية الغربية ليست مرتبطة ولا مقيدة بشيء البتة.

– لكن أليست الديمقراطية مقيدة بالدستور يا أستاذ؟!

+ نعم، ولكنها مرتبطة بدستور يُصيغه الشعب، وهذا تحصيل حاصل، فكل شيء راجع الى الشعب، فان كانوا أهل خير قالوا خيراً وإن كانوا أهل شر قالوا شراً، والدكتور القرضاوي نفسه يقول عن هذا الموضوع[1] (و من هنا يمتاز نظام الشورى الذي تقوم عليه الدولة المسلمة لان للشورى حدوداً لا تتعداها، فعقائد الإسلام بايمانه، وأركانه العملية، وأسسه الأخلاقية، وأحكامه القطعية، وهي المقومات الاساسية التي ارتضاها المجتمع واقام عليها نظام حياته لامجال فيها للشورى).

نعم فالشورى الإسلامية تختلف عن الديمقراطية الغربية، بأنها تكون فقط في شيء لم يرد فيه نص، والشورى والإجتهاد لايكونان إلاّ في اطار الشرع، وكما يقول الأستاذ القرضاوي، فإن للشورى حدوداً لا تتعداها، فالربا محرم والسرقة محرمة، و محالٌ أن يستطيع أحد أن يغير ذلك، و لو إجتمع الناس الف سنة وأجروا الإنتخابات وجلس البرلمان فلن يستطيعوا أن يبدلوا شيئاً قد حسمه الله تعالى أو رسوله ﷺ – إن كانوا يعتبرون أنفسهم مسلمين – فما حرمه الله فهو الحرام، وما أحله فهو الحلال، فمثلاً يجوز للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة وفق الشرع، فلوا إجتمعت برلمانات الأرض لما وسعها تحريم التزوج بأكثر من واحدة – إذا كانت تعد نفسها مسلمة طبعاً– فكل من يعتبر نفسه مسلماً لايحق له أن يحرِّم شيئاً أباحه الله تعالى، أو ان يبيح شيئاً منعه الله تعالى، وقد أحسن الشيخ القرضاوي بقوله[2] ((ولا يملك برلمان ولا حكومة إلغاء شيء منها لأن ما

---

(1) انظر (من فقه الدولة في الاسلام) ص (37)

(2) المصدر والصفحة نفسها.

أثبته الله لا ينفيه الإنسان وما نفاه الله لا يثبته الإنسان)) وأحسب إنّك الآن فهمت ما عنيته من تناقض الأستاذ القرضاوي، فهو من جهة يقول: إن جوهر الديمقراقية لا يتصادم مع الإسلام! ومن جهة أخرى يقول: إن الديمقراطية بسبب عدم وجود إطار يقيها من الإنحراف، فأنها قد تنتهي بكوارث وطوام.

والآن سآتي الى إجابة سؤالك وخلاصته: كيف يدرك دين واقف حياة سريعة التبدل والتغير؟!

– نعم هذا ما أقصده.

+ غالباً ما يقول العلمانيون، ويبدو انك تسأل هذا السؤال على لسانهم، حيث كثيراً ما يقولون إن الدّين شيء جامد فأنَّى له أن يتدارك مسيرة الحياة المتسارعة في خطاها.

– نعم بالطبع هذا السؤال يسأله العلمانيون، فما هو جوابه؟!

+ جوابه ان الإسلام دين الله تعالى، بنظمه الحكمية، والإقتصادية، والإجتماعية، والجهادية، والعبادية، والأخلاقية، والله عندما وضع هذا الدين راعى كينونة الإنسان وطبيعته وفطرته، كفرد وكمجتمع، فنحن نرى بأن القضايا المتعلقة بالعقيدة والعبادة والأخلاق، من منطلق كونها مرتبطة بجوهر الإنسان وناحيته الروحية وهذه حقيقة ثابته نرى ان الله جلت قدرته قد وضع لها قوانين ثابتة، ففي ناحية العقيدة مثلاً، فالله الواحد الأحد، هذه أسماؤه وصفاته، وهكذا يتعامل مع عباده، وكذلك الأنبياء عليهم السلام من هم، والملائكة كيف هم، وهكذا بالنسبة للقيامة والجنّة والنار...الخ. فهذه ثوابت لاتتغير بحال من الأحوال، لماذا؟ لأنها متعلقة

بعدة حقائق متجذرة وعميقة في الوجود لاتقبل التغيير، وهي ثابتة في فطرة الإنسان ايضاً، نأتي الى مسألة العبادة، كيف يعبد الإنسان ربّه؟!

الله وحده يعلم هذا ويحدده، أنا سآتي لك بمثال واحد:

(الوضوء) وهو شيء بسيط ضمن العبادات، لم يتـركه الله تعالى لنبـيه ﷺ نعم ورد عن النبــيّ ﷺ في سنتّه العملـيه ـبأن تو ضؤوا ه كذا وهكذا، ولكن الله تعالى وضح هذا ضمن آية من سورة المائـدة، مع ان الوضوء مسألة جزئية؟! لأن تقرير العبادة أمر فوق مستوى العقل، ثم كيف نمارس العبودية لله تعالى، وكيف نتعامل معه سبحانه، الله و حده أعلم بهذا، لذلك حدد ذلك بنفسه، يقول تعالى عن الوضوء: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ**﴾ (المائدة –6)، يقول علماء الشرع: للوضوء فروض ستة: النية، وغسل الوجه، وغسل اليدين الى المرفقين، ومسح الرأس (كله أو بعضه)، وغسل الرجلين الى الكعبين، والترتيب، فالله تعالى ذكر كلَّ فروض الوضوء في هذه الآية بالتـرتيب.

نعم إن القضايا المتعلقة بالعبادة وعبودية الله تعالى ورد ذكرها جميعاً في القرآن، والنبــيّ ﷺ اوضحها بالتفصيل ولم يُتـرك شيء من ذلك لإجتهاد العلماء وإستنباطهم، وكذا مسألة الأخلاق فمثلاً: (الصدق) شيء حسن، (وحفظ الامانة) سجية حسنة، (والعفاف) خلق حسن، ومادام الأمر كذلك فهي أمور واجبة ومتعينة، اما (الكذب، والظلم، والقتل) فأشياء قبيحة، لذلك فهي محرمة، وليس ثمّ تغيير يمكن أن يطرأ على هذه الأشياء، لماذا؟ لأن هذه المسائل متعلقة بالفطرة وكينونة الإنسان، ولكن...

– واذا طلب الناس بأكثرية الأصوات شيئاً يخالف الإسلام؟!

+ مثل مـــاذا؟!

– الفساد الاخـــلاقي مثلاً.

+ نعـــم.

– لقد حظيت العفة في الإسلام بالأهمية البالغة ولكن هل أكثرية الناس الآن يعتقدون بضرورة العفة؟

+ أنظر أخي توفيق، هناك أمران يجب ألاّ يختلطا: الفطرة والعادة، و الفرق بينهما أن العادة ما كانت موجودة في مجتمع وغير موجودة في مجتمع آخر، لكن الفطرة لا إستثناء فيها، فهي موجودة بين الناس جميعاً، لأن الأشياء الفطرية متعلقة بطبيعة الإنسان وهم جميعاً مشتركون فيها، أما الإنهيار الاخلاقي والإباحية المتفشية في الغرب، فعادة سيئة ظهرت بينهم، ولم يكونوا في الأصل هكذا وهم أنفسهم سائمون منها، فهذا أمر لا علاقة له مع الفطرة بل هو مخالف لها!

– أستاذ قبل مائة سنة من الآن، لو كان رجل أبصر أجنبياً مع زوجته لأقام الدنيا وأقعدها؟! أنا لا أتحدث عن أوروبا فقد رأيت في كردستاننا هذه قبل مدة وزير الثقافة الفرنسي وكان قد جاء زائراً، وفي الطريق رأى عروسين وَقبلَّهما، وقد أخذ الزوج قُبلْةَ الوزير لزوجته بروح رياضية! وإعتبرها حالة إعتيادية!

+ إعتبرها حالة إعتيادية!

– والله، الظاهر لأنه كان يضحك!

+ نعم يا أخي توفيق، تفسير هذه الحالة هو إنعدام الغَيْرة وإنهيار الأخلاق، إذ الخصال الفطرية تنمو عن طريق التربية والتعليم، كما يقول تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس: 7‑10).

ماهي التزكية؟! معناها التنمية والتعليم والتطوير، والمشهد الذي أ نت رأيته، ليس أمراً فطرياً، بل عبارة عن وقوع تحت تأثير عادة قوم مُسخت فطرتهم، فالرجل أراد أن يتلاءم مع ذلك الجو، أنا أعلم إن ذلك الرجل كان يكره في قرارة نفسه منظر إحتضان الوزير وتقبيله لزوجته! ولكن قبل بذلك حتى لاينتقده أحد، تماماً كالنساء اللاتي يلبسن الألبسة العجيبة والغريبة، ومنهن من يقول: إنّنا في قرارة أنفسنا لا نشعر براحة أو أمن ولكنها العادة نخشى مخالفتها حتى لا نتعرَّض للنقد!

- لنرجع الى بيت القصيد، قلنا ان العقيدة والعبادة والاخلاق وضعت لها قوانين وأحكام ثابتة!

+ نعم فالله تعالى وضع لذلك نصوصاً لامجال للإجتهاد فيها، اللّهم الاّ في كيفية تطبيقها لأن الشريعة قد وضعت فيها النقاط على الحروف. ولكن النصوص المتعلقة بالناحية المادية في الإنسان ليست كذلك، لأن الروح ثابتة، أما الناحية المادية فمتغيرة من حال الى حال، لذلك فإن النصوص الشرعية في الكتاب والسنة ذات الصلة بناحية الحكم والسياسة أو الناحية الإدارية والإقتصادية والإجتماعية، لا نراها فصلت كبير تفصيل، فشكل الدولة غير محدد في القرآن، في الوقت الذي حددت كيفية الوضوء في الجانب العبادي، وحتى السنة النبوية لم تحدِّدْ شكل الدولة في الإسلام، بل الوارد في الكتاب والسنة هي الركائز التي يجب أن تستند اليها الحكومة الإسلامية، وكذلك من الناحية الإقتصادية فمن جهة يثبت القرآن الملكية ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة –286)، أو

قوله تعالى: ﴿فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة – 279)، ومن جهة أخرى يقول تعالى: ﴿كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ﴾ (الحشر– 7)، إذا فالإسلام من الناحية الإقتصادية حدّد الأصول والقواعد العامة فقط.

فمن جهة يحق للإنسان ان يأكل من كسبه وكدّه، ولكنه من جهة اخرى يُقال له لا يجوز لك أن تكدس الأموال على حساب الناس، ﴿كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ﴾ (الحشر– 7) اذاً لا يجوز أن تجتمع الأموال والثروات وتحصر في أيدي الأثرياء، وعلى هذا فالنظام الرأسمالي غير مشروع في نظر الإسلام، وظهور طبقة البورجوازية الموجودة حالياً في النظام الرأسمالي أيضاً غير مشروع، وليس كما تقول الإشتراكية أيضاً، أن الإنسان مهما أجهد نفسه يكون مع الذي لايصرف الجهد سواء!!

نعم، فلقد حدد الإسلام في هذه النواحي مجموعة من الركائز، و مع ذلك فقد ترك فراغاً واسعاً، ولماذا؟ لتقدم الزمان وتطور الحياة، ولإجتهاد العلماء وإستنباط المختصين لكي يملؤوا ذلك الفراغ بالأحكام والقوانين المستنبطة والملائمة.

من أين جاء ذلك الكمّ الهائل من إجتهادات الفقهاء وأهل الإختصاص في التجارة والبيع والمعاملة، وفي مجال العلاقات الدولية؟ لاشك جاء من حيث أن الله تعالى أنزل بعض الآيات وَالنبيّ ﷺ وجه الأمة ببعض الأحاديث، في تلك المجالات، ولحكمة بالغة تُركت هنالك بعض الفراغات، كي لا يتقيّد الناس أمام التغيرات الحاصلة في مسار الزمان وتطور الإنسان، بل يكون أمامهم متسع رحيب للإجتهاد لملء تلك الفراغات وفق مصالحهم.

وهنا إستحسن إيراد نص للعلامّة (إبن قيم الجوزية) في كتابه (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) ص (13-14) والذي ينقل بعضه من العالم المشهور (إبن عقيل) فيقول:

((فقال إبن عقيل: السياسة ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب الى الصلاح وأبعد عن الفساد وإن لم يضعه الرسول ولأنزل به وحي)) ثم يقول: (فإن أردت بقولك: الاّ ما وافق الشرع، أيْ لم يخالف ما نطق به الشرع، فصحيح، وإن أردت: لا سياسة الاّ ما نطق به الشرع فغلط وتغليط للصحابة) وبعد أن يستدل ببعض الأمثلة، يقول: (فقد جرى من الخلفاء الراشدين من القتل والتمثيل مالا يجحده عالم بالسنن..) فيأتي بأمثلة على أشياء فعلها الخلفاء الراشدون ولم يفعلها النبيّ ﷺ، فمثال ذلك: حرق المصاحف في زمن عثمان رضي الله عنه، بعد أن جمعوا الناس على مصاحف عثمان رضي الله عنه، وكان لكل صحابي مصحف، فجمعوا كل تلك المصاحف وأحرقوها، لان كلاً من هؤلاء كان قد كتب مصحفه بإجتهاد شخصي حسب أسلوبه، وكذلك فقد أحرق عليٌّ الزنادقة الّذين يقولون بالوهيته! وكذلك نفي عمر بن خطاب رضي الله عنه لـ(نصر بن الحجاج) من المدينة، وكان شاباً جميلاً، وكان الخليفة قد سمع إمرأة تقول فيه الشعر، فإستدعاه عمر وقال له: ما دمت بهذا الحسن فلا تظهر للناس، وأمر بحلق شعره، لكن حَلْقُ شَعْره زاد من جماله، وحينها قال عمر: لاينبغي أن يكون في مدينة رسول الله ﷺ من تتمدَّح به النساء ويَتَمنَّينَ وصاله بالحرام، لذلك نفاه من المدينة الى مدينة أخرى.

ومعلوم إن هذا الحكم ليس وارداً في القرآن والسنة، بل من قبيل السياسية الشرعية، ثم يورد إبن القيم كلاماً حسناً فيقول (إن الله أرسل

رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به الأرض والسموات) ثم يقول: (فإذا ظهرت أمارات العدل وأسفر وجهه بأي طريقة كان فثم وجه الله ودينه... فأي طريق اُستخرج به العدل والقسط فهي من الدين وليست مخالفة له، فلا يقال: إن السياسة العادلة مخالفة لما نطق به الشرع بل موافقة لما جاء به بل هي جزء من أجزائه ونحن نسميه تبعاً لمصطلحكم وإنّما هي عدل الله ورسوله ظهر بهذه الإمارات والعلامات).

وأنا سآتي لك بمثال واحد:

إن تحديد مدة الحكم السائد الآن في الدول الديمقراطية، سواء كانت أربع سنوات، أو خمس، أو أية مدة اُخرى، فمادام الناس إستحسنوا ذلك كي لايصبح الحكم وراثياً أو حتى لا يتمكن من ضرب جذوره في الأرض، مادام الناس إستحسنوا ذلك، ولم تكن هناك على ذلك نصوص شرعية تمنع من ذلك، وما دامت العدالة متحققة بذلك ومصالح الناس مضمونة، فتلك قضية مشروعة لا غبار عليها.

- مثل النظام الجمهوري؟

+ نعم، النظام الجمهوري الذي ينتخب فيه الناس حكامهم بالآليات والإداريات التي عليها، وإختصاراً، كيفما تحقّق جَلْب وَ دفع المضارِّ وفق مصالح الناس وإبعاد الأذى عنهم، في المجال السياسي أو الإداري أو الإقتصادي أو الإجتماعي أو الأخلاقي، فهذا لايتعارض مع نص من نصوص الشريعة، ومعلوم إن نصوص الشرع لاتتعارض مع المصالح الحقيقية للناس، كأفراد، أو كمجتمع.

- أستاذي العزيز، إذا بإمكاننا القول إن الإبتداع في الدين حرام؟!

+ نعم، لاشك في ذلك.

لكن في المجالات التي تحدَّثتم عنها والتي نصت عليها النصوص الشرعية في العقيدة والعبادة والاخلاق.

– ولكن ماذا نعمل تجاه القضايا المرتبطة بالجوانب الأخرى كالسياسة والإقتصاد والإدارة..!

+ أنا أقول: على قدر قبح الإستحداثات والإبتداع في الدين، فإن التجديد والابداع في امور الحياة شيء حسن وضروري، فهما مسألتان متعاكستان، ولكن لا تنس شيئاً ولا تقعن في الخطأ منه، الدين ليس عبارة عن العقيدة والعبادة والأخلاق وحسب، فغاية ما أبتغي قوله إن في مجالات العقيدة والعبادة والأخلاق، تحدثت النصوص الدينية عن المسائل الصغيرة أيضاً ووضعت النقاط على الحروف، والاّ فالدين بالإضافة الى هذه النواحي يشمل أيضاً السياسة والحكم والجوانب الإقتصادية والإجتماعية والسياسة الدولية، أي الجوانب التي بإمكان العقل والإجتهاد والإبداع فيها التفاعل معها، والتي تتطور الحيارة فيها بسرعة وتتغيّر، والّدين لم يضع في هذه الجوانب نصوصاً كثيرة، حتى لا يتقيد الناس ويكون هناك متسع لإجتهاد المختصين والعارفين بالدين والحياة لملء تلك الفراغات المتروكة، والاّ فالّدين ليس مقتصراً على هذه النواحي الثلاث: و هي مرتبطة بالفرد ومتعلقة بالناحية الروحية وكينونة الإنسان، بل الدّين في كل النواحي الأخرى يجب أن يكون حاكماً يوجه كل شيء، خلا إن الدّين قد ترك متسعاً رحباً لعقل الإنسان وإجتهاده.

– أستاذ، دعنا نتحول الى محور آخر في قضية الحكم، فكثيراً ما يوجه اللوم للإسلام!! او الإسلاميين، يقولون: إن تاريخ الإسلام شاهد على أن

الإسلام كان الى الدكتاتور ـية أ ـقرب م ـنه الى الديمقراط ـية، وإن كان سيادتكم قد تحدث ملياً في الحلقة السابقة عن كون الإ سلام إ سلاماً، وليس ديمقراطية او دكتاتورية، ولكن وضَّحْتَ أن ه ـناك مجمو عة من النقاط المشتركة بين الإسلام والديمقراطية؟!

+ نعــم .

– فهل توجد نقاط مشــتركة بين الإسلام والدكتاتورية أيضاً؟!

+ الديمقراطية على كل حال، وكيفما كان فهي تحترم الناس، و شرائع الله جميعـاً إنّما نزلت الى الناس لتدافع عنهم وتـ ـنافح عن الجـ ـماهير بو جه الحكّام، ولهذا فالدكتاتورية والفرعونية والطاغوتية كانت طوال الـ ـتأريخ عدوة الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) والعائق الأنحس في طريقهم، فهذا نوح (عليه السلام) عندما يقف الملأ الذين إستكبروا من قومه بوجهه، من الّذين يؤازرونه ويشدّون عَضُدَهُ؟ **﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾** (هود –27) نعم، المستكبرون من قوم نوح عليه السلام كانوا يـ ـسمون إتباعه أراذل، والحكمة واضحة من كون اتباع الأنبياء (عـ ـليهم الـ ـصلاة والسلام) من الفقراء، والمُعدَمين والمظطهدين، وإ ـنما آ ـمَن المستـ ـضعفون بالأنبياء (عليهم السلام) وإتبِّعوهم لأنهم رأوا فيهم وفي رسالتهم علاوة على كونها خقاً وَمتجاوبةً مع فـ ـطرتهم مـ ـساندة قـ ـضاياهم العادـ ـلة والدفاع عنها، ولكن من هم أعداء الأنبياء؟!

يقول تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِـ ـمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾** (سبأ– 34).

– ما معنى متــرفوها يا أستاذ؟

+ أي مُنعّموها، إن الله سبحانه عرّف أعداء الأنبياء بصور متعددة، فـتارة يسميهم المترفين، وأخرى يصفهم بالّذين استكبروا، وأحيانـاً يـسميهم بالذين طغوا في البلاد، فالطغيان صفة ملازمة للمترفين، الـّذين يفرضون أنفسهم على الناس ويظلمونهم ويغتصبون حقوقهم السياسة والاقتصادية والثقافية فهؤلاء هم أعداء الأنبياء ومنهج الله تعالى. لأنّهم موقنون بان الله تعالى لن يتركهم على تلك الحال حتى نهاية المطاف، لذلك فليست هناك أية نقاط مشتركة بين الإسلام والدكتاتورية، ولا يمكن أن يتعايشا معاً طرفة عين! لماذا؟ لأن الدكتاتورية قبل أن تكون متصادمة ومتنـافرة مع الشريعة، فهي متصادمة مع أصل العقيدة والإيمان، فجوهر العقـيدة في الإسلام عبارة عن التوحيد والله تعالى يقول: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ (الأنبياء 25).

نعم، فالمعنى الواسع للعبادة والعبودية هو التوحيد الذي يشكل جوهر الإسلام ومضمونه، ومعلوم ان الدكتاتورية والتألّه على الناس وفرض الذات عليهم، وممارسة التحليل والتحريم للناس، والحكم المطلق عـليهم، كل ذلك يتصادم مباشرة مع التوحيد، أنظروا الى جواب فرعون لموسى (عليه السلام) عندما يطلب منه إرسال بني إسرائيل معه وعدم اضطهادهم: ﴿**قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ**﴾ (الشعراء- 29).

ثم تأمل قول فرعون لجماهير بلاده: ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى**﴾(النازعات24)

ومن الطواغيت الآخرين في التأريخ هو نمرود، فلننظـر الى قولـه مع إبراهيم (عليه السلام): ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الّـذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي ربِّـهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْـيِي وَأُمِيتُ**﴾ (البقرة -258)، وكما ترى فهذا الطاغـية - كسائر اخوانـه

الطواغيت – يدَّعي الألوهية، وعندما يقول له إبراهيم عليه السلام أن ربّه يحيي ويميت، يقول نمرود: وأنا أيضاً أحيي وأميت!!

يقال انه جاء من السوق برجلين، فقتل أحدهما ولم يكن له أي ذنب، وأرسل الآخر، فقال: ها أنا أحييت هذا وقتلت ذاك!

إذاً، فالفراعنة والطواغيت وأضرابهم كانوا عبر التأريخ المتطاول أعداء ألِدّاء للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لماذا؟

لأن الأنبياء يقولون: كلنا يجب أن نكون عباداً لله، ولكن أولئك يقولون: كلاّ بل يجب أن يكون الناس عبيداً لنا!!

لذلك – وكما أسلفت – ليست هناك من نقطة مشتركة البتة – بين الإسلام ونظام الحكم الإستبدادى والفردي، بل إن الفارق بينهما شاسع والبون بعيد، الإسلام يقول يجب أن يكون الناس عباد الله فقط، وأن يكون الله هو المعبود الأوحد، أما المستبدون فيقولون: كلا، لابد أن نُعْبَد نحن و نوقر مثل الله تعالى، بل أكثر منه والعياذ بالله!

– فضيلة الأستاذ، انت تقول، ليست هناك نقطة مشتركة بين الإسلام والإستبداد، لكننا عندما ننظر الى التأريخ الإسلامي رغم إنّكم تفضلتم بأن الإسلام ليس مسؤولاً عن إنحراف المنحرفين نرى كثيراً من المتسمّين بالخلفاء وأمراء المؤمنين كانت لهم إنحرافات كثيرة وساروا ردحاً من الزمان ومن أولئك (الحجاج) حتى لوصح بعض ما يقال ويحكى عنه، لكان دكتاتوراً!

فيا ترى ماهي الضمانة في الإسلام كي لايسير نظام الحكم نحو الدكتاتورية، الديمقراطية – مثلاً – وضعت لنفسها – الى حدما – بعض

الضمانات كوضع الدساتير، والرأي العام، وفصل السلطات، كي لا تظهر الدكتاتورية، فنحن المسلمون ماذا لدينا من تلك الضمانات؟!

+ أنا أقول جواباً على سؤالك هذا إن الإسلام ليس مسؤولاً الاّ عن المرحلة التي حكم فيها فعلياً، وهي فترة العصر النبّوي وعصور الخلفاء الراشدين، وكذلك المدة القصيرة التي تولى فيها الخلافة (عمر بن عبدالعزيز) الذي يعتبر خامس الراشدين، وقد ظهر بين آونة وأخرى حكام آخرون كـ(نورالدين محمود الزنكي) و (عمادالدين) و (صلاح الدين الايوبي) رحمهم الله، وكذلك مجموعة من السلاطين العثمانيين الصالحين من أهل التقوى والالتزام بشرع الله تعالى، الإسلام مسؤول فقط عن تلك المراحل التي التزم بمبادئه اولئك الحكام.

– أي انه مسؤول فقط عن المراحل التي نفذت فيها أحكامه؟!

+ نعم، لأن هؤلاء تسنموا الحكم بصورة شرعية، ولكن إذا إستولى أحد على الحكم بالقوة وجلس على كرسي الحكم عنوة، فالإسلام في الواقع ليس مسؤولاً عنه، نعم جرى بإسم الإسلام ولكن ذلك الشخص بهَّت الإسلام وظَلَمَهُ وهنا أريد أن اشير الى شيء: فقد تحدث الفقهاء في كتبهم عن حكم المتغلِّب أو حاكمية المتغلب، وهم منقسمون حول هذا الصنف من الحكام على فئتين، فبعضهم يقول: إن ولايته على المسلمين جائزة، والبعض الآخر يقول: غير جائزة، وأنا مع هذا الرأي الأخير، ولكن ماذا يقصد القائلون بالجـواز؟!

يقولون: جائز إضطراراً، أي ليس شرعياً، ولكنهم يقحمونه على الشرع، لماذا؟! لأنهم يقولون حاكم غشوم خير من فتنة تدوم. وقد أجروا هذا القول مجرى القاعدة.

ولكن الرأي الثاني لاشك انه هو الموافق للشرع، والذي يقول كل من لم يجلس على كرسي الحكم بصورة شرعية فحكمه غير شرعي، لذلك فالحسين بن علي بن ابي طالب (رضي الله عنهما)، ثم زيد بن علي بن حسين بن علي، ثم محمد وإبراهيم ابني عبدالله، ثم عبدالرحمن بن الأشعث وغيرهم كثير، ثاروا في وجه الظالمين من بني اُمية و بني العباس، و قد أيدهم كثير من الأئمة وأفتوا لعملهم وخصوصاً أبو حنيفة ومالك، وعندما سئلوا كيف تفتون الناس بتأييد محمد وإبراهيم؟!

قالوا في الجواب إن ولاية أولئك أي بني أمية و بني العباس– على المسلمين غير شرعية ولاحق لهم في ذلك، نعم هذا هو الصواب وعليه تظافرت الأدلة، من ذلك قوله تعالى لإبراهيم (عليه سلام): ﴿ **قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ (البقرة–124). أي: من ذريتك ايضاً من سيكون أهلاً لذلك، ولكن الظالمين يقول تعالى لا ينالهم شرف إمامة المسلمين، ثم إن إنتخاب الحاكم وعقد البيعة له دليل آخر في هذا الصدد، فما معنى البيعة؟ البيعة مأخوذة من (البيع) أي كما انت تعطي النقود وتأخذ مكانها البضاعة، ثم ما معنى المبايعة؟! أجمع علماء السياسة الشرعية على إن معنى المبايعة هو: مصافحة الحاكم على تنفيذ شريعة الله تعالى والحكم بالعدل، وطاعة الناس له على ذلك والنبيّ ﷺ عندما يقول: ((إنّما الطاعة في المعروف)) كما ورد في (صحيح البخاري)، أي لا طاعة في المعصية، بل عند ذلك يجب إعانتهم على تركها والضرب على أيديهم.

– وماذا قالوا عن الضمانات؟!

+ اختصاراً: كل ما هو موجود من الضمانات في الديمقراطية فإنّها موجودة في الإسلام بأضعاف ذلك، بل وللإسلام على تلك الـ ضمانات إ ضافات أُخرى اُعدّد لك بعضها: إن الضمانة الأولى لتنفـ يذ الحـ كم الإ سلامي، وإعانة الحكام على ألاّ ينحرفوا، هي إنه لا شرعية بدون إنتخاب وبيـ عة، ولذلك فأنّ علماء الإسلام والمؤرخين يطلقون عـ لى خلا فة أ بي بـ كر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم لقب: الخلاقة الراشدة، ولكن ماذا يطلـ قون على من جاؤوا بعدهم؟ يسمونهم ملوكاً أو عهد الملكـ ية الفرد ية، ثـم الإيمان والعقيدة العبادة التي يتـربّى عليهما المسلمون، حيث يتـربون على ألاّ يَحنْوُا رؤوسهم لغيـرالله تعالى وألا يرضوا بغيـر شريعة الله لهم منهجاً، ولا يلقوا بالهم إلا لغضب الله تعالى، وهذا الإيمان هو الذي يمـ نع ا لحاكم والرعية من الإنزلاق والإنحراف، ولا يَخْفى إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمام الحاكم الجائر يعد جهاداً في سبيل الله تـ عالى، كـ ما ورود في الحديث ((أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)) (رواه أبوداود) ثم مسألة فصل السلطات، حتى في الفترات التي لم تكن الحكومة الإ سلامية منبثقة من الشورى، فالـ سلطات ايـ ضاً كا نت منفـ صلة، لأن الـ سلطة التشريعية التي كانت تتمثل في العلماء، سواء المجتهدون منهم والمفـ تون، نحن ننظر الى العلماء أنهم – بإستثناء بعض البائعين انفسهم الّذين يعرفون بوعاظ السلاطين، أو من يسميهم الإمام الغزالي بعلماء الـ سوء – كـانوا مجسِّدين للدين حقيقة: لايفتون بما يخالف دينهم أو يرضى حاكـ ماً عـ لى حساب ذلك ولو بُذلت لهم الدنيا بأسرها، بل منهم من إخـ تار الـ سجن والقتل والتشريد ثمناً لثباته على ما يرضي الله ورسوله ﷺ ومن أولئك: سعيد بن جبيـر و حطيط الزيات اللّذين قتلهما الحجّاج الظالم، الإمام أحمد

الذي جُلِدَ بسبب عدم قوله بخلق القرآن، والإمام الشافعي ا لذي طُرد وشرد، وأبوحنيفة الّذي رفض منصب القضاء، والإمام ما لك، وغير هم كثير يجلّون عن الحصر، كلهم وَقَّفوا أنفسهم دفاعاً عن كلام الله و سنة رسوله ﷺ، وبذلوا وسعهم ألا يحيدوا عن المنهج قيد شعرة، ودفـعوا في سبيل ذلك الإثمان الباهظة والضرائب المؤلـمة.

أما من ناحية السلطة القضائية، فـكثيراً ما كان الخليفة يُستدعى للمحاكم ليقف أمام قاضي القضاة، و قد حـصل هذا فـعلاً في ز من الامويين والعباسين والعثمانين، فكان الخليفة او السلطان إذا وقعت له مع احد الرعية مشكلة، وقفا أمام القاضي وربما حـكم القا ضي لأ حد الرعية على السلطان أو الخليفة.

– هل بإمكاننا القول: إن حاكماً أو خليفة ظا لماً لم يـكن يظـلم با سم الشريعة، أيّ لم يكن ظلمه مستنداً الى فتوىً، فمثلاً: لو إحتلّ أرضاً ظلماً وليس وفق فتوى عالم أو تقرير شرعي نرجو التفصيل.

+ نـعم، إن أ سلوب الحـكم ا لذي كان سائداً في أور با المـعروف بـ(الثيوقراطية)، حيث يمثل الحاكم ظل الله في الأرض، والبابا يكون شريكاً معه في إقتسام المسروقات، والحاكم يكون جامعاً بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية في آن معاً لكن السلطة القضائية في الإسلام قبل كل شيء لم تخضع يوماً للسلطة التنفيذية لذلك فإن الظلم كان يمارس من قبل السلطة التنفيذية هذا صحيح ذلك إن المسلمين على مدار التأريخ يعلمون بأن تلك الممارسات مخالفة للشرع، ولذلك لم تنقطع قـيام الـثورات في تأريخ الإسلام وَالمـسلمين، والعلـماء كانوا يـقودون تـلك الـثورات ويُشْعِلونها، الى الوقت الذي كانوا يوقنون ان لا فائدة تر جى من وراء

الثورات بسبب رسوخ الحكم لأولئك الحكام وقوة جيوشهم الجرارة، وحينئذ كانوا يقولون: أيها الناس لأن مفاسد هذه الثورات أكثر من منافعها فلا نُفتي بالقيام بها، على إن هذا ليس طعناً في مشروعية أصلها.

– أستاذي العزيز، الوقت يداهمنا، ولا زال لدينا محور لم نتحدث فيه، فقد تحدثتم في الحلقة الماضية عن الدستور، فبالنسبة لكردستان والحال إن جميع الأحزاب والإتجاهات بما فيها (الجماعة الإسلامية) مجمعون على ضرورة وجود الدستور، إذا عُمل بالنظام الفدرالي وإعتبر كردستان إقليماً من ضمن حكومة العراق حال تغير الحكم، وقد هيأت لذلك الغرض مسودة لقانون مقترح للإقليم، فهل قرأتم تلك المسودة بدقة؟

+ نعم قرأناها بدقة أنا وباقي الأخوة في قيادة الجماعة.

– وهل كانت لديكم ملاحظات حولها؟

+ بالتأكيد كانت لدينا ملاحظاتنا.

– سمعت أحد السياسيين – ولا داعي لذكر إسمه – يقول كل الإتجاهات السياسية في كردستان اطلعت على المسودة وأعربت عن موافقتها عنها، فهل صحيح ما قاله ذلك السياسي؟!

+ الشخص الذي تحفظت في ذكر إسمه، أنا سأذكر إسمه، قرأت في الجريدة الاسبوعية التي تصدر عن الأخوة في (الاتحاد الإسلامي) لقاءً مع (فلك الدين كاكەيي) حيث سألوه عن هذا الموضوع، فقال: نعم لقد أطّلعت جميع الأطراف السياسية في كردستان على مشروع القانون وأعربوا عن قبولهم لها، وانهم متفقون حولها، والحق إن الأمر ليس كما قاله، ونحن من المستحيل أن نقبل بدستور ليس نابعاً من القرآن، ولو صُدِّق من قبل البرلمان! وهذا إضافة الى مخالفته للإسلام، فإنّني لم أسمع يوماً من الأيام في

أية بقعة من بقاع الأرض عن قيام لجنة، أو برلمان بوضع الدستور، لأن البرلمان نفسه يُنْتَخَبْ وفقاً للدستور و بموجبه و كذلك كيفية تحديد السلطات القضائية والتنفيذية وكيفية إدارتها للبلاد ووضعها للدستور!! إذاً فالدستور أكبر من أن تَتضلَّع بصياغته لجنة أو برلمان!! حتى من وجهة نظر الديمقراطيين أنفسهم! و نحن كشعب مسلم لا يخفى إن دستورنا القرآن والأصول والقواعد المستنبطة من الكتاب والسنة.

- وهل إحتوى مشروع الدستور على مخالفات شرعية.

+ لا شك في هذا.

- مثل مـاذا؟

+ قبل أن أذكر ملاحظاتنا أود ان أقول ما خلاصته، نحن كالجماعة الإسلامية، وأظن إن جميع الإسلاميين متفقون معناً، بل يتفق معنا كل من له أدنى فهم للدين ولدنيا، وهو أن كلَّ ما هو من مصلحة شعبنا دنيياً وأخرىً، من النواحي الإقتصادية والسياسية والإجتماعية والثقافية والأخلاقية... الخ – والواقع إن الشريعة لا تعارض المصالح الحقيقية للناس أبداً– فنحن نؤيد ذلك ونسعى لتحقيقه، و لذلك عندما جاءنا مسودة الدستور ورغم ملاحظتنا عليها فقد أرسلنا لجنة، وبعثنا معها بملاحظتنا على المشروع، و أوعَزْنا الى اللجنة أن تشارك في الإجتماع الذي عقد في مدينة (كويسنجق) لعرض الملاحظات عليهم وإن من أولى ملاحظاتنا على المشروع، إنه لم يذكر فيه كلمة الله تعالى ولا إبتدأ ببسم الله، ولا وردت فيه أية كلمة من هذا القبيل!! ثم إنه لم يُحَدِّدْ فيه ماهو دين هذا الشعب؟ ماهو دين الناس في إقليم كردستان؟ و لماذا نُخْ فِي

إسلامنا إنْ كنا مسلمين؟!! فحتى النظام البعثي أقرَّ بأن الدين الرسمي للدولة هو الإسلام!!

ثم إن مصدر التشريع غير محدَّد، بل اُكتفي بذكر الإعتماد على النظام الديمقراطي! والحقيقة إن هذه المسألة المهمة يجب ان يجرى لها إستفتاء عام، هل يريد شعبنا حكومة إسلامية، تكون متضمنة للحسنات والإيجابيات الموجودة في النظام الديمقراطي، وتكون منزهة عن السلبيات والطوام الموجودة فيه؟ هذا الموضوع الخطير يجب أن يبتَّ في أمره الشعب بأسره وليست لجنة تتضلّع بشيء هو فوق طاقتها، والغريب إن وفدنا و وفود الإسلاميين من غيرنا عندما سلّموا إقتراحاتهم الى اللجنة مكتوبة وشفهية، قالت اللجنة: سننظر فيها لاحقاً، ومع ذلك فقد عقد البرلمان جلسته وفعلوا مابدا لهم وقرروا ما يحبون، ويقولون رغم ذلك: كل الإتجاهات قُبِلَت بمسوَّدة المشروع!! كلا والله لم نقبل بها، فهذه قضية تتصل بالعقيدة في الصميم، ونحن لا نرضى بأي منهج غير منهج الله تعالى، ولا نرضى بغير الإسلام ديناً والديمقراطية لاريب بأنّها دين، يجب أن نعلم هذه الحقيقة، الديمقراطية دين من وضع البشر، فيها بعض الحسنات وركام من السيئات، لكننا نحن المسلمين نملك شريعة وضعها لنا رب السموات والأرض وخالق البشر شريعة الله عادلة حكيمة وهي محض خير، ونور لا ظلمة فيها.

وتبقى مسألة التعامل مع الديمقراطية كأمر واقع، فنحن في ظل الديمقراطية – إذا كان حقيقة غير مزيفة – تسير أعمالنا ونشاطنا نحو الأمام، ودليلنا أن الإسلاميين في الجزائر عندما أفسح لهم المجال الديمقراطي قليلاً في سنة (1991) حازوا المرتبة الأولى في الإنتخابات، وفي

تركيا أيضاً عندما وجد نوع من الديمقراطية الى حدما، كان الإ سلاميون في طليعة ال فائزين في الإنتخابات، و كذلك في باكستان والمغرب والبحرين، وفي أي مكان يفسح فيه المجال للإ سلاميين، لأن الشعوب المسلمة لا تريد غير الإسلام، شريطة أن يعرفوا الإسلام على حقيقته، لذلك فنحن لانخشى من الديمقراطية، بل نحن نخشى من الإستبداد، و من الحكم المتفرد والطاغوتي، والاّ فنحن لا نُلْقي بالاً للديمقراطية ولا تساوِرُنا منها المخاوف إن كانت حقيقية، ولكن مشكلتانا هي أن تكون الديمقراطية مرادفة لسبّ الله ورسوله ﷺ والعياذ بالله أو محاربة الأخلاق والقيم الإسلامية، أو أن يكون الناس أحراراً فقط في التهجم على الإسلام والمقدسات!! وألاّ يُفْسَح المجال بعد ذلك لإنتقاد الحكام في كيفية توزيع الأموال والثروات، وفي المسار السياسي والسياسة الدولية والداخلية، أن تكون هذه المجالات كلها ممنوعة، ولا تُعْطى الحرية الاّ في سب الله ورسوله والإسلام وإتهام الإسلاميين!! فهذا هو ما يُقلقُنا، و هذا ما لا نقبَل به أبداً وإلاّ فنحن مستعدون للتعامل مع الديمقراطية حتى نهيء - بعون الله تعالى- من خلالها أرضية تكون مجتمع إسلامي و إنشاء كيان إسلامي، ولكن الذي لا يقبل النقاش، إنّنا لا نرضى بغير الإسلام ديناً ولا حاكماً، ونسعى جاهدين أن يحكم الإسلام قومنا لأنهم مسلمون، وعندئذٍ سيحوزون خيري الدنيا والاخرة، ويتضمن الإسلام كلّ الإيجابيات الموجودة في الديمقراطية، والإشتراكية، و غيرهما من المناهج والنظريات، ومعلوم إن الإسلام وجد قبل أن يكون لهذه الأنظمة ذكر ولا خبر، والإسلام لا يحول دون الإستفادة الإدارية و الفنّية من أيّ نظام كما إن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إستفاد من الناحية الإدارية في عهده من

نظم الحكم في فارس والروم، فأحدث – بغية تطوير نظام الحكم – ديوان الجند وديوان الخراج وديوان الزكاة، و كذلك أنشأ البريد، وبنى السجون، وأخذ أشياء أخرى من ذينك النظامين، كل ذلك دون ان يُغيِّر إسم نظام الحكم فيقول: دولتنا تحولت الى نظامٍ فارسي أو رومي في أمورها!! بل بقيت الدولة إسلامية، رغم الدول في الجوانب الفنّية والإدارية التي لا تَتَصادَمُ مع الشريعة وذلك لأنّها على أساس الإلتزام بالشريعة إستخدم تلك الأساليب و إستفاد من تلك الوسائل على الوجه الأمثل من أجل السير قدماً بالدولة الإسلامية الى الإزدهار.

\+ جزى الله أستاذنا كل خيـر.

\- وجزاكم ووفقكم لما يحِّبهُ ويرضاهُ.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الفهـــرس

مِنَ المقدِّمة

إنِّي على معرفة بما في المكتبة العربية -والحمدلله- من بحوث ودراسات كثيرة و متنوِّعة جيِّدة. حول تقييم النظريات والأفكار المستوردة و تفنيد ما فيها من باطلٍ متصادمٍ مع حقائق دين الله الحق و رسالته الخاتمة النازلة علىً قلب سيِّد المرسلين و خاتم النبيِّين محمدٍ ﷺ ولكن الذي دفعني لتلبية اقتراح بعض الأخوة المخلصين بترجمة بعض كتبي الى اللغة العربية شيئان:

أولهما: أرى بأن في كتبي بعض غناءٍ وإضافةٍ في المجالات التي أكتب فيها، و ثانيهما: كي يطّلع القارئون بلغة الضاد من الأخوة العرب و غيرهم على شيء من رؤى وأفكار وتجارب التيّار الإسلامي في كوردستان تلك البقعة المُقَطّعة الأوصال وسط الوطن الإسلامي الجريح.